سلسلة المكتبة الإعلامية (٣٥)

الإعلام والإرهاب

التغطية الإعلامية للعمليات الإرهابية
الخبرة العالمية

أديب خضور



المكتبة الإعلامية ٣٥

الإعلام والإرهاب

التغطية الإعلامية للعمليات الإرهابية
الخبرة العالمية

أديب خضور

دمشق ٢٠٠٩

المحتويات

المقدمة

يتمركز التقدم العلمي أساساً ليس في مجال العلوم الأصلية، وإنما في الهوامش المشتركة التي تقع فيما بين العلوم.

يقع هذا الكتاب في الهامش المشترك بين الإرهاب، كظاهرة اجتماعية، وبين الإعلام كفعالية تفاعلية إبداعية مع الواقع الاجتماعي.

إن البُعْد الإعلامي هو المحور المركزي الذي تتمحور عليه القضايا المطروحة في هذا الكتاب، والتي تمت معالجتها من منظور إعلامي أمني، دون أن يعني ذلك بالضرورة عزلها عن الأبعاد الأخرى للظاهرة.

لا يعمل الإرهابيون بشكل ارتجالي وعفوي، بل يتسم نشاطهم بالمنهجية والترابط والتماسك. وقد استطاع الباحثون تقديم قراءة معمقة لهذا النشاط الإرهابي، واستخلاص إستراتيجية إعلامية متميزة وشاملة ومتكاملة للإرهابيين. ما طبيعة هذه الإستراتيجية، وما أسسها ومنطلقاتها، وما مقوماتها، تلك كانت الأسئلة الأولى التي حاول الباحث تقديم أجوبة مناسبة عنها.

وفي ضوء هذا الجواب، تطرق الباحث إلى الجوانب الإعلامية المختلفة للعملية الإرهابية:

- العملية الإرهابية: عملية اتصالية.
- القيمة الإخبارية والأهمية الإعلامية للعمليات الإرهابية.
- مشهدية العملية الإرهابية ومسرحيتها.

- الإرهاب والعنف اللغوي والرمزي.

وفي ضوء الإستراتيجية الإعلامية للإرهابيين يقدم الكتاب معالجة ضافية للمسائل الثلاث المهمة التالية:

- التناول الإعلامي للعمليات الإرهابية.
- إشكاليات التغطية الإعلامية للإرهاب وللعمليات الإرهابية.
- تغطية العمليات الإرهابية في مراحلها المختلفة.

محاولاً بذلك كله التعريف بمختلف الآراء والمدارس المتعلقة بهذه المسائل الثلاث، وكذلك التعريف بمختلف التجارب الإعلامية في هذا المجال.

ونظراً للعلاقة الخاصة التي تربط الإرهاب بالتلفزيون فقد أفرد الباحث فصلاً خاصاً لإيضاح طبيعة هذه العلاقة. كما أفرد فصلاً خاصاً لتقديم منهجية متكاملة للضوابط الإعلامية التي يجب أن تتقيد بها التغطية الإعلامية للعمليات الإرهابية، حتى تسهم بشكل فاعل في مواجهة الإرهاب، وتضمن عدم تقديم أي خدمة للإرهابيين.

ورغم أن الكتاب مخصص لتقديم الخبرة العالمية في مجاله، إلا أنه ينتهي بفصل يقدم أبرز ملامح الظاهرة الإرهابية في البلدان العربية، والتطور الحاصل في مواجهة هذه الظاهرة، والدور الذي يُعْطى للإعلام في عملية المواجهة، وبعض السمات المميزة للتغطية الإعلامية العربية للظاهرة الإرهابية.

أديب خضور

الإرهاب: المفهوم... السياق العام

يمثل الإرهاب المعاصر واحداً من التحديات الجدية على الأصعدة القطرية والإقليمية والدولية. وقد بدأ هذا التحدي يبرز على الساحة السياسية منذ ستينيات القرن العشرين الميلادي الماضي مع انتشار ظاهرة استخدام الإرهاب كأحد أهم أساليب استخدام العنف في الصراع السياسي. صحيح أن الاستخدام المنظَّم للعنف ظاهرة قديمة قدم المجتمع البشري، إلا أن الإرهاب المعاصر، وخاصة مع بدء الألفية الثالثة، وبعد ٢٠٠١/٩/١١ على وجه التحديد، دخلَ مرحلة جديدة لم تعرفها البشرية من قبل، وأصبح إحدى حقائق العصر.

لم يعد الإرهاب يُمارس أساساً من فوق، من قبل السلطات، كما كان الأمر في القرن الثامن عشر، أو من أسفل، من قبل جماعات فوضوية، كما كان الأمر في القرن التاسع عشر. كما لم يعد الإرهاب عملاً فردياً يقوم به فرد يائس ومتعصب ومُحبَط، يتوهم تغيير العالم بعمله الإرهابي الفردي، بل أصبح الإرهاب، وخاصة في سياق العولمة ومعطيات الثورة الاتصالية الإلكترونية، عبارة عن عمل منظَّم، يحتاج إلى خبرات تقنية عالية، وإمكانيات مادية ضخمة، ومقدرة تنظيمية كبيرة، ومستوى أداء رفيع.

تؤكد الدراسات المنهجية أن الظاهرة الإرهابية ظاهرة مركبة ومعقدة، ظهرت وانتشرت ضمن سياقات معينة. وتختلط في الظاهرة الإرهابية الجوانب السياسية والاجتماعية والنفسية والاقتصادية والأيديولوجية. الأمر الذي يؤكد أن هذه الظاهرة لم تأتِ من فراغ، وإنما أسهمت في إيجادها وتفاقمها مجموعتان

من العوامل والأسباب. تتمثل المجموعة الأولى في الأسباب الآنية والراهنة المتعلقة محلياً بطبيعة الأنظمة السائدة في الكثير من البلدان العربية، والسياسات الخاطئة التي تتبعها هذه الأنظمة، وما أدت إليه من انتشار الفساد والإفساد وسوء توزيع الثروة وعدم تداول السلطة وتهميش شرائح اجتماعية واسعة وحرمانها من الإسهام في الحياة السياسية والثقافية والاقتصادية." ... إن الشعور المسيطر على المجندين حديثاً في قوافل الإرهاب ليس الشعور بالفقر، ولكنه الشعور بالحرمان... وأساسه غياب العدل في توزيع الثروة في المجتمع، وانسداد جميع القنوات المؤدية إلى أي حراك طبقي يطمح إليه الشاب الفقير، أو المؤدية إلى أي منصب ذي وجاهة اجتماعية يأمل فيه الشباب المتعلم، أو المؤدية إلى مساهمة فعالة في صنع القرار، كما ترغب المجموعات المثقفة. هذا الانسداد المحكم، بالإضافة إلى الشعور الطاغي بفقدان العدل، أديا إلى التشرذم العصابي المخيف.(إبراهيم،في الحديدي،١٩٩٩ص ص١٥-١٦). كما تتمثل عالمياً في السياسات غير العادلة التي تتبعها بعض الدول العظمى، والتي أدت إلى قهر الشعوب وسلبها لحرياتها وإرادتها، وتراجع القانون الدولي، وتوتر الشرعية الدولية. أما المجموعة الثانية من الأسباب فتتمثل محلياً في تلك الأسباب المتجذرة في المشاكل السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية والقومية والعرقية التي عجزت الأنظمة عن حلها. كما تتمثل عالمياً في اختلال توزيع موازين القوى على الصعيد الدولي وما أدى إليه هذا الاختلال من تناقضات عجزت الشرعية الدولية الممثلة في المنظمات الدولية عن مواجهتها وإيجاد الحلول الناجعة لها.

أدت هذه العوامل منفردة ومجتمعة إلى إيجاد حالة اختناق وانسداد آفاق على الأصعدة المحلية والإقليمية والدولية. توحي هذه الحالة محلياً باستمرارية

الكثير من الأنظمة التي عجزت عن حل المشاكل الاجتماعية-الاقتصادية والثقافية، وعن إنجاز المهام الوطنية. وتشير هذه الحالة إقليمياً إلى هيمنة قوة أو قوى مدعومة من قبل قوة أو قوى عظمى. وتؤكد هذه الحالة عالمياً ثبات سياسات التسلط والهيمنة واختلال موازين القوى.

لم تستطع قوى التغيير والمعارضة في هذه اللحظة التاريخية الشديدة التعقيد والحساسية أن تقدم البديل وأن تملأ الفراغ، وذلك لأسباب ذاتية تتعلق بنقاط الضعف الذاتي لهذه القوى، ولأسباب موضوعية تتمثل في حجم قوى الردع والقمع. وكانت هذه هي الثغرة التي انطلقت منها قوى منغلقة ومتعصبة ومتشددة، عرفت كيف تستغل مناخ التغيير وضرورته، وكيف تتظاهر بتبني مطالب الشعوب، وكيف تجيِّر إحباطات الجماهير ونقمتها وقلقها وغضبها لصالحها، وحتى عرفت كيف تستغل الأهداف الوطنية والاجتماعية والسياسية وحتى الدينية لصالحها، ولتطرح نفسها بديلاً لأنظمة فقدت السيادة ربما الشرعية، وعدواً لقوى دولية تمارس تسلطها وعنجهيتها بغير ما حدود.

حاولت هذه القوى استغلال العواطف الوطنية والقومية والمشاعر الاجتماعية والإنسانية والدينية، والإحساس بالظلم الاجتماعي والقهر السياسي والاضطهاد الثقافي، وحاولت تقديم نفسها كقوة وحيدة قادرة على إنجاز المهام السياسة والاجتماعية والوطنية والاقتصادية والدينية التي فشلت الأنظمة السائدة في إنجازها.

واستطاعت هذه القوى أن تقدِّم نظرة تبسيطية ساذجة للواقع المحلي والإقليمي والدولي البالغ التعقيد. الخارج بالنسبة لها " كافر " يجب تدميره، والأنظمة المحلية " مرتدة" و " عميلة " و " لا شرعية "، ولا تفهم سوى

لغة العنف والقوة. أما الشعوب فهي جاهلة ومُضلَّلة ومُغتربة ينبغي تحريرها وتعبئتها أيديولوجياً وشحنها ضد أعضاء الداخل والخارج. ومن الواضح أن الواقع أكثر تعقيداً من هذه النظرة التبسيطية للأوضاع. وتهرباً من استحقاقات تشخيص معطيات الحاضر، وفهم قوانين تغييره، وآليات تطويره، اندفعت هذه القوى باتجاه الماضي في محاولة يائسة للتماهي معه، متوسلة بالنص الديني بعد أن عجزت عن إدراك علاقة هذا النص بالتاريخ والمجتمع.

تمثل هذه القوى إجهاضاً لفرصة تغيير حقيقي. وقد تمثَّلَ هذا الإجهاض في تفويت فرصة تاريخية كان يمكن توظيفها لإجراء وقفة نقدية معنية بفهم الحاضر والتحضير للمستقبل، وقادرة على استيعاب كافة التيارات والاجتهادات، ومهيأة لتجميع مختلف الطاقات والإمكانيات، ومستعدة لاستخدام مختلف الأساليب من أجل تحقيق التغيير. بدلاً من ذلك كله تبنت هذه القوى محددات فكرية وثقافية تقوم على التزمت والانغلاق والتعصب واستبعاد الآخر متوسلة بذلك قراءتها الخاصة للنصوص.

إن العجز عن فهم معطيات الحاضر وإمكانيات التغيير، والفشل في رؤية الآخر والاعتراف به والحوار معه، والانشغال بقضايا الماضي وهموم السماء، وإهمال قضايا الحاضر وهموم الأرض، والتضحية بالحاضر ومصادرته لصالح ماض عجزت هذه القوى عن إدراك المعنى الحقيقي للحظاته الحاسمة والمؤسِّسة، نقول هذا كله دفع هذه القوى إلى العزلة والانغلاق والتطرف، واللجوء إلى أسلوب التدمير العبثي والقتل المجاني، الذي بات واضحاً أنه يخدم الجهات التي يدعي أنه يحاربها، ويؤذي الجهات التي يدعي أنه يدافع عن مصالحها.

في ضوء ما تقدَّم، لا يمكن اعتبار الإرهاب إجراماً عادياً، وإنما قــوة (أو قوى) تزعم امتلاك " عقيدة " أو أيديولوجيا، ولديها مــشروع " فكـــري " يشمل الجوانب المختلفة من حياة الدولة والمجتمع، كما يشمل الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والدينية، وبالتالي، فإن العنف الذي يستخدمه الإرهاب ليس عنفاً مقصوداً بذاته ولذاته، بقدر ما هو وسيلة لخدمة "عقيدة" ونشر "فكر" وتحقيق "مشروع".

أما بخصوص دراسة الإرهاب، فقد برز اتجاهان، يقول أولهما أن هنــاك ارتباطاً قائماً بين دراسة الأسباب الكامنة وراء الإرهاب والتدابير الــتي ينبغــي اتخاذها ضد الإرهاب، وأن دراسة الإرهاب هي شرط مسبق للتدابير التي ينبغي اتخاذها لمكافحته. بينما يرى الاتجاه الثاني ضرورة الفصل بين الأسباب التي تدفع إلى الإرهاب والإجراءات التي تتخذ لمكافحته. فأسباب الإرهاب تتميز بتعقيدها واتساع نطاقها، وينبغي النظر إليها على المدى البعيد لأنه من الصعب القــضاء عليها بشكل نهائي وحالاً، أما أعمال الإرهاب، التي تودي بحياة الأبرياء، فإنــه ينبغي العمل على مكافحتها وعدم الانتظار لحين القضاء على أسبابها. فتــدابير منع الإرهاب تفرض نفسها باعتبارها إجراءات عاجلة ينبغي عدم التأخير بالقيام بها(الطيار ورفعت،١٩٩٨).

وهذا ما يفسر تعثُّر وربما فشل جميع المحاولات التي تبنت أسلوب المجابهــة الأمنية، مهما عَظُمَت القوى التي تقف خلف هذه المجابهة، أسلوباً وحيداً لمجابهة الإرهاب. وبات واضحاً أن الطريق الأمثل لمواجهة الإرهاب تــشمل ثــلاث ساحات من المجابهات التي يجب القيام بها معاً، وهي:

١- الساحة الأولى: تتمثل في المجابهة الأمنية المناسبة للعمليات الإرهابية الراهنة. وهي مهمة تقع أساساً على عاتق الأجهزة الأمنية المختلفة المدعومة بالحماية الشعبية المتعاطفة معها والمتفهمة لعملها والمساندة لجهودها.

٢- الساحة الثانية: وتتمثل في رسم السياسات ووضع الخطط والبرامج الكفيلة بمواجهة المشاكل الاجتماعية-الاقتصادية والسياسية والفكرية التي تعاني منها الشرائح المختلفة من المجتمع.

٣- الساحة الثالثة: وتتمثل في المجابهة الفكرية القادرة على تقويض الأسس الثقافية والفكرية والدينية للإرهاب ودحضها، وإظهار ضعفها وتهافتها وتناقضاتها وانغلاقها وعجزها عن تقديم أجوبة عن الأسئلة التي يطرحها الحاضر، وبالتالي، عجزها عن تحقيق أهداف الجماهير التي تدعي أنها تنطق باسمها وتخدم مصالحها. يستطيع الإعلام أن يؤدي دوراً فاعلاً، ويقدم إسهاماً حقيقياً على هذه الساحة. وإذا كان الإرهاب قديماً وملازماً للبشرية منذ بدء التاريخ، فإن الأمر الذي جعل له تلك الأهمية القصوى في زمننا الحاضر، هو التقدم الهائل في وسائل الإعلام أو ما يسمى بثورة الاتصال (عز الدين،١٩٨٧). وهذا ما سنحاول توضيحه في هذا الكتاب.

الإستراتيجية الإعلامية للإرهابيين

ينطلق الإرهابيون في نشاطهم الإرهابي، وفي تعاملهم مع وسائل الإعلام من إستراتيجية محددة وواضحة المعالم. تقوم الإستراتيجية الإعلامية للإرهابيين على الأسس التالية:

١- الإرهاب هو أساساً حرب دعائية ونفسية وإعلامية:

ينطلق الإرهاب من عقيدة سياسية (!) أو دينية (!)، ويناضل في سبيل تحقيق قضية عامة (!)، ويسعى لتحقيق أهداف عامة (!). الهدف السياسي هو المهم بالنسبة للإرهاب. إن ما يميز الإرهاب عن أنشطة العنف الأخرى ومنها الجريمة المنظمة، هو أنه يسعى لتحقيق أهداف سياسية، وليس الحصول على مكاسب مادية من وراء عملياته.إن الهدف المركزي للإرهابيين هو كسب تَفَهُّم الناس وتعاطفهم واحترامهم وتقديرهم. ويعتبر الإرهابيون أن ساحة الصراع الأساسي وموضوع الرهان الأكبر هو أذهان البشر. وهذا ما يؤكد حقيقة أن الأساس الأهم الذي تقوم عليه الإستراتيجية الإعلامية للإرهابيين هو أنهم يخوضون حرباً دعائية ونفسية وإعلامية. الجماعات الإرهابية هي في الغالب صغيرة ومحدودة الإمكانيات، وهي لا تستطيع مواجهة الدولة عسكرياً، ولا تهدف احتلال أراضٍ أو إلحاق هزيمة عسكرية بالجيوش النظامية، بل تهدف أساساً إيصال رسائل معينة إلى الناس من خلال وسائل الإعلام والاتصال. ولهذا فإن العمليات الإرهابية تتوجه أساساً ضد الأنفس والعقول وليس ضد الأجساد والمنشآت. ولهذا أصبحت استمرارية تأثير العمل الإرهابي ونشر تأثيره أمراً

إلزامياً وضرورياً في إستراتيجية الإرهابيين. وهذا ما يفسر قول Walter Laqueur (1976,p:104) : " الإرهاب لوحده، لا شيء، نشره عبر وسائل الإعلام هو كل شيء.". وقال الباحث التركي أسفت تلجان:" يمثل العمل الإرهابي في حد ذاته بداية الإرهاب، بداية لآلية أكثر تعقيداً وهي الدعاية، والإرهاب والجماعة الإرهابية ستكون غير سعيدة على الإطلاق ومُحبَطة، إذا ما عرفت أن جريمتها لن تُكتشف، ولن تَجذب اهتمام المجتمع "(في مراد،١٩٩٨،ص١٩٩) .

٢- الاعتماد على العمليات الإرهابية لنشر الدعاية الإرهابية، وعدم الاقتصار على الأقوال. يرى الباحث في مجال الإرهاب Kropotkin أن الإرهاب هو " دعاية من خلال الفعل – Propaganda by deed "(in Ezeldin,1987,p:111 " ، وذلك باعتبار أن أقوى أنواع الدعاية وأشدها تأثيراً هو ذلك الذي يقوم جزئياً أو كلياً على الوقائع.

٣- الوصول إلى وسائل الإعلام واستخدامها لنشر الأفكار.

انطلاقاً من حقيقة أن الإرهاب هو أساساً حرب دعائية، تصبح المسألة المركزية في الإستراتيجية الإعلامية للإرهابيين هي المقدرة على الوصول إلى وسائل الإعلام الجماهيري المختلفة، والاستفادة منها إلى الحد الأقصى، وبمختلف الطرق والأساليب، من أجل نشر الأفكار والمعلومات وترويج المواقف ووجهات النظر. ويمكن النظر إلى العمليات الإرهابية كمجرد استهلال لعمليات إعلامية في السياق العام للحرب الإعلامية الواسعة النطاق. وهكذا تقوم الإستراتيجية الإعلامية للإرهابيين على أساس تمكين العمليات الإرهابية من أن تُسهم في رؤية الجماهير وفق الطريقة المطلوبة. كما أن من شأنها نشر الذعر

وترسيخه، الأمر الذي يُسَهِّل عملية استغلال الوعي الجماهيري. وهذا هو هدف الإرهابيين.

٤- الحدث الإرهابي هو مجرد أداة للوصول إلى وسائل الإعلام:

يدرك الإرهابيون جيداً أن الحرب الدعائية الناجحة يجب أن تقوم على الوقائع وعلى الأفعال. إن الإرهاب هو دعاية من خلال الفعل. وكما أكد Richard Clutterbuk: "حرب الإرهابيين يجب أن تساندها حرب دعائية وإعلان، ولكنها لا يمكن أن تحل محلها" (In Kegley,1990:158). إذن لا بد من فعل إرهابي يتم توظيفه إعلامياً. وهكذا أصبح الإعلام، وخاصة كاميرا التلفزيون، السلاح الأقوى بيد الإرهابيين. وهكذا أيضاً تصبح العمليات الإرهابية، على أهميتها، ليست غاية بحد ذاتها، بل هي جزء من عملية أوسع لإيصال رسالة عبر وسائل الإعلام، وللحصول على الاستجابة المتوخاة من جانب الشرائح المستهدفة. تصبح العملية الإرهابية مجرد بداية لآليات أكثر تعقيداً وهي الدعاية. ومن هنا تصبح المسألة المركزية في العمليات الإرهابية طابعها الرمزي ودلالتها الاتصالية وليس حجمها المادي، وهذا ما يفسر حقيقة أن العمليات الإرهابية هي أساساً رمزية أكثر منها مادية(p134, Alexander,1978)، باعتبار أنها المفتاح الرئيس الذي يؤدي إلى الوصول إلى وسائل الاتصال الجماهيري، والاستفادة من إمكانياتها الضخمة لنصرة العقيدة وخدمة القضية وتحقيق الأهداف. العمل الإرهابي التدميري يجذب بسبب شراسته اهتمام وسائل الإعلام، وبهذا يمكّن الإرهابيين ، وخاصة في الدول التي يهيمن فيها الإعلام التعددي الخاص والتجاري، من استغلال هذه الوسائل لصالحه، ولولا ذلك، وعلى حد تعبير أحد الإرهابيين لكان من الممكن أن نلقي

وروداً بدلاً من القنابل. إن انفجار قنبلة يلفت انتباه الناس أكثر من مئات الخطب. ومنذ فترة طويلة كتب كارلوس في كتابه (دليل حرب العصابات المدينية): " التنسيق في عمل حرب العصابات المدينية، الذي يتضمنه كل عمل مسلح، هو الطريق الأساسية للقيام بدعاية مسلحة... تُنفذ هذه الأعمال لتحقيق أهداف مُخططة ومُحددة، ومن المحتم أن تصبح مادة دعائية لنظام الاتصال الجماهيري... خطف الطائرات والسفن والاعتداءات على المطارات والمصارف، عمليات ليس المقصود منها سوى الآثار الدعائية... إن حرب الأعصاب أو الحرب النفسية تكتيك عدواني يقوم على أساس الاستخدام المباشر أو غير المباشر لوسائل الاتصال الجماهيري" (Marighella, M.(n.d.)). وفي ضوء ذلك يمكن أن نفهم عبارة Walter Laqueur الشهيرة: " إن الإعلامي هو أفضل صديق للإرهابي "(In Alexandar 1978,p101).

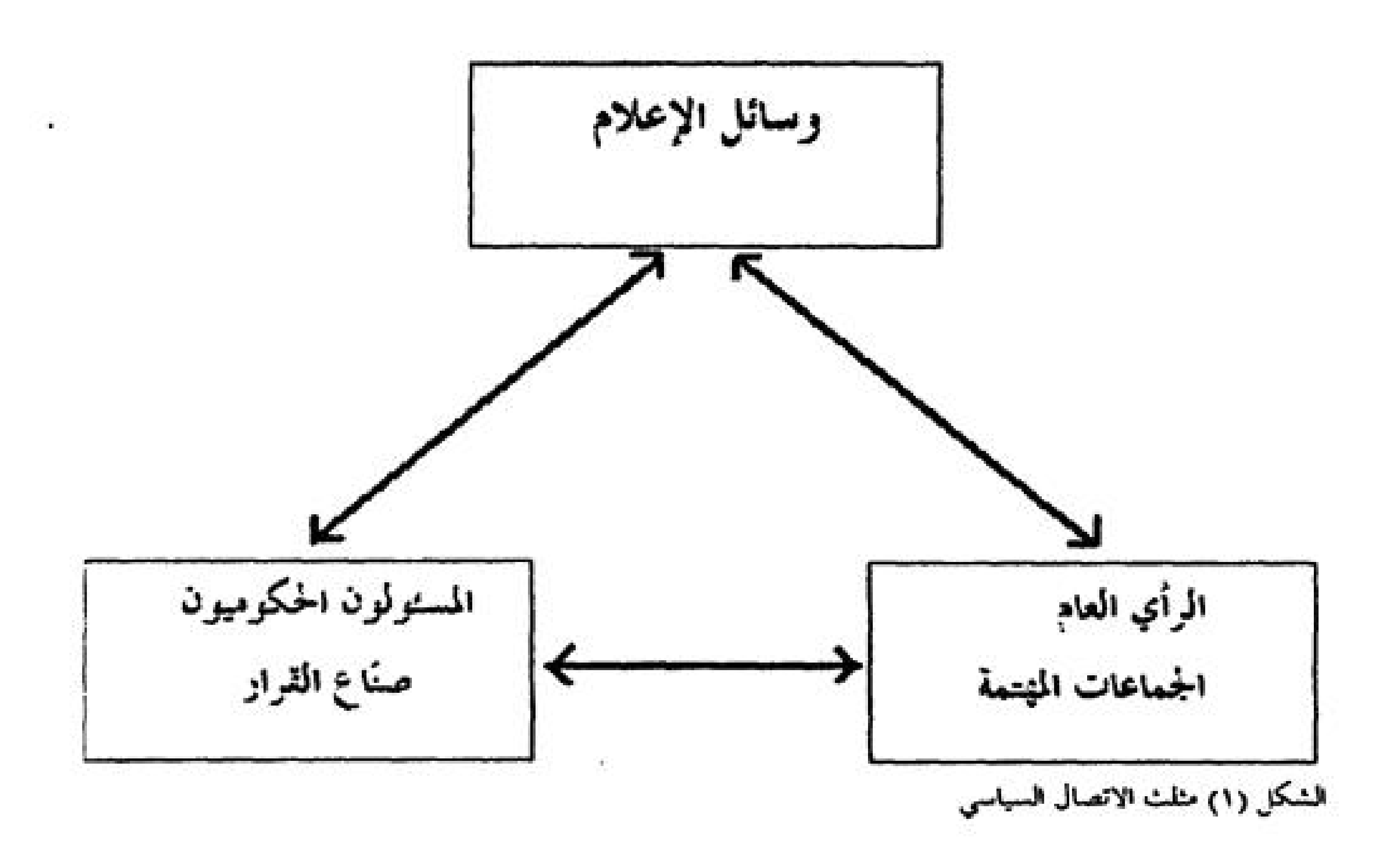
٥- تحديد العملية الإرهابية وفق منظور إعلامي:

تسهم الاعتبارات الإعلامية في تحديد توقيت العمليات الإرهابية وأماكنها وأهدافها. تجري عملية ربط العمليات الإرهابية بالأحداث والتطورات الراهنة، كما تُحدَّد أهدافها في ضوء المعطيات والمستجدات التي تبرزها وسائل الإعلام في المجالات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والثقافية...الخ. ويتم الحرص على استهداف الشخصيات من النخبة، واستهداف الأماكن الهامة التي تهتم بها وسائل الإعلام الجماهيري، والتي يتواجد فيها عدد كبير من الناس، وكذلك التي يَسهل على وسائل الإعلام الوصول إليها. جاء في اعترافات McVeigh، المتهم بقنابل أوكلاهوما ١٩٩٥، التي أدت إلى مقتل ١٦٨ شخصاً، أنه اختار مكان

التفجير في مبنى Murrah Fedrel لأن هذا المكان يتيح لأكبر عدد من رجال الصحافة والإذاعة والتلفزيون أن يغطوا الحدث.

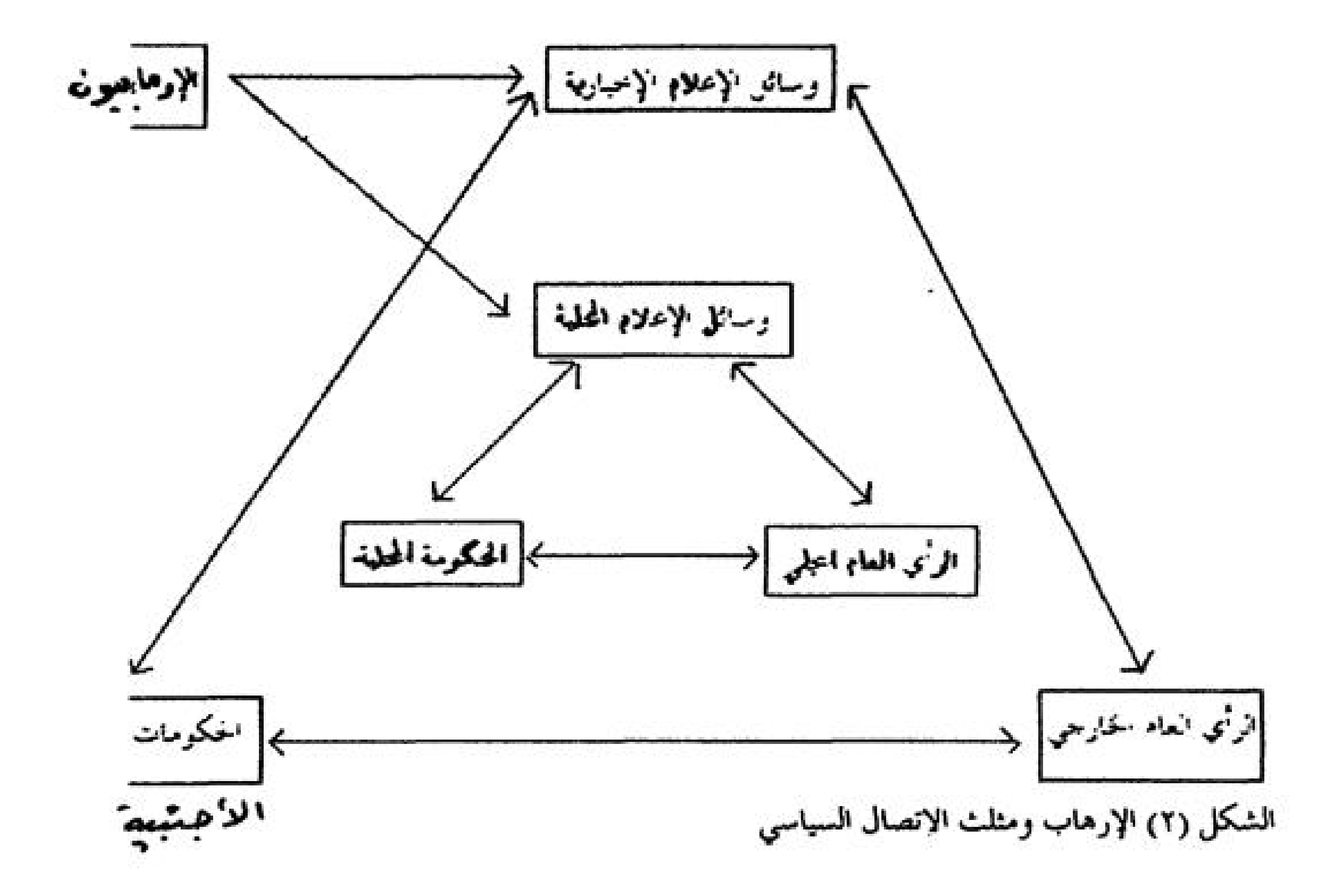
٦ – ليس قتل الأشخاص وتدمير المنشآت من خلال العمليات الإرهابية هدفاً قائماً بذاته، بل هو وسيلة لتحقيق أهداف أخرى من خلال تغطية وسائل الإعلام المختلفة لهذه العمليات. بالنسبة للمجرم العادي، يُشكّل قتل الضحية هدفاً، أما بالنسبة للإرهابي، فإن الضحية المباشرة هي مجرد أداة. إنها مجرد "جلد الطبل"، الذي يتم ضربه من أجل تحقيق أثر متعمد في جمهور واسع. وهكذا فإن العمل الإرهابي في الحقيقة هو فعل اتصالي(Schmid&DeGraf,19-82)، والضحايا المباشرون للإرهاب هم مجرد أداة أو وسيلة لتحقيق الاتصال، لأن ما يهم الإرهابيين هو إيصال الرسالة وليس فقط قتل الضحية. وهذا ما يفسر حقيقة أن الإستراتيجية الإعلامية للإرهابيين تقوم على أساس جذب وسائل الإعلام لتغطية العمليات الإرهابية من أجل إظهار عجز السلطات، وبث الذعر في أوساط رجال الأمن، وكسب تعاطف الجماهير وتأييدها.

وقد أوضحت Nacos (2002) أن وسائل الإعلام الجماهيري ليست محايدة، وليست مجرد قنوات اتصالية سلبية، ونحتت مفهوم "الإرهاب المروَّج عبر الإعلام Mass-Mediated Terrorism"، الذي يبرز مسألة تشديد الإرهابيين على استخدام وسائل الإعلام لنشر أفعالهم وقضاياهم، دون أن يعني ذلك توجيه الاتهام للدور الذي يقوم به الإعلام، وإنما احتلال تغطية الإرهاب موقعاً مركزياً في الاتصال الممارس عبر وسائل الاتصال الجماهيري، وأن هذه الوسائل تمثل في الواقع أحد زوايا المثلث الاتصالي التالي:



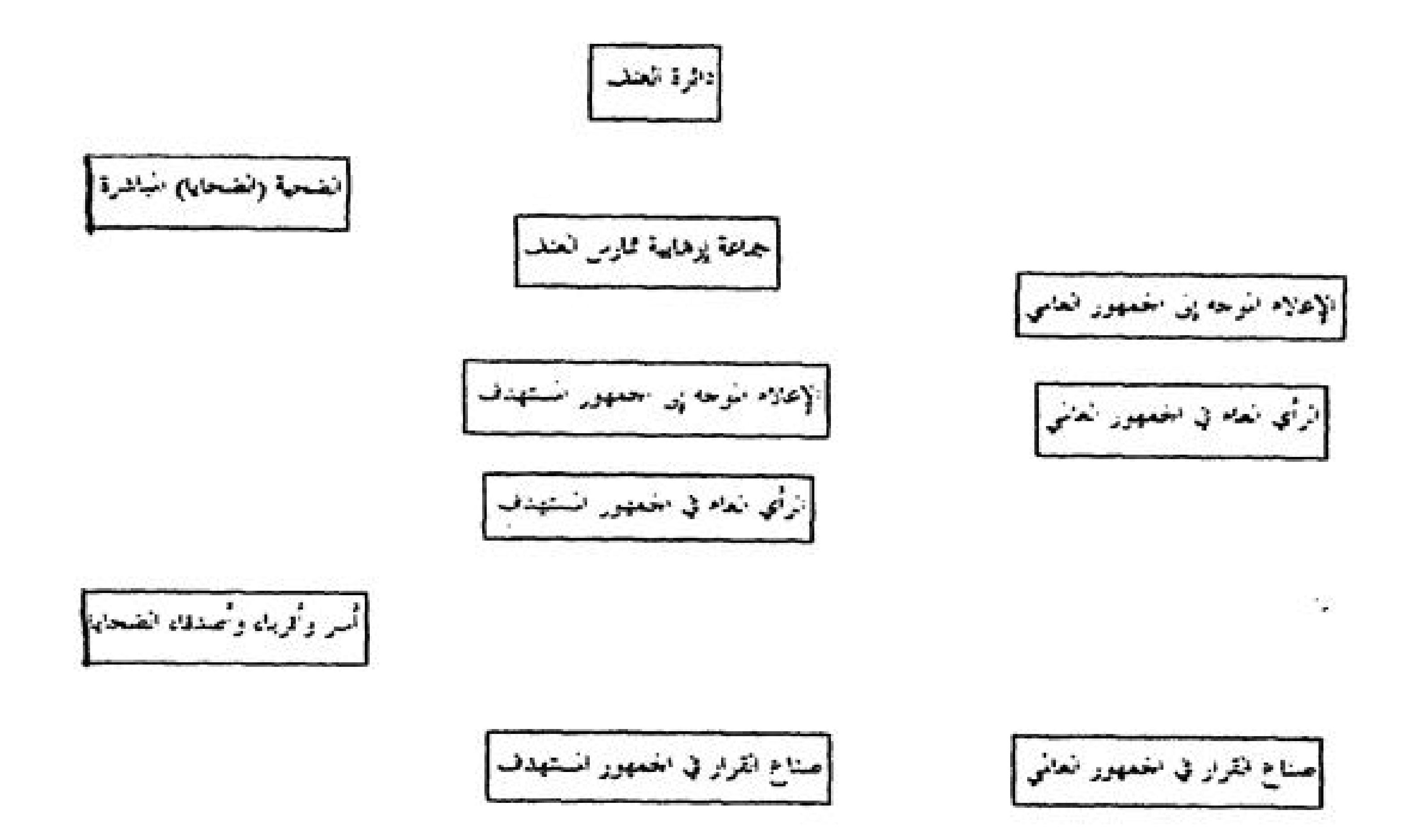
الشكل (١) مثلث الاتصال السياسي

أما إذا ما أخذنا بعين الاعتبار الطابع المعولم للنظام الاتصالي، فقد أصبح الإرهابيون يطمحون لكسب انتباه إعلامي خارج بلدانهم، كما يوضح الشكل التالي:



الشكل (٢) الإرهاب ومثلث الاتصال السياسي

أو وفق الشكل التالي (Nacos,1994)



الشكل (٣) دائرة العنف

كتب ويلكينسون، Wilknson) (Dale (1998) in Nacos,2002,p:14)

"إن العمل الهادف لقتل المئات في الطائرات والتفجيرات يعني بحد ذاته أن الإرهابيين يبحثون عن تغطية مثيرة لأعمالهم. وسواء أحببنا ذلك أم لا، فإن وسائل الإعلام الجماهيري أصبحت جزءاً لا يتجزأ من إستراتيجية تحقيق الإرهابيين لأهدافهم. ولهذا يجب على هذه الوسائل أن تكون حكيمة ومسؤولة قدر الإمكان في تغطيتها لهذه العمليات الإرهابية".

٧- إن الشرط المحدِّد للقيام بالعمليات الإرهابية هو نشرها عبر وسائل الإعلام الجماهيري. إن العملية الإرهابية التي لا ينقلها الإعلام لا جدوى منها،

وكأنها لم تحدث. وسائل الإعلام هي أفضل صديق للإرهاب. الإرهاب لوحده لا شيء... نشره عبر وسائل الإعلام هو كل شيء، لأن هذا النشر هو أوكسجين الإرهابيين، وبدونه تصبح العملية الإرهابية كالشجرة التي تسقط في الغابة دون أن يراها أحد، ودون وجود كاميرا تصورها، فهي كأنها لم تسقط. إن الحدث الذي لا ينقله الإعلام، يصبح في واقع الأمر، من منظور التأثير، كأنه لم يحدث. وهذا بالضبط ما يميز الجريمة الإرهابية عن غيرها من الجرائم. وستكون الجماعات الإرهابية غير سعيدة على الإطلاق، بل ومُحْبَطة، إذا ما عرفت أن جريمتها لن تُكشف، ولن تجذب اهتمام الإعلام، وبالتالي اهتمام المجتمع. فإذا ما ظلت الجريمة الإرهابية حبيسة مكان واحد، حيث يوجد عدد من الضحايا، دون أن يهتم أحد آخر بها، فإن الإرهابي (والجماعة الإرهابية) لن يرتكب مطلقاً مثل هذه الأعمال، لأن كل ما يريده هو الوصول عبر الإعلام ومن خلال العملية الإرهابية إلى الجمهور لنقل رسائل تخدم " القضية ". فلا وجود لعملية إرهابية بدون إعلام. والإرهابي مجرم يبحث عن الأضواء. ويحرص جميع المجرمين الآخرين إخفاء جرائمهم والتستر عليها، إلا الإرهابي، فإنه يبحث عن نشر جريمته على أوسع نطاق ممكن من خلال الوصول إلى وسائل الإعلام الجماهيري والاستفادة من قوتها الهائلة.

٨- استغلال الطابع المثير للعملية الإرهابية واندفاع الجماهير للاطلاع عليها. يُعد العمل الإرهابي دراما كاملة. تتضمن الصراع والإثارة والشخصيات وتطور الأحداث والأزمة والحبكة والحل...الخ. وهذا ما يجعل العملية الإرهابية بالغة الإثارة والغرابة، وبالتالي مثيرة للفضول والرغبة في الاطلاع والمتابعة. كما أن العملية الإرهابية، من جهة أخرى، تؤثر في حياة الناس ومدى شعورهم

بالاستقرار والطمأنينة والأمن. الأمر الذي يدفعهم إلى الاندفاع إلى مصادر إعلامية متنوعة لمتابعة العمليات الإرهابية. يدرك الإرهابيون ذلك جيداً، ولذلك يبنون إستراتيجيتهم الإعلامية على أساس مساومة وسائل الإعلام واستغلالها أثناء تغطية العلميات الإرهابية من أجل نشر معلوماتهم وبياناتهم ووجهات نظرهم، وإيصالها إلى أوسع الجماهير.

٩- **البقاء دوماً موضع اهتمام وسائل الإعلام** والجماهير عن طريق البقاء باستمرار على لائحة الأحداث. يحرص الإرهابيون على استمرار حضورهم في الساحة الإعلامية، كما يحرصون على استمرار وجودهم ضمن دائرة اهتمام الجمهور. ولذلك يحرصون على القيام بعمليات إرهابية على فترات، لاعتقادهم أن توقف هذه العمليات لفترة طويلة، سوف يبعدهم عن الإعلام، وبالتالي، عن الوصول إلى الجماهير، الأمر الذي يؤدي إلى نسيانهم، وإلى صعوبة إيجاد متعاطفين معهم وتجنيد عناصر جديدة واستقطابها. وهذا ما يفسر قيام الإستراتيجية الإعلامية للإرهابيين على أساس البقاء في دائرة الضوء وفي مركز الاهتمام، سواء من جانب وسائل الإعلام أو الجماهير. وإزاء ذلك يصبح الإرهاب كالإعلان الذي يسعى إلى زيادة فعاليته من خلال تكرار رسائله.

١٠- **التقديم المشهدي (Spectacular) للعمليات الإرهابية** من خلال وسائل الإعلام الجماهيري: تقوم الإستراتيجية الإعلامية للإرهابيين على أساس استغلال مشهدية العملية الإرهابية إلى الحد الأقصى في مختلف وسائل الإعلام، وخاصة التلفزيون. وتحرص هذه الإستراتيجية على تقديم مشهد متكامل يحقق عملية الإبهار وليس الوعي. إن المقصود هو الاستثارة من خلال المعلومة المنتقاة بدقة، والانفعال من خلال الشعار المصاغ بدقة، والأهداف التي جرى تحديدها

في ضوء هموم الناس وانشغالاتها، والاستمالات العاطفية التي جرى تحديدها واستخدامها ببراعة، والصور المزدحمة بالدلالات والإيحاءات، والاستثارة البصرية. على أن يتم تنفيذ ذلك كله وتقديمه عبر مشهد درامي متكامل، يظهر فيه الإرهابي بطلاً يمتلك عقيدة ويدافع عن قضية ويتبنى مصالح الجماهير. وهكذا تقوم الإستراتيجية الإعلامية للإرهابيين على استبدال الواقع الحقيقي بهذا الواقع المشهدي الافتراضي، الذي يهدف إيجاد مناخ نفسي- انفعالي من خلال الإبهار المناسب لنوعية الرسالة التي يريد الإرهابيون نقلها عبر وسائل الإعلام وإيصالها إلى الجماهير الواسعة.

١١- **مضامين رسالة الإرهابيين الإعلامية:** يتهرب الفكر الإرهابي المتعصب والانعزالي من مواجهة قضايا الواقع المتشابكة والمعقدة. وتؤكد الممارسة أنه عجز عن تقديم قراءة معمَّقة لحالة الإحباط وانسداد الآفاق، وفشلَ في استخدام لغة مفهومة من جانب شرائح واسعة من المجتمع. قرأ الإرهاب الواقع قراءة خاطئة، تماماً كما قرأ النصوص الدينية قراءة خاطئة، وتوصل بالتالي إلى استنتاجات خاطئة. وحين وجد نفسه معزولاً، كَفَّرَ الجميع. وهذا ما يفسر أن الإستراتيجية الإعلامية للإرهابيين تقوم على أساس تقديم رسائل إعلامية ذات مضامين تقوم على أساس معلومات جزئية ومتحيزة ومجتزأة وغير متكاملة وغالباً ليست ذات دلالة. كما تقوم على أساس رفع شعارات انفعالية تستغل المشاعر الإنسانية والوطنية والدينية، وعلى تحديد أهداف غير واقعية وغير مفهومة وغير قابلة للتحقيق.

استطاع الإرهابيون في بعض البلدان ولبعض الوقت تجيير إخفاقات الأنظمة وإحباطات الشعوب لصالحهم. وهذا ما يفسر تمتعهم في تلك البلدان

وفي تلك الأوقات بقدر من التفهم وربما الشعبية. ولكن سرعان ما أدركت الجماهير أن هذه القوى لها أجندها الخاصة، وهي بالتأكيد لا تمثل الشعوب ولا تخدم مصالحها، ولهذا ابتعدت عنها. الأمر الذي دفع الإرهابيين لوصف هذه الشعوب بأنها جاهلة ومضلّلة، الأمر الذي زاد من عزلة الإرهابيين، ودفعهم إلى المزيد من العنف العبثي. ومع ذلك ما زال الإرهابيون يراهنون على التأثير في هذه الجماهير من خلال الإعلام لكسب تعاطفها، ولتجنيد عناصر جديدة من صفوفها.

١٢ - التعاون الانتقائي مع وسائل الإعلام الجماهيري:

يدرك الإرهابيون مدى احتدام المنافسة بين وسائل الإعلام المختلفة (وخاصة القنوات الفضائية) في الدول التي يوجد فيها تعددية سياسية وإعلامية.ولذلك فهم يحاولون استخدام هذه المنافسة لصالحهم. وأصبحوا يحددون الصحفيين والمحطات التلفزيونية والإذاعية التي يتعاملون معها بشكل عام وأثناء حدوث العمليات الإرهابية على نحو خاص. وقد ضمنت لهم هذه الطريقة مزيداً من قوة التأثير في هذه الوسائل المنتقاة، التي أصبحت تقدم المزيد من التنازلات للإرهابيين مقابل انفرادها بتغطية عملياتهم ونشر وثائقهم وبياناتهم وتصريحاتهم.

١٣ - تقديم مواد إعلامية صحفية وتلفزيونية جاهزة للنشر أو للبث:

أصبح الإرهابيون مؤخراً أكثر خبرة فيما يتعلق بالسيطرة على الرسائل المراد إذاعتها ونشرها، وخاصة من خلال علاقتهم مع صحف أو صحفيين أو مع محطات تلفزيونية وإذاعية معينة. وهكذا أصبح الإرهابيون ينتجون موادهم الإعلامية، وخاصة الشرائط التلفزيونية الخاصة التي تُصَوَّر عن طريق الفيديو،

والتي يشرفون عليها بدقة حتى تأتي متطابقة تماماً لأهدافهم، وحتى لا يتركون عمليات الصياغة والإعداد لمزاج الصحفيين ومواقفهم وسياساتهم.

١٤- الظهور بمظهر الشخصيات العامة:

يحرص الإرهابيون على تقديم أنفسهم في الإعلام كشخصيات سياسية أو اجتماعية أو دينية عامة معنية بقضية عامة، وتمتلك برامج وأفكاراً لمعالجة القضايا العامة. ويتضح ذلك على نحو خاص في المقابلات التي تجريها وسائل الإعلام المختلفة مع قادة إرهابيين، وفي التصريحات التي يدلون بها، والبيانات التي تصدر عنهم.

١٥- **يشكل الاستغلال الدعائي للإجراءات الأمنية التي تتخذها** السلطات في سياق مواجهتها للإرهاب وللعمليات الإرهابية واحداً من الأسس الهامة للإستراتيجية الإعلامية للإرهابيين. إذ من المؤكد أن مواجهة الإرهاب أمنياً وفكرياً، تستدعي، بالضرورة، اتخاذ بعض الإجراءات الأمنية التي تتضمن فرض قيود عامة على بعض أنشطة الناس وتحركاتهم وحرية اطلاعهم، وربما أدى هذا إلى قدر من انتقاص الحريات العامة، الذي يمكن أن يفهمه الناس ويتحملونه بسبب فهمهم لدواعي وجوده. ولكن الدعاية الإرهابية تندفع لتستغل هذه الإجراءات الجزئية والمؤقتة، والتي تم اتخاذها بسبب النشاط الإرهابي، لتحريض الرأي العام ضد هذه الإجراءات التي تؤكد أن الدولة قد تحولت إلى دولة قمعية وأمنية. وتظهر هذه التنظيمات، مرة أخرى، بأنها تدافع عن حرية الجماهير ومصالحها ضد الدولة الأمنية.

الأهداف التي يسعى الإرهابيون إلى تحقيقها من خلال وسائل الإعلام

يسعى الإرهابيون إلى تحقيق الأهداف التالية من خلال الإعلام:

١- يحرص الإرهابيون دائماً على **الوصول إلى وسائل الإعلام** من أجل الاستفادة من انتشار هذه الوسائل وقوة تأثيرها بهدف إيصال رسائل إلى الشرائح المختلفة من الجماهير تعبر عن مواقف هذه الجماعات، وتحمل آراءها ووجهات نظرها. ويرى E.Morrise (١٩٧٩،ص٤٤) "العمل الإرهابي عادة ما يركِّز على التأثير على عقل الجماهير وقلبها، أي التركيز على ما يفكر فيه الناس وما يشعرون به، وهذا ما يؤثر على سلوكهم ". وهذا ما يفسر حرص هذه الجماعات على إيجاد علاقة ثابتة وربما راسخة مع وسائل الإعلام (أو بعضها) بطرق وأشكال مختلفة. ولكن هذا الحرص يزداد أثناء العمليات الإرهابية، وذلك نظراً، وكما أشرنا سابقاً، إلى حقيقة أن العملية الإرهابية هي عملية رمزية ودعائية أساساً، وليست مقصودة لذاتها. بل إنها، في الأعم والأغلب، مجرد وسيلة للاتصال بالجماهير ونقل رسائل معينة لها. العملية الإرهابية، ومهما بلغت حدتها وفظاعتها، تبقى محدودة في الزمان والمكان والأثر. أما حين تحظى بتغطية كثيفة عبر وسائل الإعلام، ووفق المنظور الذي يمليه الإرهابيون، وبالمضامين التي يحددونها (وخاصة في الدول الغربية)، فإن آثارها تتضاعف، وقوة تأثيرها تتزايد.

٢- يحرص الإرهابيون أثناء العمليات الإرهابية، وخاصة في الدول الغربية، على أخذ زمام المبادرة، ليس فقط لجذب وسائل الإعلام وخاصة التلفزيون لتغطية هذه العمليات، بل **للتحكم بهذه التغطية**، وفرض شروطهم وإملاءاتهم على وسائل الإعلام، هادفين بذلك استخدام وسائل الإعلام لتقديم تغطية إعلامية لهذه العمليات تصل إلى الجماهير الواسعة، وتعرِّف الشرائح المختلفة من هذه الجماهير بالقضية التي "يناضلون" من أجلها، وشرح مواقفهم، وعرض آرائهم إزاء هذه القضية.

٣- يسعى الإرهابيون إلى **توجيه التغطية الإعلامية** لعملياتهم بحيث تظهر مقدرتهم على توجيه ضرباتهم في الوقت الذي يريدون، وفي الأمكنة التي يختارون، وضد الأهداف التي يحددون، هادفين بذلك إعطاء انطباع عن عجز السلطة عن مواجهتهم.

٤- كما يسعى الإرهابيون من خلال التغطية الإعلامية المكثفة لعملياتهم **إظهار فشل الأجهزة الأمنية** المختلفة في مواجهتهم، وإلى نشر الرعب والذعر في أوساط هذه الأجهزة، أملاً في إضعاف روحها المعنوية، ومن ثم تحييدها.

٥- ويحرص الإرهابيون على **نشر القلق والخوف في أوساط الجماهير** على أوسع نطاق ممكن من خلال التغطية الإعلامية لعملياتهم أملاً في التأثير في هذه الجماهير وإقناعها بعجز السلطات عن حمايتها، وبالتالي، يوجدون مناخاً من القلق، يعتقدون أنه يفتح لهم أبواب التأثير في هذه الجماهير، وتحييدها، وإبعادها عن السلطة وعن الأجهزة الأمنية. وتعتمد عملية نشر الرعب هذه على أمرين: قدرة وسائل الإعلام على نشر الحدث الإرهابي وإذاعته، حيث تتوافق

فاعلية الإرهاب توافقاً طردياً مع قدرة وسائل الإعلام، والأمر الثاني رغبة وسائل الإعلام في نشر الحدث الإرهابي. فكلما زادت تلك الرغبة كلما حظيت الأحداث الإرهابية بالاهتمام، وتصدرت أخبار وسائل الإعلام (عز الدين، ١٩٨٧).

٦- تدفع العمليات الإرهابية وأجواء القلق والخوف المحيطة بها الدولة إلى اتخاذ إجراءات أمنية مكثفة لمواجهة الإرهابيين. ومن المؤكد أن هذه الإجراءات قد تقيد من حرية المواطنين، وتزيد من عزلة السلطات وأجهزتها الأمنية عن الشعب، وتراكمياً قد تؤدي إلى إظهار الدولة بمظهر الدولة الأمنية البوليسية. وأثناء ذلك كله يحاول الإرهابيون، ومن خلال وسائل الإعلام، وكما أشرنا سابقاً، **تجيير هذه الإجراءات الأمنية**، التي هم السبب الحقيقي لاتخاذها، لصالحهم واستغلالها لتصعيد التوتر بين السلطات والشعب.

٧- يسعى الإرهابيون إلى استخدام الإعلام للتأثير في الرأي العام ودفعه **للضغط على السلطة السياسية** من أجل اتخاذ إجراءات معينة تنسجم مع مصالح الإرهابيين وأهدافهم.

٨- يهتم الإرهابيون باستخدام وسائل الإعلام **لتحديد أجندة هذه الوسائل** وما هي المواضيع التي تهتم بها، وذلك كأساس ومنطلق لتحديد أجندة الجمهور والمواضيع التي يهتم بها. والهدف من ذلك تسليط الأضواء على القضايا التي يحددها الإرهابيون وتخدم مصالحهم و " قضيتهم ".

٩- من المهم جداً بالنسبة للإرهابيين أن يبقوا، وأن **تبقى " قضيتهم " تحت الأضواء**، وموضع اهتمام وسائل الإعلام والجماهير. ولذلك يحرص

الإرهابيون على تكرار عملياهم الإرهابية، وعلى تحقيق تغطية إعلامية مكثفة لها. كما يحرصون على استمرار اتصالهم بالجماهير سواء عن طريق إعلامهم الخاص أو عن طريق علاقاهم الوثيقة مع بعض وسائل الإعلام. يسعى الإرهابيون دائماً إلى أن يبقوا في ذاكرة الجماهير واهتمامها، ويتجنبون إمكانية أن تنساهم الجماهير. ولذلك يتصف الإرهاب بالتنظيم المتصل للعنف، لا يمكن أن يحدث العنف في النشاط الإرهابي أثره في خلق حالة التهديد كمحصلة للعنف الإرهابي إلا إذا كان ذلك العنف منظماً من خلال حملة إرهاب مستمرة. فالعمل العنيف مهما كانت نتائجه وآثاره على المستوى الوطني أو الدولي، لا ينتج أثراً في إحداث حالة التهديد، إلا إذا كان جزءاً من مجموعة منظمة من النشاطات الإرهابية، والمقصود بكلمة منظمة أن يكون النشاط متصلاً ومتسقاً من خلال عمليات أو مشروعات إرهابية تؤدي إلى حالة الرعب (عز الدين،١٩٨٧).

١٠- في ضوء الأهداف السابقة، **يهدف الإرهابيون** من خلال استغلالهم قوة وسائل الإعلام وتغطيتها لنشاطاهم وعملياهم، وتأمين اتصالهم بالجماهير الواسعة تحقيق ما يلي:

ا- **تَفَهُّم الجماهير لقضيتهم**: يعتقد الإرهابيون أن الإعلام الرسمي يعطي الجمهور صورة غير صحيحة عنهم. ولذلك فهم يسعون لاستخدام الإعلام لتقديم صورة صحيحة عن قضيتهم إلى الجماهير، بهدف التأثير في هذه الجماهير للاستماع إليهم، وتفهم موقفهم وقضيتهم.

ب- **التعاطف**: الهدف الثاني الذي يأمل الإرهابيون تحقيقه بعد تفهم الجماهير لقضيتهم، هو التعاطف معهم ومع قضيتهم، وخاصة من جانب الشرائح والفئات التي لديها قدر من الاستعداد للتأثر برسائلهم.

ج- **التأييد**: يسعى الإرهابيون إلى تطوير إستراتيجيتهم الإعلامية من التفهم والتعاطف لتصل إلى التأييد، الذي قد يأخذ أشكالاً مختلفة مثل: عدم تأييد الجماهير للسلطات، أو اتخاذ موقف الحياد، أو التأييد الضمني- الصامت لهم، الذي قد ينتهي بالتأييد النشط والفعال مادياً ومعنوياً.

د- يحرص الإرهابيون على استخدام وسائل الإعلام **لإيصال** رسائلهم إلى الجماهير من أجل التأثير في هذه الجماهير **واكتساب الاحترام والشرعية** من جانبها. إن أقصى ما تهدف إليه هذه الجماعات بعد التفهم والتعاطف والتأييد هو الاعتراف بها كقوى شرعية محترمة تناضل حقيقة من أجل قضية مهمة تهم الجماهير وتخدم مصالحها.

١١- **تغيير الصورة النمطية الذهنية** التي أوجدتها وسائل الإعلام والترفيه الجماهيرية عن الإرهابيين ورسختها في أذهان الجماهير الشعبية. إذ تحرص وسائل الإعلام وخاصة في الأوقات العادية وخاصة في الأعمال الترفيهية التلفزيونية والسينمائية على تكوين صورة عن الإرهابيين، سواء فيما يتعلق بانتماءاتهم وأهدافهم وأخلاقهم كأفراد وجماعات. ويعتقد الإرهابيون أن هذه الصورة سلبية وغير واقعية بل ومضلّلة. ولذلك فإنهم يحاولون استغلال حاجة وسائل الإعلام لهم أثناء الأزمات والعمليات الإرهابية للتأثير في هذه الوسائل

واستخدامها لنشر معلومات وبيانات وتصريحات يعتقدون أنها تمثل صورهم الحقيقية.

١٢- الاستفادة إلى أقصى حد ممكن من **وسائل الاتصال الإلكترونية** الحديثة. على نحو ما سنوضحه لاحقاً.

استخدام الإرهابيين لوسائل الاتصال الإلكترونية

أحدثت وسائل الاتصال الإلكترونية الحديثة (الإنترنت والكومبيوتر والبريد الإلكتروني والفاكس والجوال) تبدلات نوعية في شكل الاتصال ومضمونه. وقد استطاعت التنظيمات الإرهابية أن تستخدم هذه الوسائل، وأن تستفيد منها على النحو التالي:

١- أخرجت وسائل الاتصال الإلكتروني العملية الاتصالية من نطاق السيادة الوطنية. و لم تعد الدول قادرة على فرض رقابتها المطلقة على هذه الوسائل، كما كان الأمر بالنسبة للوسائل التقليدية. وهذا ما جعل هذه التنظيمات الإرهابية تمتلك مواقعها على شبكة الإنترنت، وتقدم من خلالها، وبشكل مباشر وسريع إعلامها الخاص، غير الخاضع لأي رقابة من قبل السلطات، وغير الخاضع لأي تصفية أو تعديل من جانب رجال الإعلام.

٢- مكّنت وسائل الاتصال الإلكتروني، التي أوجدت ما يسمى بالعولمة الإلكترونية، التنظيمات الإرهابية من تحقيق أوسع انتشار ممكن،ليشمل حدود الكون بأسره. وهذا ما أعطاها إمكانية أن تظهر بمظهر أكبر من

حجمها الحقيقي. الأمر الذي ساعدها على توظيف ذلك إعلامياً ودعائياً، كما أعطاها مقدرة أكبر على تحقيق أوسع تعبئة ممكنة لعناصرها وجماهيرها والقوى المتعاطفة معها.

٣- تركت العولمة الإلكترونية أيضاً آثارها المهمة على الأشكال التنظيمية للمنظمات الإرهابية. فقد وفرت هذه الوسائل الحديثة أشكالاً جديدة من القيادة والتواصل والتنسيق، سواء بين التنظيمات المختلفة أو داخل التنظيم الواحد. إذ أحدثت هذه الوسائل تبدلات بنيوية في التنظيم الداخلي للتنظيمات الإرهابية، بحيث أصبح من الصعب الوصول إلى قيادة التنظيم الموجودة على رأس الهرم، لأنه لم يعد من الضروري، ومع وجود هذه الوسائل، أن توجد هذه القيادة في مكان واحد. كما وفّرت هذه الوسائل تحقيق أقصى قدر من السرية، إذ من المؤكد أن وسائل الاتصال الحديثة تؤدي دوراً مهماً في ضمان عنصر السرية(العمر،٢٠٠٥)

٤-أسهمت التبدلات العميقة التي أحدثتها وسائل الاتصال الحديثة وظهور ما يسمى" مجتمع الشبكات " تغييراً في طبيعة الصراع السياسي ذاته. وأصبح الكثير من الصراعات تدور حول المعرفة. وقد نحت الباحثان Arquilla و Ronfeldt (2001) مصطلح " حرب الشبكات Netwar " ليوضحا هذا الشكل الجديد من التطور الحادث في طبيعة الصراعات، وعرّفا هذه الحرب بأنها: شكل جديد من الصراع، أعلى مستوى اجتماعي، ومختلف عن الحرب العسكرية التقليدية، نظراً لأن المتحاربين يستخدمان شبكات ومؤسسات وإستراتيجيات وتكنولوجيا، تنتمي إلى عصر المعلومات. وقد اندفعت

التنظيمات الإرهابية، سعياً لتحقيق أهدافها الدعائية، لخوض هذه الحرب بطريقة دفعتها في بعض الأحيان إلى التوقف مؤقتاً عن استخدام العنف من أجل تحقيق أهداف سياسية، كما دفعت بعض التنظيمات إلى إعادة تقييم الأهمية الاتصالية للعمليات الإرهابية.

٥- استطاعت التنظيمات الإرهابية الاستفادة إلى أقصى حد ممكن ليس فقط من الإمكانيات التقنية لوسائل الاتصال الحديثة لتحقيق أوسع انتشار ممكن، بل وللاستفادة أيضاً من خصائص الإعلام الإلكتروني، وخاصة ما يتعلق بالطابع التفاعلي لهذا الإعلام. بمعنى أنه يوفر الفرصة للمتلقي لأن يتفاعل مع الرسالة ومع المرسل، ومن أن يقيم صلات مباشرة معهما. وهذا ما يؤدي إلى كثافة التواصل، وبالتالي، إلى تقوية تأثير الرسائل الإعلامية. كما استفادت هذه التنظيمات من خاصية اللاتزامن التي يتميز بها الإعلام الإلكتروني، بمعنى عدم وجود قيود زمنية محددة على استلام الرسائل الإعلامية وتلقيها، كما هو الحال في وسائل الاتصال التقليدية. يوفِّر الإعلام الإلكتروني للمتلقي حرية أن يتعرض للرسائل التي يريد، في الوقت الذي يريد، وفي المكان الذي يريد،

٦- وفَّرت وسائل الاتصال الإلكتروني المعولم فرصة غير مسبوقة للتنظيمات الإرهابية في مجال تحقيق الاتصال المباشر والسريع والسري مع كافة فروع التنظيم وأفراده، وهذا ما وفَّر للتنظيم مرونة في التخطيط والتنفيذ، تركت آثارها المهمة على أساليب عمل الإرهابيين وطرق تنفيذهم لعملياهم (Monge and Fulla,2001).

٧-أتاح الاتصال الإلكتروني المعولم للإرهابيين أن يشبعوا حاجتهم إلى المعلومات. فقد أصبح بإمكانهم الحصول عن طريق الإنترنت على معلومات عن كل شيء. وهذا ما ساعدهم على الحصول على معلومات عن أهدافهم من أماكن وشخصيات ومبانٍ ومنشآت. فقد أثبتت التحقيقات أن المعلومات الفنية الدقيقة المتعلقة ببرجي التجارة الدولية، قد تمَّ أخذها من مواقع إلكترونية، حتى أن حجز بطاقات السفر للمجموعات المنفذة تمَّ حجزها عبر الإنترنت.

٨-أما من منظور إعلامي، فقد حوَّلت تكنولوجيا الاتصال الحديث (وخاصة البث الفضائي الرقمي والاتصالات الخلوية والإنترنت)، الإرهاب إلى عرض حي، يمكن مشاهدته مرحلة بعد مرحلة، وذلك تماماً كأنه سيناريو معد مسبقاً (Allan, Shpiro,2002).

٩-وفَّرت وسائل الاتصال الحديثة للإرهابيين فرصة غير مسبوقة لتوسيع نطاق عملياتهم ودرجة عالية من المرونة في العمل. الأمر الذي جعلها قادرة على زيادة نشاطها الإرهابي وتوسيع مداه ليتحول إلى إرهاب عابر للحدود الوطنية والقارية. وهذا ما أعطى انطباعاً عن حجم هذه التنظيمات وقوتها أكبر من حجمها الحقيقي ومن قوتها الفعلية. ولكن التنظيمات الإرهابية وظَّفت هذا الانطباع لتنقل إلى الجماهير رسائل دعائية مفادها أنها قادرة على أن تضرب في أي مكان وزمان.

١٠- وأخيراً لا بد من الإشارة إلى أن التنظيمات الإرهابية عرفت كيف تستخدم وسائل الاتصال المعولمة كوسيلة مهمة لجمع الأموال من مختلف الدول ومن نقلها وإيصالها إلى مقاصدها.

العملية الإرهابية: عملية اتصالية

يعتبر الكثير من الباحثين (Tuman,2003) أن العملية الإرهابية هي عملية اتصالية أساساً وبامتياز، منطلقين من أحد الأسس الهامة للإستراتيجية الإعلامية للإرهابيين الذي يؤكد ، كما أشرنا سابقاً، أن العملية الإرهابية ليست غاية بحد ذاتها، بل هي جزء من عملية أوسع، تهدف الاتصال بالجماهير المستهدفة، ونقل رسالة لها، والحصول على استجابة معينة منها.

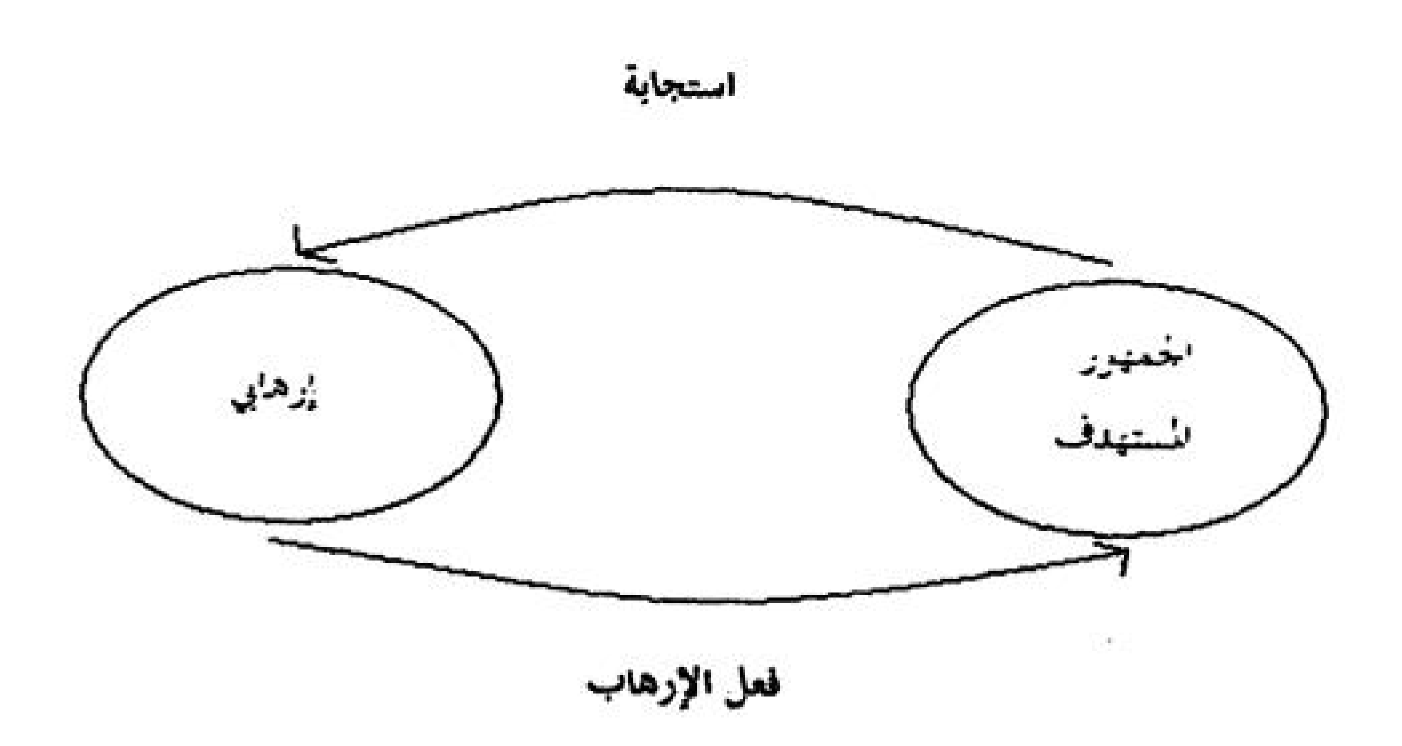
ويفترض النموذج البسيط للاتصال أن الكائنات البشرية مُرْسِلة ومُستقبِلة للرسائل. المرسل يشفّر رسالته (يضعها في رموز Encodes)، على شكل كلمات أو أصوات أو ألوان أو أشكال،ثم يرسلها إلى المستقبل، الذي يقوم بدوره بفك هذه الشيفرة (Decodes)، وحل هذه الرموز، ثم تفسيرها وفهمها والاستجابة لها.وبهذا يكون الاتصال عملية تفاعلية ذات اتجاهين: المرسل يُرسل ويَستقبل، والمستقبل يَستقبل ويُرسل.

وإذا ما افترضنا في هذه العملية الاتصالية أن الإرهاب هو المرسل للرسالة والجمهور (أو المؤسسة أو السلطة) هو المستقبل، فإننا نجد أن تعريف الإرهاب يمكن فهمه بسهولة أكثر. طبعاً، هذه ليست طريق لتبسيط الرعب والخوف والمعاناة المرتبطة بالعنف الإرهابي، ولكنها مجرد محاولة لتعريف الإرهاب بطريقة مختلفة تهدف إيضاح كيف يعمل الإرهاب من أجل أن يؤثر في الجمهور.

الإرهاب يرسل الرسالة إلى الجمهور المستهدف من خلال قيامه بالعملية الإرهابية. ومن المهم جداً أن نُدْرِك أن هذه الرسالة ليست هي العنف أو التدمير

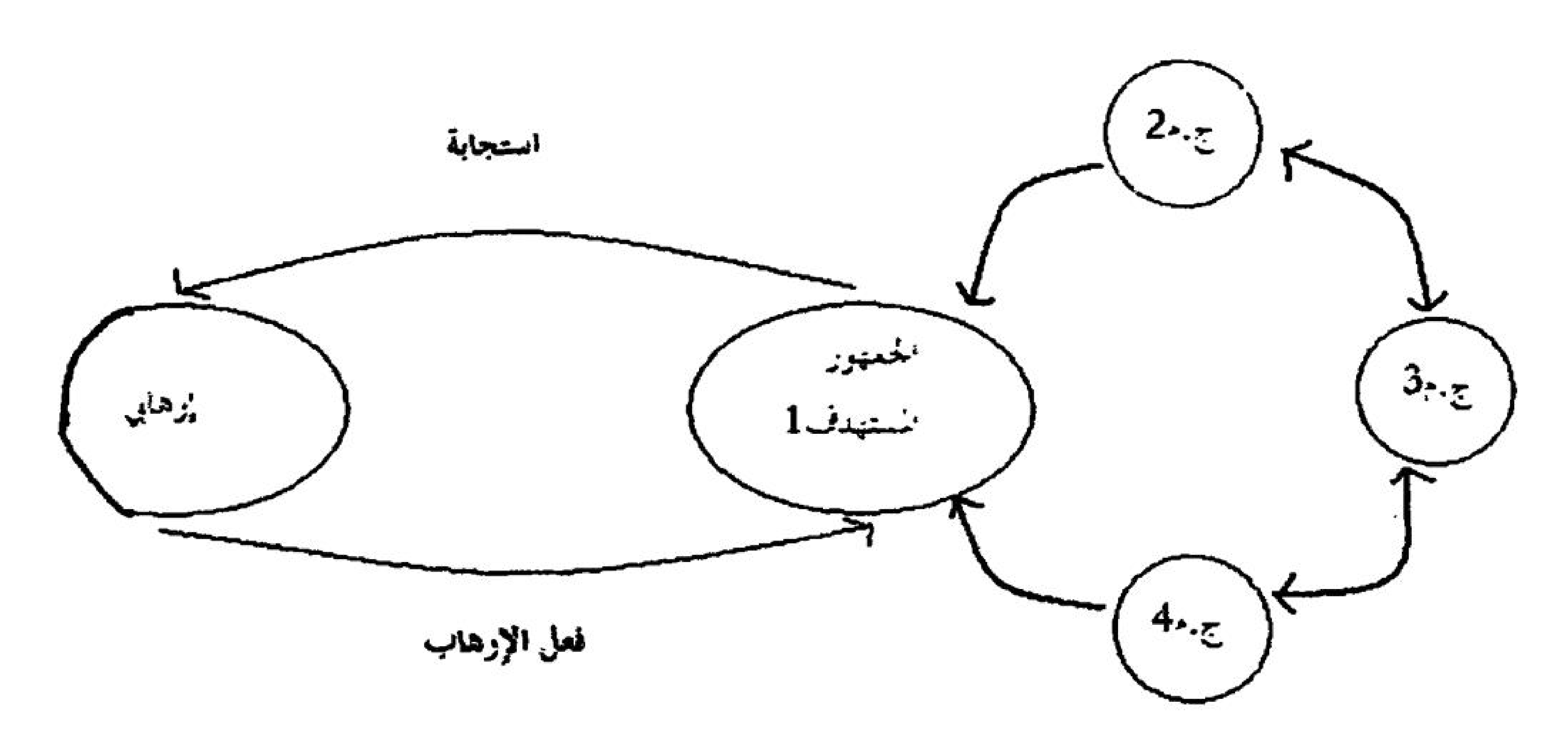
الناجمين عن العملية بحد ذاهما، بقدر ما هي مجموعة الرموز التي تقع ضمن هذا النشاط. وبهذه الطريقة فإن العملية الإرهابية تصبح عملية اتـصالية ذات بعـد بلاغي – خطابي – عاطفي مؤثر، ومستقل تماماً عن القسم البسيط منها المرتبط بالعنف من أجل العنف.

تعتمد عملية التشفير على الطبيعة الرمزية للعنف والتدمير، تمامـا كمـا تعتمد على المقدرة على استخدام وسائل الإعلام الجماهيري المختلفة لنقل مثل هذه الرسالة. وتقوم الجماعات المستهدفة بفك رموز هذه الرسالة بالاعتماد على الطرق والأدوات التي تمتلكها من أجل بناء فهمها الخاص للواقع. وقد تشير هذه الطرق والأدوات إلى اختيار اللغة والكلمات، وإلى النقاش الذي سيُثار حـول العملية، وإلى النقاش الذي سيدور حول كيف يُفَسِّر مستقبلو الرسـالة عـبر وسائل الإعلام الجماهيري هذه الرسالة، وكيف يفهمون مختلف رموزها. ويمكن أن تأخذ هذه العملية الشكل التالي(Tuman2003,p19):



وهكذا، يبدو من الممكن نظرياً أن الإرهابي يستطيع أن يعمـــل داخـــل العملية الاتصالية التي يتصور أنها وحيدة الاتجاه. ولكن الواقع يؤكد أن رســـالة الإرهابي تفاعلية وذات اتجاهين، وذلك نظراً لأن الرسالة الأولى تولّد اســـتجابة معينة، سوف يتم دائماً إيصالها ثانية إلى الإرهابي إما مباشرة (من خلال إجراء حكومي أو مؤشر على نقاش الجمهور) أو بطريقة غير مباشرة (عبر تفـــسير الاستجابة من خلال وسائل الإعلام). وقد تهتم جماهير أخـــرى تـــستهدفها العملية، الأمر الذي يؤدي إلى زيادة تعقيد العملية الاتصالية.

وإذا ما كان الوضع هكذا، فإن ثمة جماهير كثيرة لرسالة الإرهابي. وهذه الجماهير يمكن أن تتواصل فيما بينها، وأن يصدر عنها اســـتجابة مـــستقلة أو مشتركة على العملية الإرهابية بالطريقـــة الـــتي يوضـــحها الـــشكل التـــالي : (Tuman,2003:p19)



من أين يأتي مصداقية الافتراض بأن جماهير متعددة يمكن أن تكون مُستَهدَفة بالإرهاب كعملية اتصالية؟ تأتي من حقيقة أن العنف الإرهابي يمكن أن يوجَّه ضد هدف ، وذلك بغرض التأثير في جمهور مستهدف آخر. وعندما تحدث عملية إرهابية، فإن متلقي هذه العملية هو نوع واحد من الجمهور، وعلى الأرجح يكون هذا الجمهور هو الجمهور الأول، أي الجمهور الذي شهد العملية الإرهابية وراقبها ودخل في حوار مع ما شاهده. وفي الكثير من الحالات يكون الجمهور المستهدف هو الجمهور العام، وخاصة عندما يكون هدف الإرهابيين تغيير سياسة الدولة أو تلبية مطالب محددة أو الثأر. وفي مثل هذه الحالات، يكون الجمهور الأول – العام هو الجمهور المُستهدَف. وإذا ما كانت سياسة الحكومة هي المتضمنة في الرسالة فإن المسؤولين الحكوميين يشكلون الجمهور المستهدف الثاني، وإذا ما كانت سياسة مؤسسة معينة أو أفراد جهاز معين هم أيضاً مُتضمَنون في الرسالة الاتصالية فإن أفراد هذه المؤسسة أو ذلك الجهاز يشكلون الجمهور الثالث. وبهذا يصبح الجمهور المُستهدَف متشابكاً.

يَستخدِمِ الإرهاب الجمهور العام لممارسة الضغط على الحكومة (أو المؤسسة أو الجهاز) من أجل الاستجابة لمطالب الإرهابيين. الجمهور العام منفصل عن الجمهور المستهدَف، الذي يتعرض مباشرة للعملية الإرهابية. وهذان النوعان من الجمهور منفصلان عن جمهور الحكومة (أو المؤسسة أو الجهاز)، الذي قد يستجيب بتغيير السياسة أو الممارسة أو بعد تغييرهما. كما يكون ثمة جماهير أخرى في هذه العملية، تتضمن أعضاء وممثلي وسائل إعلامية مختلفة.

نأخذ أحداث ٢٠٠١/٩/١١ مثالاً، حيث شن تنظيم القاعدة هجوماً على نيويورك وواشنطن ناقلاً بذلك رسالة من خلال العنف والتدمير:

-**الجمهور الأول** لهذه الرسالة هو أولئك الذين تلقوا الحـــدث مباشـــرة، وعانوا من التدمير، أي الأشخاص الذين كانوا في البرجين عنـــد وقـــوع الحدث، وكذلك الأشخاص الذين كانوا في المنطقة المجاورة القريبة مـــن مانهاتن، وكذلك العاملون في البنتاغون، والمسافرون السيئو الحظ علـــى رحلات الطيران في ذلك اليوم.

- **الجمهور الثاني:** هو الشعب الأمريكي، جميع مـــن شـــهدوا العمليـــة وأصيبوا بالذعر من جراء ما رأوه في الرسالة التي أعيد نقلها عبر وســـائل الإعلام المختلفة.

- **الجمهور الثالث:** هم المسئولون الحكوميون في الحكومة الفيدرالية وفي حكومات الولايات، والذين طُلِبَ منهم الاستجابة والرد علـــى هـــذه الهجمات، إما من خلال ضربات عسكرية فعَّالة، أو فـــرض قـــوانين، أو تغيير سياسة خارجية، أو تعزيز الأمن الداخلي، أو إرسال رسائل تهدئة إلى الشعب.

-**الجمهور الرابع:** جماهير تتضمن حلفاء أمريكا (بريطانيا)، والدول التي يمكن أن تكون محايدة (بعض الدول الأوروبية)، والدول التي قد تكون معادية (طالبان في أفغانستان).

هذه قائمة افتراضية بالجماهير المُستهدَفة برسالة ذلك اليوم. كما يمكـــن التفكير بجماهير أخرى. والجماهير المستهدفة تتواصل مع بعضها بشكل إفرادي أو جماعي، وبشكل مباشر أو غير مباشر، وذلك كأجزاء من الدائرة الأكبر التي يمكن أن تكون بمثابة رجع الصدى بالنسبة للإرهابيين. وعندما تتصل جمـــاهير

متعددة ومتنوعة ببعضها، فإنها سوف تنهمك أيضاً في تشفير وفك شيفرة رموز رسائل يمكن أن ترسلها مباشرة أو غير مباشرة إلى الإرهابيين.

كيف يحدث الاتصال وكيف تتم الاستجابة له؟

يستدعي الجواب عن هذا السؤال العودة إلى الإستراتيجية الإعلامية للإرهابيين، التي أوضحناها سابقاً، وإلى موقف الإرهابيين من الاتصال عموماً، وخاصة الأهداف التي يسعى الإرهابيون إلى تحقيقها من هذا الاتصال.

يتطلع الإرهابي إلى خلق الرعب ونشر الذعر وبث الفوضى، كما يتطلع إلى لفت الانتباه إلى قضية لا تهتم بها وسائل الإعلام، أو لا تهتم بها الأوساط السياسية العالمية، كما يتطلع إلى إرغام الحكومة المُستهدَفة على الاستجابة لمطالب معينة. وفي جميع هذه الحالات، نرى أن الهدف الحقيقي للرسالة التي يريد الإرهابيون نقلها هو : الإقناع. إقناع أفراد الجمهور المستهدف بضرورة أن يهتموا بقضية كانوا قد تجاهلوها، أو إقناعهم بضرورة فعل شيء ما، قد لا يفعلونه لولا هذه الرسالة.

ولكن ثمة من يرى أن الإرهاب والإقناع مفهومان متناقضان، وأن الإرهاب هو قسر وإرغام في حين أن الإقناع هو استخدام العقل والمنطق للوصول إلى قرار من خلال الإرادة الحرة(Schelling,1966). ولكن أصحاب هذا الرأي يتجاهلون حقيقة أن الإرهاب القسري هو حقيقةً شكلٌ من أشكال الإقناع. وإذا ما كان الإقّناع يتضمن استخدام الحجج العقلية والمنطق لتمكين

شخص ما من الوصول إلى قرار من خلال إرادته الحرة، فإن الإرهاب يصل إلى هذا المستوى أيضاً.

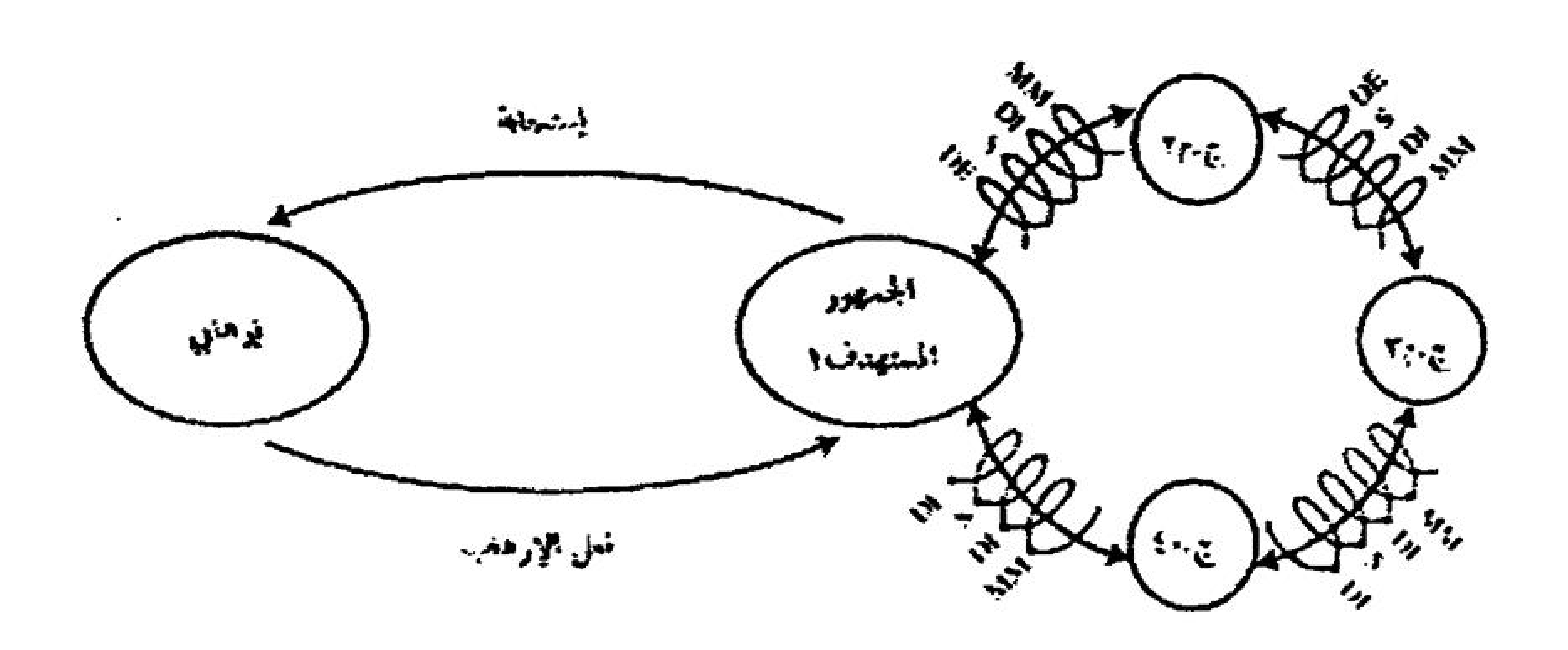
إن هؤلاء الذين يستهدفهم الإرهاب باستطاعتهم الاستمرار في استخدام الخيار العقلاني لتقرير ما إذا كانوا يستسلمون أم يهاجمون. وحين يصل مُستهدَفو العمليات الإرهابية إلى هذه القرارات من خلال الحوار حول الإرهاب عبر وسائل الاتصال ، فإنهم يُقْدِمون على خيارات عقلانية. وقد لا يغير من حقيقة الأمر شيئاً إذا ما كانوا يستمعون لحجج متناقضة قبل وصولهم إلى قرار. وبهذه الطريقة، وعلى هذا المستوى، يكون الإرهاب إقناعاً، وبالتالي، ولكي نفهم آليات عمل العمليات الإرهابية يجب أن ندرس الإرهاب كإقناع، وأن ندرس أبعاده البلاغية(Tuman,2003).

ربما كان المعنى الشائع لكلمة بلاغة (خطابة Rhetorical)، خطاب بلاغي أو تصريح بلاغي، أي الخطاب غير الجوهري، والخطاب الهادف إلى التلاعب والتضليل. ولكن ثمة من يرى أن البلاغة تشير إلى الطريقة التي يتم بها استخدام الرموز (التي تتضمن الكلمات ولكنها لا تقتصر عليها) من أجل التأثير في الناس وإقناعهم. وتشير التجربة التاريخية إلى أن البلاغة كانت تمارس وتستخدم كإقناع يأخذ شكلاً اتصالياً، غالباً ما يكون الحديث العام. ويرى شيشرون الخطيب الروماني أن البلاغة شكل من أشكال الحديث العام المُقْنِع المعروف بالخطابة.

والسؤال الآن: هل يمكن دراسة العمل الإرهابي كعمل رمزي؟ وتأسيساً على ذلك: كيف يمكن بناء الإرهاب ليأخذ معنىً أبعد من التأثير المباشر للعنف

والدمار الذي يحدثه؟ وهذا يستدعي دراسة الإرهاب كعملية اتصالية تتــضمن رسالة موجهة إلى جماهير مُسْتهدَفة متعددة.

إن فهم الإرهاب، وفق هذا المنظور، يوفر إمكانية أن يتضمن الإرهـــاب إقناعاً موجهاً إلى هذه الجماهير المستهدفة. وهذا بدوره يوحي بوجـــود أبعـــاد بلاغية للعملية الاتصالية التي تتضمن الإرهاب(Tuman,2003,p:29).



DE = التعريف والوصف
S = الرموز والرمزية
DI = الحديث
MM = وسائل الإعلام

القيمة الإخبارية

والأهمية الإعلامية للعملية الإرهابية

تشكِّل القيم الإخبارية إحدى المرجعيات الهامة لتشخيص الأحداث وتقييمها ومعالجتها إعلامياً. وليس ثمة اتفاق على منظومة القيم الإخبارية بين النظم والمدارس الإعلامية المختلفة. كما أنه ليس ثمة اتفاق أيضاً على تسلسل أهمية هذه القيم، أو على آليات تطبيقها لتقييم حدث معين أو معالجته إعلامياً.

تُشكِّل العملية الاتصالية حدثاً إعلامياً بامتياز، يتضمن معظم القيم الإخبارية التي يحرص الصحفيون على إبرازها في أخبارهم.

- العملية الإرهابية حدث عاجل ومفاجئ وغير متوقع، يكسر رتابة الحياة السياسية والاجتماعية وروتينية التغطية الإعلامية، ويضع السلطة والمجتمع ووسائل الإعلام في وضع من الترقب والتوتر والقلق.

- **والعملية الإرهابية حدث ضخم بكل المقاييس:**

  - ضخم لأنه قد يُلحق خسائر بشرية ومادية فادحة تشمل قتلى وجرحى وتدمير منشآت وممتلكات.
  - وضخم لأنه قد تترتب عليه نتائج وآثار سياسية واجتماعية وأمنية مختلفة.
  - وضخم لأنه يعني شرائح اجتماعية واسعة ويثير اهتمامها.
  - وهو ضخم لأنه يستهدف جماهير مختلفة ومتنوعة.

- **وتمثل العملية الإرهابية من منظور إعلامي عمل درامي كامل،** يتضمن مختلف العناصر الدرامية: القصة والأبطال وتطور الأحداث والذروة والحل. وهذا ما يجعلها موضوعاً إعلامياً بامتياز.

- **ويشكل الصراع ركناً أساسياً** من أركان العملية الإرهابية من منظور إعلامي. صراع يجري على الأرض، وتمثله قوى، ويأخذ شكل أفعال وتصرفات وسلوك وأحداث.

- **ولأسباب إعلامية، يحرص الإرهابيون على استهداف شخصيات هامة** وبارزة (مسئولة أو خبيرة أو مختصة) أو أماكن هامة لها دلالات معينة (رسمية أو أمنية أو سياحية أو دينية). وهذا ما يزيد من الأهمية الإعلامية للعملية الإرهابية.

- **كما يحرص الإرهابيون على القيام بعملياهم في مناسبات سياسية أو اجتماعية** أو وطنية أو دينية مهمة. الأمر الذي يزيد من اهتمام الجماهير بهذه العمليات.

- **وتمثل العملية الإرهابية قمة الإثارة** بما تحمله من تشويق إلى درجة أنها، وحسب تعبير أحد الإعلاميين، " تخطف وسائل الإعلام، وخاصة التلفزيون ".

تأسيساً على ما تقدَّم يمكن القول إن العملية الإرهابية، من منظور إعلامي، عبارة عن حدث يمتلك قوة حضور طاغية، كما يمتلك قوة ذاتية ضخمة، تمكنه من أن يفرض نفسه، بقوته الذاتية، على وسائل الإعلام، بحيث يصبح من الصعب، إن لم يكن من المستحيل، أن تتجاهله أي وسيلة إعلامية. وتعود هذه القوة الذاتية للعملية الإرهابية، من منظور إعلامي، إلى مجموعة القيم

الإخبارية التي تمتلكها، والتي تجعلها، من منظور إعلامي، حدثاً هاماً، يحتل بدون منازع قمة الاهتمام الرسمي والشعبي والإعلامي، ويشغل موقع الذروة في الإثارة الإنسانية والسياسية والأمنية، وبالتالي، الإعلامية.

شكّلت هذه الأهمية الذاتية للعملية الإرهابية تحدياً إعلامياً نتج عنه اختلاف التغطيات الإعلامية للعمليات الإرهابية. ويعود سبب هذا الاختلاف أساساً إلى اعتبارات سياسية واجتماعية وأيديولوجية أكثر مما يعود إلى اعتبارات مهنية. وتتباين المواقف من مقاطعة العمليات الإرهابية إعلامياً والتعتيم عليها بشكل كامل وتجاهلها، إلى التغطية الشاملة والحية والمستمرة والتفصيلية لهذه العمليات، مروراً بالمواقف التي تدعو إلى الوسطية والانتقائية. وسوف نتعرض إلى هذه المواقف في فصل لاحق.

ولكننا نريد أن نؤكد هنا أن الطبيعة المثيرة للعملية الإرهابية حقيقة موضوعية يجب الاعتراف بها، وكل محاولة لوأدها أو تجاهلها ليست منطقية وليست واقعية، وربما ليست ممكنة. ولهذا نرى أن التغطية الإعلامية للعملية الإرهابية يجب أن تنطلق من هذه الحقيقة. وربما أصبحت هذه مُسَلّمة في الإعلام المعاصر. ولهذا انتقلت بؤرة الصراع إلى كيفية التعامل مع هذه الطبيعة المثيرة للعملية الإرهابية. هل يتم توظيف هذه الطبيعة للوصول إلى الجماهير من أجل زيادة معرفتها وفهمها بالظاهرة الإرهابية، سعياً لإيجاد رأي عام معاد للإرهاب ومُحَصَّنٍ ضده، أم نستغل هذا الطابع المثير والجذاب من أجل خدمة المصالح الخاصة للوسيلة الإعلامية المتمثلة في زيادة التوزيع والانتشار، وبالتالي زيادة الأرباح؟ نكتفي بالإشارة إلى هذه المعضلة، وسنعود لمناقشتها في فصل لاحق.

الإرهاب
والعنف اللغوي والرمزي

ثمة علاقة وثيقة بين اللغة والفكر. والكلمات هي أكثر من مجرد رموز تنقل المعنى، بل هي تؤثر في الفكر، وتتسهِم في تحديد الأفكار والمفاهيم، التي يمكن نقلها من فرد لآخر.(Lockye,2003) واللغة عملية فعَّالة ومُبْدِعة، وهي لا تعكس الواقع الموضوعي، بل تخلق واقعاً من خلال تنظيمها للمعاني المجردة والمأخوذة من الواقع المعقد. وبذلك تصبح اللغة وسيلة تعمل بشكل فعَّال لتشكيل مفهوم الفرد للبيئة وتفسيره لها.(Denton,2003). ويحتدم الصراع في حياتنا المعاصرة ليس أساساً على المفاهيم، بل على المضامين التي تُعْطى لهذه المفاهيم.

الكلمات ليست محايدة. ويعكس الاختلاف في استخدام الكلمات والمصطلحات والمفاهيم اختلاف الأيديولوجيات والسياسات والمواقف. وبالرغم من أهمية الجانب اللغوي والرمزي في الإرهاب والعمليات الإرهابية، فإنها لم تحظَ بما تستحقه من اهتمام في الدراسات التي عالجت الظاهرة الإرهابية، وركَّزت على الجوانب السياسية والاجتماعية والنفسية، ولكنها أهملت الجانب اللغوي والرمزي، وذلك بالرغم من أهمية المقاربة اللغوية الدلالية للإرهاب.

إن كون وسائل الإعلام الجماهيري هي أول من يواجه المستجدات والتطورات وينقلها إلى الجماهير، فإنها تمارس تأثيراً قوياً في لغة الناس، وفي ما يستخدمونه من مفاهيم ومصطلحات ومفردات. ونظراً لسعة انتشار وسائل

الإعلام، فإن المفردات والمصطلحات التي تستخدمها هذه الوسائل سرعان ما تصبح " التعاريف الرسمية للواقع الاجتماعي" (Lockye,2003,p1) كتب جورج أورويل: إذا ما أفسد الفكر اللغة، فإن اللغة بدورها تستطيع أن تفسد الفكر. وإن الاستخدام السيئ للغة يمكن أن ينتشر من خلال التقاليد والتقليد حتى في أوساط أولئك الذين يجب أن يكونوا أكثر معرفة ". (Orwell.1968, p:167)

يسعى الإرهابيون لفرض لغتهم ومصطلحاتهم على وسائل الإعلام. تقوم وسائل الإعلام بصياغة العمليات الإرهابية باستخدامها اللغة، بحيث تُسَهِّل عملية فهمها واستيعابها من جانب الجمهور. وتقوم وسائل الإعلام، وهي تفعل ذلك، بدور مركزي في إخبار الجمهور ما هي الكلمات التي سوف تخضع لحكم المجتمع كي تصبح مناسبة للاستخدام في حديث الناس. ولهذا يصبح من المهم جداً بالنسبة للإرهابيين، (وللجهات الرسمية المعنية بمحاربة الإرهاب)، أن تستخدم وسائل الإعلام لغتهم وهي تصف عمليات العنف السياسي. واللغة التي تستخدمها وسائل الإعلام لتغطية الإرهاب مهمة جداً، وذلك نظراً لتأثيرها القوي على حديث الناس.

تختلف تعابير ومصطلحات الإرهابيين عن تعابير ومصطلحات الأجهزة الحكومية. وإذا ما استخدمت وسائل الإعلام تعابير ومصطلحات الإرهابيين، فإنها تُسْهِم في تحويل هذه التعابير والمصطلحات إلى طريقة مقبولة للتعبير عن تلك النشاطات. وعندما يجري الصحفيون مقابلات مع إرهابيين أو يعتمدون على إرهابيين كمصادر للمعلومات، فإنهم قد يجدون أنفسهم مضطرين لاستخدام تعابير ومصطلحات وتسميات الإرهابيين.(Schmid&Graf,1982)

وتتحول وسائل الإعلام بذلك إلى " مكبرات صوتية لخطــب الإرهــابيين".(Alali,1991:p42) ونظراً للشحنة العاطفية القوية لدى الإرهابيين، فغالباً مــا يفتقر وصفهم للحدث إلى استخدام الكلمات المحايدة. وإذا مــا اســتطاعت المنظمات الإرهابية (أو الأجهزة الرسمية المعنية بمواجهــة الإرهــاب) فــرض قاموسها اللغوي على وسائل الإعلام، تكون قد حققت نجاحاً فكرياً مهماً.

وكما أشرنا سابقاً، اللغة ليست محايدة، بل هي وعاء للمعاني التي تحملها وتنقلها. لنتأمل بعض المفردات المستخدمة في مجال تغطية العلميات الإرهابيــة وتلك التي تُسمى بالإرهابية:

مفردات تستخدمها الجهات الرسمية	مفردات يستخدمها الإرهابيون والذين يسمون بالإرهابيين
١- مجرم	ثوري
٢- إرهابي	مناضل/ مقاوم
٣- عصابة	جيش، حرب عصابات
٤- مُخَرِّب	مُحَرِّر
٥- حمام دم	مُطَهِّر
٦- انتحاري	شهيد
٧- عدوان	حرب وقائية
٨- قاتل	منتقم
٩- دعاية	بيان رسمي
١٠- عمل تخريبي	عملية ثورية
١١- أعمال شغب	تحركات شعبية

١٢- قاتل مأجور	مناضل/مقاوم ثوري
١٣- جريمة	عدالة ثورية
١٤- مجاهد	إرهابي

إن أي تسمية أو وصف لشخص أو لعمل يحمل حكماً قيمياً ومضموناً فكرياً وسياسياً وأخلاقياً. ويبرز الصراع عند الخلاف على تعريف الحدث أو النظرة إليه. يتأثر فهم الحدث بنوعية الأوصاف والمصطلحات المستخدمة. الصور المحرفة والتصورات المزيفة يمكن إيجادها من خلال اختيار الكلمات." الاطلاع على الأدبيات المتعلقة بالإرهاب يعطي انطباعاً بالمشاكل الدلالية للألفاظ (Semantic) المتمثلة في الأوصا (Labeling) والمصطلحات التي تؤثر مباشرة على تأثير الإعلام على تصورات الناس"(Schaffert,1992,p:62).

تبرز أهمية اللغة أيضاً في حالة الخلاف على تعريف الإرهاب. يُسَمي الإعلام الأمريكي النضال الذي تخوضه الفصائل المختلفة لحركة التحرر الوطني الفلسطيني " إرهاباً" ، بينما يسميها الإعلام العربي " مقاومة ". كما تبرز اللغة حتى عند الاتفاق على التعريف والاختلاف على الوصف. الإعلام العربي يصف الأفراد والجماعات الإسلامية التي تمارس العنف المسلح بأنهم إرهابيون، ويصف عملياتهم بأنها إرهابية، ولكن الإعلام الأمريكي يصر على استخدام وصف آخر وهو " الإرهاب الإسلامي " أو" إرهابي إسلامي " للتأكيد على أن هذا الإرهابي مسلم. في حين أن الإعلام الأمريكي نفسه لا يضيف وصف المسيحي أو اليهودي إذا كان الإرهابي ينتمي إلى الديانة المسيحية (ما يسمى بالإرهاب الذي كان يقوم به أفراد الجيش الجمهوري الأيرلندي أو جماعة بادر ماينهوف

في ألمانيا) ، أو إلى الديانة اليهودية. عندما اقتحم الإرهابي اليهودي باروخ غولد شتاين (١٩٩٤) مسجداً فلسطينياً وقتل بدم بارد ٢٩ فلسطينياً وهم يصلون، لم تصف وسائل الإعلام الأمريكية العملية بأنها عملية إرهابية، بل وصفتها بأنها " مذبحة " و " جريمة قتل جماعي ". كما أنها لم تصف غولد شتاين مُنَفِّذ العملية بأنه إرهابي بل وصفته بأنه " مسلح " أو " قاتل جماعي "، في حين أي فلسطيني يقتل إسرائيلياً واحداً حتى بطعنة سكين فإن الإعلام الأمريكي يصفه بأنه إرهابي فلسطيني.(Nacos.2002)

تتطلب الدراسة الدلالية للعمليات الإرهابية التركيز على خصوصية رمزية العملية الإرهابية. يتحول الإرهاب إلى لغة عنف. كما يُحَوِّل الإرهاب العنف الجماعي إلى بيان سياسي. ويُحَوِّل العملية الإرهابية إلى فعل اتصال، ويصبح الإرهاب إستراتيجية اتصالية عنيفة أو عنفاً اتصالياً. (Denton,2003)، كما يصبح الإرهاب إعلاماً يزيد من فعالية رسالته. وهكذا نرى أن العملية الإرهابية هي أساساً رمزية أكثر منها مادية.(Alexander,1978) والمثل النموذجي الذي يؤكد هذه الحقيقة هو ما تعرَّضت إليه الولايات المتحدة يوم ٢٠٠١/٩/١١. استهدف الإرهابيون بُرجي التجارة الدولية كرمز للقوة الاقتصادية الأمريكية، واستهدفوا البنتاغون، وزارة الدفاع، كرمز للقوة العسكرية الأمريكية. والرد عليهم إعلامياً، كان رمزياً أيضاً، وهو رفع العلم الأمريكي خلفيةً لشعار " أمريكا تتعرض للهجوم "، باعتبار العَلَم رمزاً للوحدة والالتزام والقيم.

مشهدية العملية الإرهابية ومسرحيتها

تقوم الإستراتيجية الإعلامية للإرهابيين، كما أوضحنا في فصل سابق، على أساس الوصول إلى الوعي العام والتلاعب به من خلال العمليات الإرهابية التي يقومون بها، ولذلك فهم يحرصون على أن تكون عملياتهم:

١- أن تكون **العملية الإرهابية مسرحاً كاملاً**. ولذلك فهم ينطلقون من حقيقة أن العملية الإرهابية تمثل دراما متكاملة، تمتلك جميع المقومات الأساسية للدراما الإنسانية، على حد تعبير Combos : الإرهاب شكل مسرحي مُصَمَّم ليتغذى على قلق الجمهور وذعره .

- **الموضوع**: هو دائماً موضوع درامي بامتياز، يشكّل الصراع سداه ولحمته. صراع ضد قوى معينة (رجعية، امبريالية، كافرة، محتلة...الخ)

- **السيناريو**: تقطيع العملية إلى مشاهد متلاحقة ومتماسكة، تمتلك قدراً كبيراً من الإثارة والجاذبية والقلق والتوتر والتوقع.

- **الأبطال**: يحرص الإرهابيون في جميع عملياتهم على تقديم بطل (أو أبطال)، ويتم تقديمه بشكل تراجيدي: إنه الخير المطلق الذي يصارع الشر المطلق. المنطقة الرمادية، التي توجد فيها غالباً معظم الحقائق، لا وجود لها في قاموس الإرهابيين.

- **الشخصيات**: يحرص الإرهابيون على استهداف الشخصيات الهامة والمميزة والمسؤولة أو الخبيرة، وذلك نظراً لأن الشخصيات الهامة هي التي تصنع

الأحداث، وهي التي تزيد الطابع الدرامي للحدث، وهي التي يتركــز عليهــا اهتمام الجماهير الواسعة.

– **المكان والزمان**: يهتم الإرهابيون بالدلالة الرمزية وبالقيمة الاتــصالية للأمكنة التي يختاروها مسرحاً لعملياقم، وبذلك يتحول المكان إلى معطى فاعل ومؤثر في العملية الإرهابية وتطورها. كما يحرص الإرهــابيون علــى القيــام بعملياقم في أوقات مرتبطة بمناسبات معينة دينية أو وطنيــة أو اجتماعيــة أو تاريخية، وذلك لإعطائها مزيداً من الدلالة الرمزية والقوة الدرامية.

– **الإيقاع**: يحرص الإرهابيون على تحقيق الإيقاع الــسريع والعاصــف لعملياقم. والعملية الإرهابية هي بطبيعتها " خبر عاجل – Breaking News ". ويسعى الإرهابيون إلى الاحتفاظ بهذا الإيقاع السريع والمــشحون بــالقلق والتوتر والتوقع، من أجل الاحتفاظ بزمام المبادرة أولاً، ثم جــذب الاهتمــام بالعملية والمحافظة على استمرار هذا الاهتمام.

– **التطور**: تتضمن العملية الإرهابية مراحل تطور مسرحية مثالية. فهــي تبدأ بشكل صاعق وعاصف، وتتطور بشكل سريع لتبلغ الذروة. ومــا يميــز العملية الإرهابية كمسرح هو حرص الإرهابيين على الاحتفاظ بوقت الــذروة إلى أقصى حد ممكن، لجذب المزيد من الاهتمام، ولتحقيق المزيد من المكاســب الإعلامية. وبعد الذروة يأتي الانفراج أو الحل. والنهاية دائمــاً دراماتيكيــة في العملية الإرهابية. وهي إما أن تكون انتصار البطل، في حالة الرضوخ للإرهابيين وتلبية مطالبهم، أو الموت التراجيدي للبطل، في حال هزيمته وفشل عمليته.

– **الجمهور**: تمتلك العملية الإرهابية، من منظور مسرحي، أوسع الجماهير وأكثرها انجذاباً وانتشاراً واهتماماً. يمثل الجمهور المحدود المتواجد على مسرح العملية الحلقة الأولى. ويمثل الجمهور على مستوى البلد الحلقة الثانية، ويمثل الجمهور على مستوى العالم الحلقة الثالثة. وقد استطاع الإرهابيون أن يحققوا أقصى فائدة ممكنة من وسائل الإعلام الجماهيري المحلية والإقليمية والعالمية، المطبوعة منها والمسموعة والمرئية والإلكترونية، من أجل ضمان تقديم تغطية سريعة وشاملة ومستمرة لكل ما يحدث على مسرح عملياتهم.

في ضوء ما تقدَّم، يمكن فهم الحدث الإرهابي وفق متطلبات العمل المسرحي وشروطه. الإرهابيون هم الذين ينتقون جميع العناصر المسرحية، وهم الذي يحاولون تحديد جميع الأدوار وإدارة المنصة دقيقة بدقيقة.

وفي هذا السياق، استطاع الإرهاب وخاصة بعد ٢٠٠١/٩/١١ وما بعده أن يتجاوز حدود المسرح وفق اتجاهات أبرزها:

١- **الاستغلال الأمثل لإمكانيات التلفزيون** وتحرير العملية الإرهابية من قيود المسرح التقليدي التنويري النخبوي الضيق الحدود، وذلك عن طريق تحويل العملية الإرهابية إلى مشهد تلفزيوني لحدث مفاجئ وضخم وعاجل ومثير، تشاهده جماهير واسعة، ويتجاوز حدود الأحداث المسرحية. انطلاقاً من حقيقة أن الصور التلفزيونية، وعلى العكس من العروض المسرحية، تتيح للإرهابيين أن يؤثروا في جمهورهم بطرق دائمة وغير مسبوقة. (Weiman&Winn.1994)

٢- **تكريس الواقع الافتراضي**، الذي يصبح فيه عرض الحدث وتقديمه أكثر أهمية من الحدث نفسه. وهذا ما يزيد من أهمية مشهدية الحدث الإرهابي.

٣- **إلغاء الحاجز بين الواقع الواقعي والواقع المشهدي الذي تقدمه وسائل الإعلام**، وخاصة التلفزيون والسينما. المسرح يترك المنصة ويتخلى عن الخشبة وينزل إلى الواقع. أثناء أحداث ٢٠٠١/٩/١١، التي تمثل ذروة اختلاط الواقع الواقعي والصورة الموجودة في أذهان البشر. وربما هذا ما دفع الموسيقي الألماني الشهير Carling Stockhomsin إلى وصف حدث ٢٠٠١/٩/١١ بأنه " أعظم عمل فني "، وذلك نظراً لأن ما حدث في هذا اليوم كان واقعياً بالنسبة للسينما، ولكنه كان سيريالياً بالنسبة للواقع الواقعي. حتى شهود العيان في موقع الحدث، لم يكونوا واثقين أن ما يشاهدونه هو سينما أو واقع، وما إذا كانت الحياة الواقعية قد تحولت إلى سينما. لقد حوَّلَ ٩/١١ واقعية هوليود المزيفة _ بمعنى الواقع المزيف الذي تقدمه هوليود، إلى واقع حقيقي لا يمكن احتماله. و"الإرهابيون" الذين يرفضون الثقافة الجماهيرية الخفيفة، حوَّلوا الرعب الخيالي الذي تقدمه هوليود إلى جحيم حقيقي. وبذلك تفوقوا على هوليود(Nacos,2003).

٤-**إدخال التغطية الإعلامية (وخاصة التلفزيون) للعمليات الإرهابية ضمن نطاق الثقافة الجماهيرية**، ذات الطابع الترفيهي. وسوف نعود لمناقشة هذه المسائل عند حديثنا عن الإرهاب والتلفزيون.

التناول الإعلامي للعمليات الإرهابية

يعيد إلى الذاكرة النقاش المحتدم حول تأثير التغطية الإعلامية للعمليات الإرهابية على مجمل الظاهرة الإرهابية سلباً أم إيجاباً احتدام النقاش ذاته في فترات سابقة حول تناول الإعلام لقضايا الجريمة والانحراف، وحول ما إذا كان هذا التناول يترك آثاراً سلبية أم إيجابية على واقع الجريمة والانحراف في المجتمع.

برزت في ذلك السجال ثلاثة مواقف رئيسة:

الموقف الأول: يتركز في أوساط الجهات الأمنية والتربوية وبعض منظمات المجتمع المدني. ويرى أن التغطية التي تقدمها وسائل الإعلام لقضايا العنف والجريمة والانحراف تؤدي بالتأكيد إلى ترسيخ الجريمة وانتشارها في المجتمع. وبالتالي، فإن وسائل الإعلام تقوم بدور تخريبي مدمر، نظراً لأن بعضها قد تحوَّل إلى سبب من أسباب انتشار الجريمة، وخاصة في أوساط المراهقين.

الموقف الثاني: يتركز في كثير من مراكز الأبحاث والأوساط الأكاديمية الإعلامية والاجتماعية والنفسية والسلوكية. ويرى أن التغطية التي تقدمها وسائل الإعلام لظاهرة العنف والجريمة والانحراف في المجتمع تنشر ثقافة أمنية تسهم تراكمياً في تحصين الفرد والمجتمع ضد الجريمة، وأنها في حقيقة الأمر، تقوم، وبطريقة بارعة، بشكل مهم من أشكال الضبط الاجتماعي والتفريغ النفسي.

الموقف الثالث: تمثله بعض الدراسات المتعلقة بدراسة العلاقة السببية بين الصور الذهنية (Images) وبين الآثار (Effects)، والتي انتهت بمجملها إلى

تأكيد أن تصوير وسائل الإعلام للعنف والجريمة والانحراف في المجتمع ليس لـه آثار مؤذية. وأكدت الباحثة McLine Philips أنه ولسنوات عديدة دحـض الأكاديميون الإعلاميون وجود أي صلة بين العنف الذي يظهر علـى الـشاشة وبين الحياة الواقعية. كما أكدت الدراسات الثقافية أن صور الجريمة ليس لها أي تأثير مباشر على السلوك، وكل ما تفعله هذه الصور هو أنها توفر فقط " عِلْكة بصرية "، وبالتالي، لا تقوم بأي دور حقيقي، سلبي أم إيجابي، إزاء ظاهرة الجريمة والانحراف والعنف في المجتمع.

هذا التناقض في الآراء والمواقف، حتى على صعيد البحوث العلمية الميدانية والنظرية، الكمية أو النوعية، دفع البعض إلى وصف الـصورة الـتي تقـدمها الدراسات والبحوث الإعلامية التقليدية عن تأثير وسائل الإعلام على ظـاهرة العنف والجريمة والانحراف في المجتمع بأنها عبارة عن كاريكاتير.(Reiner,2001)

- ومع ظهور الظاهرة الإرهابية الحديثة في سبعينيات القـرن العـشرين الميلادي، وازديادها حدة وتفاقماً بعد ٢٠٠١/٩/١١، وتعاظم الـدور الـذي يؤديه الإعلام في هذا المجال، أثير من جديد الموضوع القديم- الجديد، المتعلـق بتأثير التغطية التي تقدمها وسائل الإعلام في الظـاهرة الإرهابيـة، وإلى بـروز المواقف الثلاثة السابقة التي برزت في مرحلة سبقت إزاء احتدام النقاش حـول تأثير الإعلام على الظاهرة الإجرامية في المجتمع.

ثمة من يرى أن الإعلام هو الناقل الحقيقـي للإرهـاب وأن التغطيـة الإعلامية للعمليات الإرهابية تخدم أهداف الإرهابيين. وفي المقابل، نجـد مـن يؤكد أن التغطية الإعلامية للإرهاب هي السلاح الأمضى في مواجهة الإرهاب واجتثاث جذوره. وهناك من يرى أن الإرهاب ظاهرة أكثر تعقيداً، وهي تعود

أساساً إلى البيئة السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافيــة والدينيــة، وأن الإعلام لا يقوم بدور ملحوظ سواء في إيجاد الظاهرة أو انتشارها أو مجابهتها.

ويرى Rudolf Levy (غريب،١٩٨٨،ص٤١٤) ، الخبير في الإرهاب في وزارة الدفاع الأمريكية، أن وسائل الإعلام تُعد مسبباً للعنف في المجتمع، ويؤكد أن الخبراء يعتقدون أن التغطية الإعلامية للإرهاب تؤدي إلى:

-تشجيع تكوين جماعات إرهابية جديــدة، فالنجاحــات التكتيكيــة والاستثمار الناجح لوسائل الإعلام يؤديان إلى أن يستفيد الإرهابيون من زخم العمليات السابقة، وهذا يؤدي إلى زيادة الأعمال الإرهابية.

- إبقاء اسم المنظمات الإرهابية أمام أعين الشعب والجماهير التي يــدعي الإرهابيون أنهم يعملون لصالحها.

- جعل المجموعات الأخرى أو الأفراد الآخرين الأقل نجاحــاً يقومــون بأعمال عنف إرهابية أكثر جرأة.

- إغراء الإرهابيين الذين تلقوا تغطية إعلامية محابيــة لهــم في الماضــي ليحاولوا السيطرة على الإعلام.

وأكدت الرأي نفسه المؤسسة القانونية الأمريكية، وهي جماعة يمينية تحث الحكومة الأمريكية على تقييد التغطية الإعلامية، وتحاول أن تثبت أن وســائل الإعلام، التي تعطي الإرهابيين مسرحاً مناسباً للتعبير عن مظالمهم السياسية، فإنها في حقيقة الأمر تشجع الإرهاب، وقد تشجع العنف المتزايد ودراما الهجمــات الإرهابية (غريب،١٩٨٨). إن أخطر تأثيرات نقل وســائل الإعــلام لأخبــار الإرهاب هو الزيادة المحتملة في النشاطات الإرهابية. فقد تُزَوِّد وسائل الإعــلام الإرهابي المحتمل بجميع المكونات الضرورية كي يشترك في هذا النوع من العنف،

وبإمكانها خفض الدافع ضد استخدام العنف، وبإمكانها تقديم نماذج وتقنية للإرهابيين المحتملين، وبإمكانها توفير الدافع لهم بشتى الطرق.

ووافق Larry Grossman ، رئيس أخبار سابق في BBC ، على فكرة العدوى، وقال في أحد اجتماعات جمعية الصحفيين المحترفين: " هل يسمح التلفزيون لنفسه بأن يستخدمه الإرهابيون، وهل تشجع التغطية التلفزيونية لهذا السبب الأعمال الإرهابية ؟ الجواب: نعم على كلا السؤالين"، وأضاف: " إن وجود التلفزيون ذاته يتحمل بلا شك بعض المسئولية لوجود عَرَض تقليد الإرهاب في هذه الأيام ".(غريبر،١٩٨٨،ص ٤١٦).

وأظهرت دراسة Brosius (1991)، التي استهدفت التعرف على دور وسائل الإعلام في نشر الإرهاب، أن وسائل الإعلام تنشر الإرهاب وتساعد على تكراره، وهي في هذا النشر تشبه عدوى الأمراض. أي أن الدراسة قد قدمت دليلاً على وجود مساحة ذات دلالة لوسائل الإعلام في تكرار حدوث الإرهاب الدولي. وترى الشيباني (٢٠٠٥) أن التغطية الإعلامية المتواصلة للأنشطة الإرهابية وعرض مواقف أصحابها قد عَزَّزَ الاستخدام المتداول لأساليب العنف والاغتيال، وسهَّلَ على الحركات الإرهابية- وما يعنينا منها هنا هو الحركات الإسلامية المتطرفة - تمرير خطاباتها .

وكتب الباحث محمد شريف بسيوني " مع أنه لا يظهر أن هذه الفرضية (العدوى) قابلة للتحقق منها كلية، على الأقل فيما يتعلق بالأفراد المدفوعين عقائدياً، إلا أن القلق بسبب هذا التأثير المُعدي قد عُبِّرَ عنه مراراً وتكراراً، وأن النظرية تحتفظ بقدر من المعقولية التي يقرها الحَدْس (غريبر،١٩٨٨،ص٤١٥).

ثمة اعتقاد سائد إلى حد ما بأن تغطية الإعلام للإرهاب والإرهابيين تخلق إرهاباً وإرهابيين أكثر. ولقيت فكرة أن وسائل الإعلام تنقل عدوى الإرهـــاب ترحيباً واسعاً، وهي تُستخدم المرة تلو المرة لتبرير الجهود التي تُبـــذل لإدخـــال تغييرات على التغطية الإعلامية وإحداث نوع من الانضباط الذاتي أو فرض نوع من القيود الحكومية.

وتنامت بسرعة طوال العقود الماضية الأدبيات التي تربط وسائل الإعلام بالإرهاب وتوحي بأنها ناقل لهذا العنف." ولكن عندما يُحَلِّل الباحـــث تلـــك الأدبيات بدقة يجد أنها لا تتضمن دليلاً موثوقاً على أن وسائل الإعلام هي عامل مهم في التسبب بالأعمال الإرهابية ونشرها" (غريبر، ١٩٨٨:ص٤١٢). ولم تُثْبِت دراسات أُجريت على تأثيرات توصيفات العنف والجريمة أن هناك علاقة سبب ونتيجة بين الإعلام والعنف والجريمة، وفي أفضل الأحوال يمكن القول إن توصيفات وسائل الإعلام لا تتسبب في أن يصبح الجمهور عنيفاً، لكنها قد تؤثر في بعض مستخدمي وسائل الإعلام الذين يمتلكون نزعات لا اجتماعية، وقـــد تنشر الشك والخوف بين الآخرين.

ويرى Brain Jenkins، مدير أبحـــاث الإرهـــاب في مؤســـسة رانـــد الأمريكية، أنه لا يمكن إلقاء اللوم على وسائل الإعلام وحدها لنشر الإرهاب، وقال " إن وسائل الإعلام الإخبارية مسؤولة عن الإرهاب بنفس الدرجة تقريباً التي يكون فيها الطيران المدني مسؤولاً عن عمليات اختطـــاف الطـــائرات " ، ولكنه أشار:" إلى أن شبكة الاتصالات الهائلة التي تتكون منها وسائط الأخبار هي ببساطة نقطة ضعف أخرى في مجتمع حـــر ومعقـــد تكنولوجيـــاً "(مـــن غريبر،١٩٨٨:ص٤١٦).

والنتيجة التي يتوصل إليها غربير هي: لا توجد علاقة سببية، تستخدم أساليب بحث يقبلها علم الاجتماع، بين التغطية الإعلامية للإرهاب وللعمليات الإرهابية وبين انتشار الإرهاب. وتوصلت دراسة جرت في مصر(بسيوني،شاهيناز،١٩٩٣) إلى أنه لم تثبت صحة الفرض القائل بتأثير وسائل الإعلام على سلوك المبحوثين بشأن الإرهاب.

وإذا ما كان متعذراً إثبات أن وسائل الإعلام هي السبب في انتشار الإرهاب، فهل يمكن الإثبات أنها تنفع في منع أو خفض نطاق العنف في الهجمات الإرهابية؟

إن بوسع التغطية أن تقلل في واقع الأمر إمكانية وقوع أعمال العنف في المستقبل من جانب الذين يشتركون في العنف الإرهابي، وذلك بإزالة الحاجة لدى الأفراد للجوء إلى العنف من أجل الحصول على تغطية... ثمة من يرى أن قدراً من التغطية الإعلامية للإرهاب قد يؤدي إلى تخفيض الإرهاب.

ويشير Abraham Miller، الخبير في المسائل القانونية المتعلقة بالإرهاب " إذا ما كان الإرهاب وسيلة للوصول إلى جذب أنظار الناس، فإنه يمكن نزع فتيل العنف بتوفير الوصول إلى وسائل الإعلام دون الحاجة إلى رسوم الدخول وهي الدم والعذاب"(في غربير،١٩٨٨،ص٤١١). وأكدت هذا الموقف القوة الإستراتيجية عن الإرهاب والاضطرابات الأمريكية في تقرير لها جاء فيه: " قد يكون للإعلام أعظم تأثير في تحديد اللهجة لاستجابة مناسبة من قبل السلطات المدنية إزاء الاضطرابات وأعمال الإرهاب والعنف السياسي. وبوسعه توفير نافذة للتعبير عن الهم المشروع للشعب فيما يخص مسائل مهمة لكي يعمل كصمام أمان، ولتتمكن هذه السلطات من تحمل الضغط وهي تستجيب

للعاطفة الشعبية بأسلوب فعّال لإصلاح المظالم ولتغيير السياسات الرسمية"، وأضاف التقرير: " أنه يتوجب أن تكون الاستجابة لمشكلة الإرهاب أكبر من التغطية الإخبارية وليس أصغر منها... ويجب على وسائل الإعلام الإخبارية أن تُخَصِّص قدراً أكبر، وليس أصغر، من المساحة والاهتمام لظاهرة العنف الشديد... وإذا ما تجنبت مثل هذه التغطية إضفاءَ هالةٍ من الأهمية على مرتكبي أعمال العنف، ووفرت معلومات يُعَوَّل عليها، وأبرزت عواقب العنف بشكل مناسب، فإنها ستزيد من تفهُّم الجمهور، وتقلّل من الخوف لديه، وتساعد على التقليل من العنف.(غربير،١٩٨٨،ص ٤١٩).

طبعاً، وكما كان الحال في السابق بالنسبة للجريمة عموماً، سوف يستمر السجال بالنسبة لتأثير الإعلام في ظاهرة الإرهاب. ومن الصعب، بل من المستحيل، وربما من غير المطلوب، حسم هذا السجال على الصعيد النظري، نظراً لأنه يتطلب المزيد من الدراسات المتكاملة، ونظراً أيضاً لأن الممارسة تتسع لهذه المواقف كافة.

ونرى أن ما يعنينا هنا، كإعلاميين، هو كيفية انعكاس هذه المواقف والاتجاهات على تحديد سياسات النشر المتعلقة بالإرهاب وبالعمليات الإرهابية، ومدى ارتباطها بطبيعة الأنظمة السياسية وبالأنظمة الإعلامية المختلفة السائدة في البلدان المختلفة.

سياسات النشر

برزت في هذا السياق سياسات النشر التالية:

١- سياسة المنع الكامل:

ثمة اتجاه، يضم قوى مدنية وأمنية ومؤسسية، يؤكد أن الإعلام يخدم الأهداف الإرهابية، ويدعو إلى المنع الكامل لنشر كل ما يتعلق بالإرهاب وبالعمليات الإرهابية. صدر بيان عالمي يطلب من الصحفيين الامتناع بشكل كامل عن نشر كل ما يتعلق بالإرهاب في الصحافة والإذاعة والتلفزيون وإلى مقاطعة كل عملية إرهابية (Ezeldin,1987). ورأى البعض أن الإرهاب يسعى دائماً إلى إثارة حماس رجال الإعلام ويرغمهم على تتبع أخبار العمليات التي يرتكبها دائماً بأسلوب مثير يحوي المغامرة وجميع أبعاد الدراما والمأساة وتطور السيناريو والأحداث إلى قمة التصاعد الدرامي، الذي يجعل الناس يتابعون الحدث مبهوري الأنفاس... وإذا كان الإرهاب يستغل قوة أجهزة الإعلام على النشر الواسع، فلماذا لا تقاوم وسائل الإعلام ورجاله هذا الإغراء المثير، ويتجنبون الوقوع في الفخ الذي نصبه لهم الإرهابيون، ويفوّتون على الإرهابيين أغراضهم، بأن لا يقعوا بسهولة ضحايا لاستغلال الإرهاب لهم.(عز الدين،١٩٨٧)

ويعزو أصحاب هذا لاتجاه عدم وجود عمليات إرهابية في الاتحاد السوفييتي السابق إلى فرض منع نشر أي شيء عن الإرهاب في وسائل الإعلام السوفيتية.

تعرّض هذا الاتجاه لنقد قوي، تضمن النقاط التالية:

- إن الدعوة إلى المنع الكامل لنشر أي شيء يتعلق بالإرهاب والعمليات الإرهابية هي حلم مثالي، وذلك بسبب اختلاف النظر للعمل الإرهابي بحد ذاته. فالحدث الذي تراه جهة ما إرهاباً يقوم به إرهابي، تراه جهة أخرى عملاً من أعمال التحرر الوطني والمقاومة المشروعة، يقوم به مناضل من أجل التحرير والحرية. وبالتالي، فإن مقاطعة حدث ما من طرف معين لأنه يعد حدثاً إرهابياً، سوف يحظى هذا الحدث نفسه بتغطية واسعة من طرف آخر لأنه يُعِده عملاً تحريرياً نضالياً، وسوف يتم تضخيم مثل هذه الأحداث، الأمر الذي سوف يخدم أهداف الإرهابيين بشكل أفضل من التغطية السلبية للحدث الإرهابي.(Ezeldin,1987)

- يُتوَقع أن تؤدي المقاطعة الإعلامية الكاملة لتغطية العلميات الإرهابية (هذا إذا ما كانت أصلاً ممكنة) إلى زيادة تعقيد المشكلة بدلاً من حلها. فقد تدفع هذه المقاطعة الإرهابيين وتُرْغِمهم على اقتراف جرائم أكثر مأساوية، وعلى قتل عدد أكبر من الناس وعلى تدمير منشآت أكثر حيوية وضخامة، وذلك من أجل إحداث نفس القدر من الرعب الذي يحدثونه من خلال عمليات أقل حجماً وفظاعة، ولكن تحظى بتغطية إعلامية كافية.(EzeldinK1987)

- توفر المقاطعة الإعلامية الكاملة للعمليات الإرهابية إيجاد المناخ المناسب لإيجاد الشائعات ونشرها وترويجها بهدف تضخيم الأحداث. الأمر الذي قد يمكّن الإرهاب من تحقيق درجة أعلى من النجاح لم تكن ممكنة فيما لو تمت تغطية إعلامية مدروسة لهذه العمليات.

- يتناقض قرار منع التغطية وإجراءاته مع حرية التعبير ومع حق الشعب أن يعرف ما يحدث، ومع مجمل تقاليد العمل الإعلامي في كثير من الدول، وخاصة الغربية منها. الأمر الذي يطرح بقوة سؤالاً على قدر كبير من الأهمية والخطورة وهو: هل يُرْغِم الإرهاب العالم، وخاصة ما يسمى العالم الحر، على أن يمنع حرية التعبير عن وسائل الإعلام(EzeldinK1987)، وخاصة بعد أن ارتفعت أصوات عديدة تُحَذِّر من خطورة تآكل حرية الإعلام بحجة مقاومة الإرهاب. وقد فتح هذا أبواب الصراع بين السلطات وأجهزة الإعلام، حتى في أكثر الدول عراقة في ممارسة الحرية الإعلامية. وما زال في الأذهان صراع مارغريت تاتشر، رئيسة وزراء بريطانيا، مع هيئة الإذاعة البريطانية. إذ هاجمت السلطات البريطانية وسائل الإعلام التي تناقش آخر أطروحات الجيش السري الأيرلندي، الذي تُعِدُّه هذه السلطات إرهابياً، بحجة عدم إعطاء الذين يقومون بأعمال وحشية ضد السكان المدنيين ما أسمته تاتشر " أوكسجين الدعاية"، وتفاقم الأمر إلى درجةِ وَصْمِ أي تساؤل جدي حول إجراءات الدولة المتعلقة بحملتها على الجيش الجمهوري الأيرلندي بالخيانة.(أليشتاين،٢٠٠٥)، وفي شهر آب/ أغسطس ١٩٨٥، أعدت هيئة الإذاعة البريطانية برنامجاً وثائقياً تلفزيونياً حول الجيش الجمهوري الأيرلندي والحركات الاستقلالية الأيرلندية منذ القرن الثامن عشر وحتى القرن العشرين. تدخلت السلطات الرسمية البريطانية. وبناء على طلب وزير الداخلية البريطاني تراجع مجلس أمناء هيئة الإذاعة البريطانية عن بث البرنامج وقرر أنه عبارة عن دعاية للجيش الجمهوري الأيرلندي، وأن بثه سوف يُلْحِقُ ضرراً بالأمن القومي البريطاني. وعلى هذا الأساس، فإن مجلس الأمناء، غير الخاضع لسيطرة الحكومة، قَرَّرَ عدم بث البرنامج. ولكن القرار لم

يحظَ بموافقة العاملين في هيئة الإذاعة البريطانية، الذين أعلنوا إضراباً لمدة ٢٤ ساعة، وذلك في السابع من آب/أغسطس ١٩٨٥، أدى إلى توقف البث، وكانت هذه المرة الأولى التي يتوقف فيها البث في تاريخ هيئة الإذاعة البريطانية، عِلْماً أن البث لم يتوقف فيها حتى أثناء القصف الألماني للندن أثناء الحرب العالمية الثانية. يوضح هذا المثال تفاقم الصراع بين حق الشعب في أن يعرف، كما تُحَدِّد هذا الحق وسائل الإعلام، وبين حق السلطات في توفير الأمن القومي، أيضاً كما تُحَدِّد السلطات مفهوم هذا الأمن القومي. وبرز هذا التناقض في اللافتة الضخمة الموجهة إلى المواطن البريطاني، التي رفعها المضربون أمام مبنى هيئة الإذاعة البريطانية، والتي تخاطب المواطن البريطاني:" لمن التلفزيون؟ لكَ، أم للحكومة؟" (Ezeldin,1987,p:115)

- يعد الحدث الإرهابي من الأخبار السيئة التي تحرص وسائل الإعلام في الأنظمة الديمقراطية عل التركيز عليه وتغطيته بكثافة، بعكس ما يحدث في الدول الاشتراكية وفي الكثير من بلدان العالم الثالث التي تسعى إلى التعتيم على الأخبار السيئة مخافة الإساءة للنظام وإظهاره بمظهر الضعيف وغير المتماسك. وهذا يتناقض مع تقاليد الإعلام الغربي ومع مجمل فلسفة نظام الحكم في الدول الغربية التي تعتقد أنها أنظمة سليمة وقوية، وأن الجوانب السلبية التي تنتج الأخبار السيئة محدودة فيه وجزئية. ولذلك تندفع بجرأة وثقة لتغطيتها ومعالجتها، حتى يزداد النظام قوة ومِنعة، وحتى يزداد المجتمع لحمة وتماسكاً. وبالرغم من استمرار الجدل حول مدى واقعية وسلامة هذا الاتجاه، فإن التفاعل بين الإرهاب والإعلام ما زال موضوعاً لمناقشات جادة وعميقة منذ ستينيات القرن العشرين الماضي. وحتى الآن لم يثبت وجود علاقة سببية، تستخدم أساليب بحثية يقبلها

علماء الاجتماع، بين التغطية الإعلامية وانتشار الإرهاب، ومع ذلك ما زال القلق قائماً، وربما بتأثير بعض الممارسات الصحفية غير الملتزمة بالضوابط الأمنية وبمواثيق الشرف الصحفية في تعاملها مع العمليات الإرهابية.

٢- التغطية الشاملة والكاملة:

تسود اتجاهات التغطية الشاملة والكاملة للعمليات في أوساط واسعة من الصحفيين العاملين في وسائل الإعلام المختلفة، وكذلك في أوساط شرائح واسعة من الرأي العام.

تنطلق هذه الاتجاهات من الأسس التالية:

- إن حرية التعبير وحق الوصول إلى المعلومات ونقلها إلى الرأي العام حق مقدس تمَّ على أساسه تشييد صرح الإعلام في دول الديمقراطيات الغربية، وإن تقييد الحرية أو منع ممارسة هذا الحق، لأي سبب كان، يعني هدم الأساس الذي يقوم عليه الإعلام الغربي

- إن التعتيم الإعلامي الذي يؤدي إلى حجب المعلومات عن الناس، سوف يؤدي إلى تجهيل الناس، ومنعهم من القيام بدور فاعل ونشط في النظام الديمقراطي.

- إن فرض أي شكل من أشكال الرقابة سوف يؤدي إلى تشكيك الناس في الرسائل الإعلامية التي تصلهم، وهذا الشك سوف يدفعهم إما إلى البحث عن مصادر بديلة، أو إلى اللامبالاة والسلبية، وهذا ما يتناقض مع طبيعة النظام الديمقراطي ومع مستلزمات ممارسة الديمقراطية.

- إن أحد أهم مصادر قوة الإعلام الغربي هو تنوعه وتعدده. ومن المؤكد أن حرمانه من مصدر قوته هذا سوف يؤدي إلى إضعافه وتدهوره.

- إن واقع العنف والجريمة والانحراف، وحتى الإرهاب الذي يشاهده الفرد في الحياة الواقعية هو أكثر شراسة وإزعاجاً من ذلك الذي تقدمه له وسائل الإعلام.

- ثمة تقليد سائد في الغرب، وخاصة في الولايات المتحدة، يقوم على أساس مفهوم أن " الأخبار هي الأخبار ". وترتب على ذلك تعامل الإعلاميين مع العمليات الإرهابية، كغيرها من الأحداث، بتجرد وبدون أي عاطفة (Dispassionately). وفق مفهوم: الصحافة ليست طرفاً في الصراع.

- يرفض هذا الاتجاه حتى مجرد وجود دليل أو مجموعة من التوجيهات الحكومية أو المهنية، أو حتى مجرد وجود مواثيق الشرف التي يتم التقيد بها طوعياً عند تغطية العمليات الإرهابية، وذلك مخافة أن يتحول هذا الدليل أو تلك التوجيهات أو هذه المواثيق إلى قيد أو إلى مصدر ضغط، يقضي على ظاهرة التنوع في التغطية، ويفرض بدلاً منها ظاهرة التشابه، وربما النمطية. كتب أحد الصحفيين العاملين في صحيفة The New Yorker الأمريكية:" إن آخر شيء في العالم أريده هو الأدلة أو التوجيهات المتعلقة بالتغطية الصحفية للعمليات الإرهابية. لا أريد أدلة، سواء من الحكومة أو من المنظمات المهنية أو من أي شخص آخر. أؤمن أن قوة الصحافة تكمن في تنوعها، وبمجرد البدء بفرض دليل للتغطية، فإن هذا الدليل سوف يتحول إلى مصدر ضغط، ومن ثم إلى قيد قانوني".(Alexander,1978,p:110)، ولكن، وبالرغم من هيمنة هذه الاتجاهات، فإن معظم الدول الأوروبية التي عانت من الإرهاب في وقت مبكر،

منذ سبعينيات القرن العشرين الميلادي، وازداد فيها اهتمام الرأي العام بالظاهرة الإرهابية، أصدرت تشريعات خاصة لمكافحة الإرهاب شملت فرض قيود معينة على التغطية الإعلامية للعمليات الإرهابية (كالتشريعات التي صدرت في بريطانيا عام ١٩٧٤). وكان يتم تطبيق هذه الإجراءات عند كل خلاف مع أي وسيلة إعلامية. ففي عام ١٩٧٩، وعندما استطاع جيش التحرير الأيرلندي اغتيال مسؤول بريطاني كبير في مجلس العموم، أجرت هيئة الإذاعة البريطانية مقابلة مع شخص مُقَنَّع له علاقة بالحادث. وعلى الفور طلبت مارغريت تاتشر، رئيسة الوزراء في ذلك الوقت، من المدعي العام أن يدرس انتهاك الهيئة المحتمل لتشريعات ١٩٧٤ الخاصة بمكافحة الإرهاب. كذلك الأمر في ألمانيا، عند اختطاف طائرة لوفتهانزا ١٩٧٧، اضطرت الحكومة الألمانية، لأول مرة، أن تطلب من وسائل الإعلام أن تفرض على نفسها قيوداً معينة نظراً لخطورة الموقف وحراجته.(Alexande,1978)، ومن اللافت أن أحداث ٢٠٠١/٩/١١ في نيويورك قد وضعت السلطات الرسمية في موضع قوي مكّنها من إصدار العديد من التشريعات، التي تفرض الكثير من القيود على التغطية الإعلامية للعمليات الإرهابية، إلى الحد الذي ارتفعت فيه الأصوات داخل الولايات المتحدة الأمريكية تُحَذِّر من خطر استغلال الخوف من خطر الإرهاب لفرض قيود على الصحافة تؤدي تراكمياً إلى تآكل حرية التعبير، وإلى ممارسة نوع من الإعلام الرسمي الموجَّه الذي لا يتمتع بالمصداقية.

- الاعتقاد الراسخ والواسع الانتشار في أوساط جماهير الإعلاميين الأمريكيين بأن وسائل الإعلام عبارة عن كلاب حراسة للمصلحة العامة، وأن المهمة المركزية لهذه الوسائل هي مراقبة الحكومة، وبالتالي، من الصعب على

الصحفيين أن يراقبوا أداء الحكومة عندما يصبحون جزءاً من الإطار الرسمي للتغطية (Norris,eds,2003). وبالرغم من عدم انسجام هذا الاعتقاد مع حقيقة الوضع في المجال الإعلامي الأمريكي، فإنه أدى تقليدياً إلى وجود حساسية شديدة ضد أي توجيه رسمي وحتى ضد المصادر الرسمية.

– المنافسة والربح: تُعَدُّ كل وسيلة إعلامية غربية (وأمريكية خاصة) مشروعاً استثمارياً يهدف، من جملة ما يهدف إليه، تحقيق الربح. ونظراً لكثرة وسائل الإعلام وتعددها، أصبحت المنافسة تحكم السوق الإعلامية الأمريكية، وسيطرت القوى الاقتصادية والقوانين اقتصادية على معظم المؤسسات الإعلامية في الدول الغربية التي يقوم إعلامها، كما تقول، على أساس المشروع الحر. ونظراً لأن الإرهاب والعمليات الإرهابية على وجه الخصوص تمثل قوى جذب هائلة لوسائل الإعلام بسبب طابعها المثير، أصبحت المنافسة قوية الحضور أثناء تغطية العمليات الإرهابية، وأصبح السبق الصحفي هدفاً بحد ذاته، حتى لو أدى الأمر إلى تقديم بعض التنازلات للإرهابيين. خلال أزمة الرهائن في السفارة الأمريكية في طهران ١٩٧٤، أجرى صحفي أمريكي مقابلات هاتفية طويلة مع " مختطفي " الرهائن في محاولة منه للتوصل إلى مكانهم. وعندما سئل الصحفي ما إذا كان قد أخذ بعين الاعتبار الخطر الناجم عن استثارة "الإرهابيين" وإقدامهم على المزيد من العنف، أجاب: لم أفكر أبداً في إثارتهم وإغضابهم. كان هدفي الرئيس أن أحقق سبقاً صحفياً. إن مصدر فرحي وسعادتي هو أن أفعل شيئاً يستحق أن يُنشرَ في الصفحة الأولى، أو الحصول على مادة تلفزيونية تستحق العرض والمشاهدة.(Schaffert,1992) ويحدث هذا على مستوى المؤسسة. فقد وافقت محطة CNN أثناء حرب الخليج على أن تبث بيانات

وتصريحات وتقارير الحكومة العراقية مقابل أن تكون المحطة الوحيدة التي تغطي الحرب داخل العراق. وهكذا أصبحت الصورة على النحو التالي: وسيلة إعلامية أمريكية طالما دافعت عن الحرية الإعلامية، وهاجمت أي شكل من أشكال الرقابة، وافقت على أن تذيع يومياً تقارير رسمية لدولة في حالة حرب مع الولايات المتحدة، وذلك من أجل أن تحقق سبقاً إعلامياً عظيماً على جميع منافسيها. وهكذا فإن وسائل الإعلام الأمريكية المندفعة لتلبية متطلبات المؤسسة وحاجتها للربح، وذات الموقف المستقل عن الجهات الرسمية، يصبح من السهل أن ينجح الإرهاب أو الخصم في استغلالها، وأن لا يكترث الكثير من الإعلاميين في وضع حد لهذا الاستغلال، أو حتى بمجرد الاعتراف به. ويرى الكثير من نقاد الإعلام أن هذا الطابع الشرس من المنافسة في الإعلام الأمريكي، يمكن أن يكون مفيداً للإرهابيين السياسيين. ولاحظ O'Sulliva "إن أخطر ما في موقف الصحافة هو المنافسة المهنية والتجارية التي لا تسمح بأي قيود ذاتية طوعية على تغطية الأحداث الدرامية"(Quoted at Schaffert,1992,p:166)

- اندفعت بعض وسائل الإعلام ذات الطابع التجاري القوي من صحف وإذاعات وقنوات تلفزيونية باتجاه تضخيم العمليات الإرهابية والتركيز على الأشخاص والتفاصيل الجزئية والمثيرة معزولة سياقها السياسي والاقتصادي والاجتماعي، واستخدام أساليب إخراج تعتمد الإبهار البصري من خلال الإيقاع السريع واللقطات القريبة التفصيلية، واستطاعت بذلك أن تضع تغطية العمليات الإرهابية على تخوم أفلام الأكشن، القادرة على خلق واقع افتراضي، عرفت هذه الوسائل الإعلامية أن تسوِّقه للجماهير المتعبة وغير المعنية،في ظروف موجة الترفيه العارمة كشكل من أشكال الترفيه الجماهيري

(Alexander,1978)." أصبح الإرهاب يُشَكِّل، في الغالب، موضوعاً من مواضيع الثقافة الجماهيرية " (Jenkins,2003:p150). ويرى(Wilkinson ، 1997) إن وسائل الإعلام في المجتمعات الغربية محكومة بسوق تنافسي حاد على الجمهور، وهي دائماً تحت الضغط لأن تكون أول من يقدم الأحداث، وأكثر من يقدم المعلومات، وأفضل من يقدم الإثارة والترفيه من منافسيه الآخرين. أثناء تغطية أحداث ٢٠٠١/٩/١١، تسلل أسلوب التغطية الإخبارية- الترفيهية Infotainment، وفرض نفسه تحت شعارات " هجوم على أمريكا " و " أمريكا هوجمت "، بطريقة وصفها أحد النقاد الإعلاميين: " فجأة، وبشكل دراماتيكي، غير قابل للتغيير، تغَيَّر العالم، وهذا يعني أن الصحافة سوف تتغير أيضاً، وبالفعل يجري هذا التغيير أمام أعيننا"(واشنطن بوست ٢٠٠١/١١/١٦). وبإتاحة المتابعة المستمرة للحدث الإرهابي سواء على شاشات التلفزيون أو على صفحات الصحف أو الانترنت، فإن الخطوط الفاصلة بين الأخبار والترفيه تختفي... وتتابع الجماهير العروض كما لو أنها عروض ترفيه واقعية... ولم يعد ثمة فرق كبير بين هذا النوع من التغطية (الترفيه) وبين الأعمال التخيلية Fiction (Nacos,2003).)." عند تقديم العنف كترفيه جماهيري، لا بد من أن تُعْرَض بقوة صوراً عاطفية لضحايا العنف، وذلك من أجل القضاء على اللامبالاة لدى الجمهور. جدار عدم الاكتراث يجب اجتيازه ".(Sissela,1998,p:115)

- إن نشر بيانات الإرهابيين ووثائقهم وتصريحاتهم كما هي مباشرة واعتماداً على مصادرهم، سوف يكشفهم ويظهرهم على حقيقتهم أمام الرأي العام.أكد الباحث اليوناني في مجال الإرهاب ألكسندر كوديس "... في اليونان،

وحين بلغ الإرهاب ذروته، ثارت في المجتمع مناقشة حول ما إذا كان يتعين على الصحف والتلفزيون نشر أو بث المنشورات التي توزعها المنظمات الإرهابية في أعقاب كل عملية. انتصر الرأي القائل بالنشر والبث. وأكدت الخبرة اليونانية أن تجربة نشر بيانات ومنشورات الإرهابيين لم تأتِ لصالحهم، وبدلاً من أن يتعاطف معهم الشعب عرف حقيقتهم من وثائقهم... وكان هذا أفضل مما لو كانت أجهزة الإعلام قد حاولت تقديم صورة لهم." (مراد، ١٩٩٨،ص٢١٢)

٣- المواقف الوسطية: التغطية المتوازنة

برزت في جميع الدول الغربية دعوات واتجاهات رفضت الثنائية القطبية في الموقف من التغطية الإعلامية للعمليات الإرهابية، المتمثلة في الموقفين السابقين: إما المنع الكامل أو الحرية المطلقة.

وتضم هذه الاتجاهات العديد من التيارات التي يمكن تقديمها على النحو التالي:

- **المهم هو كيفية النشر**: ينطلق أصحاب هذا التيار من مقولة أن المشكلة ليست في النشر أو عدمه، وإنما في كيفية النشر. بمعنى ليس ثمة خلاف على ضرورة أن تقوم وسائل الإعلام بتغطية العمليات الإرهابية، لأن هذه مسألة غير قابلة للنقاش. ولكن السؤال هو: كيف تكون هذه التغطية؟ ويتضمن هذا السؤال أسئلة فرعية عديدة من أبرزها:

- ما هي منطلقات التغطية الإعلامية للإرهاب وللعمليات الإرهابية؟

- ما مرجعية الوسائل الإعلامية في تغطيتها للإرهاب وللعمليات الإرهابية؟
- ما أهداف الوسائل الإعلامية من تغطيتها للإرهاب وللعمليات الإرهابية؟
- ما مضامين هذه التغطية؟
- وما القيم المهنية والاعتبارات السياسية والاجتماعية والأخلاقية التي تشرط هذه التغطية؟

تشكّل الإجابة عن هذه الأسئلة معايير للحكم على التغطية التي تقـدمها وسائل الإعلام للإرهاب وللعمليات الإرهابية.

- تحقيق التوازن بين حق الجمهور في أن يعرف وحـق الدولـة في أن تحفظ الأمن:

يرفض هذا التيار التناقض المفتعل بين حقين صحيحين، يجب الاعتـراف بهما وتحقيقهما، وهما حرية التعبير وحفظ الأمن، وبين حقين يجب صـيانتهما، وهما حق الجمهور في أن يعرف وحق الدولة في أن تحفظ الأمن. وبالتـالي، لم يعد السؤال المطروح هو: هل نغطي الإرهاب والعمليات الإرهابية في وسـائل الإعلام أو نقاطعها. بل يصبح ضرورياً إعادة صياغة السؤال ليـصبح: كيـف يمكن أن نقيم التوازن الدقيق بين حق المواطن في أن يعرف وبين حق الدولة في أن تحفظ الأمن بوجه عام، باعتبار أن الأمن فرع من فـروع النظـام العـام خصوصاً في عصر الديمقراطية والسموات المفتوحة.(مراد، ١٩٩٨)

كتب الصحفي الأمريكي Stevens Rosenfeld، من صحيفة واشنطن بوست ماغازين،" نحن الصحفيين الغربيين، يجب أن نفهم الإرهاب العالمي، وإذا ما فكرنا به وفهمنا جوهره، فإنه لمن المحتمل أن نتوقف عن الكتابة عنه، أو سوف نكتب عنه بشكل مقيِّد جداً "(in Ezeldin,1987,p:112). يعكس قول روزنفيلد هذا وعيه بخطورة الخدمة التي يقدمها هو وزملاؤه للإرهاب الدولي في سعيهم وراء الإثارة وتغطيتهم الكثيفة للعمليات الإرهابية. " وإذا ما توقفت حرية الصحافة على " ما يهم الجمهور " وفق مقياس " الحاجة إلى أن يعرف "و " الحق في أن يعرف "، فإن هذا الحق وهذه الحاجة يجب أن يُقيَّدا بنوع آخر من الاهتمام العام والحق العام، وهو الحق في رفض إعطاء الناس الذين سببوا أذى عاماً لاستقرار أفراد المجتمع فرصة تحقيق أهدافهم من خلال نشر الرعب والخوف.(Ezeldin,1987,p112)

ولذلك يرى أصحاب هذا التيار ضرورة معالجة مشكلتين رئيسيتين:

الأولى: هل التغطية التي تقدمها وسائل الإعلام للإرهاب وللعمليات الإرهابية تخدم، إلى هذا الحد أو ذاك، بشكل متعمد أو غير متعمد، أهداف الإرهابيين؟ وهل يزيد الإعلام من فعالية رسائل الإرهابيين الإعلامية؟ ومن ثم، هل تحولت تلك المؤسسة الضخمة من القنوات الاتصالية، بشكل واعٍ أو غير واعٍ، إلى أدوات في خدمة الإستراتيجية العامة للإرهابيين؟

الثانية: أما المشكلة الثانية فتتعلق بالأهمية الحاسمة لحماية " حق الناس في أن يعرفوا " المرتبط بدوره بحرية الصحافة في المجتمعات الديمقراطية.

ويبرز في هذا السياق السؤال المهم: كيف تستطيع وسائل الإعلام في المجتمعات الديمقراطية أن توجد طرقاً جديدة لتقديم تغطية مسؤولة ومتوازنة

للعمليات الإرهابية دون أن تُضَحي بمسئوليتها إزاء الجمهـــور ودون أن تـــؤثر سلبياً بالمقابل في الجهود التي تبذلها الأجهزة المختلفة المعنية بمواجهة الإرهـــاب والإرهابيين.

ومن الواضح عدم وجود أجوبة سهلة وجاهزة عن هذه الأسئلة المهمـــة. بل ثمة خيارات صعبة فقط. وما زالت الكثير من القضايا غـــير متفـــق عليـــه. ولذلك فإن المشكلة ما زالت قائمة، وما زالت مطروحة لمزيـــد مـــن النقـــاش والدراسة. وتزداد الحاجة إلى ضرورة توليد أفكار جديـــدة حـــول الأســـئلة المطروحة.

- وتم بهذا الصدد التفكير بكثير من الأسس التي يمكن اعتمادها لتحقيـــق التوازن المطلوب بين حق الجمهور في أن يعرف وحق الدولة في حفظ الأمـــن. ومن هذه الأسس التي تؤثر على التغطية الإعلامية وتتحكم بها:

- الإرهاب هو أساساً عنف يهدف إلى التأثير، وهو موجَّه لـــيس ضـــد ضحاياه المباشرين وعائلاتهم فقط، بل ضد الجمهور الأوسع.
- الإرهاب مسرح، على الأقل في مراحله البدائية. ونتيجة لـــذلك فـــإن الإرهابيين يقومون بجهد واعٍ ومتعمد من أجل تحقيق غاياتهم.
- نظراً لأن وسائل الإعلام في المجتمعات الديمقراطية صناعة تقـــوم علـــى المنافسة والربح، فإنه لمن المحتم أن تصبح جزءاً لا يتجزأ من أي عمـــل إرهابي يقدِّم نجوماً وكتاب سيناريو ومخرجين.
- تعطي وسائل الإعلام، بتقديمها تغطية مكثفـــة للعمليـــات الإرهابيـــة، انطباعاً بأنها متعاطفة مع قضية الإرهابيين، وهي بذلك تخلـــق مناخـــاً ملائماً من العنف.

- غالباً ما تعيق وسائل الإعلام عمل مؤسسات تطبيق القانون، وتضحي بذلك بالنتائج الناجحة للعمليات.
- تكون وسائل الإعلام أحياناً مساعدة للسلطات في إدارة الأزمة، دون أن تتخلى عن مسئولياتها، وخاصة ما يتعلق بالالتزام بتطبيق " حق الجمهور في أن يعرف ".
- يجب أن تغطي وسائل الإعلام الحدث الإرهابي بشكل موضوعي ودقيق وصادق، وذلك حتى لا يفقد الجمهور الثقة بكل من الإعلام والحكومة.
- إن أية محاولة لفرض حصار على وسائل الإعلام قد يكون من شأنه أن يرغم الإرهابيين على تصعيد مستوى العنف الذي يمارسونه، وذلك من أجل أن يجذب مزيداً من الاهتمام.
- نظراً لأن الهدف الرئيس للإرهاب هو تدمير السلطة ونشر الفوضى، فإن وضع قيود غير مبررة على الإعلام، أو حتى تدمير الإعلام نفسه، سوف يؤدي إلى انتصار الإرهاب.
- إن الإعلام، وبدون أن يضحي بامتيازات، يجب أن يدعم هيئات العدالة الجنائية ضد الإرهاب، وفي المقابل يجب على رجال الإدارة والمسئولين العدليين أن يحولوا الإعلام إلى مساعد لهم في معالجتهم للأحداث، وأن يحدوا من أية آثار اجتماعية سلبية.
- يحتم ازدياد الطابع المعقد للإرهاب المعاصر ألاَّ يبقى تحديد الدور المناسب للإعلام خاصاً بحكم الإعلاميين أنفسهم، وليس مرغوباً أيضاً أن تضع هيئات تطبيق القانون لوحدها سياسات إزاء هذا الأمر.

- يتطلب مسرح الإرهاب المعاصر الانفتاح والفهم والتعاون من جانب كل من جميع وسائل الإعلام وهيئات العدالة الجنائية وغيرها حتى تستطيع أن تتفاعل مع مثل هذا المجال المهم من الاهتمام بشكل أكثر عدلاً وواقعية.
- الانتباه إلى حقيقة أن التغطية المكثفة والمحايدة للعمليات الإرهابية قد تدفع الناس إلى التكيف مع الإرهاب والتعود عليه كتجربة. ومن المؤكد أن تقديم المعلومات بشكل روتيني هو الذي يؤدي إلى هذا التكيف. " التقديم المحايد للأخبار سوف يجعل الإرهابي يبدو وكأنه يقوم بفعل عادي " (Alekseev,2004).

٣- الحرية المسؤولة:

يؤكد دعاة هذا التيار على مفهومي حرية التعبير وحق الجمهور في أن يعرف، ولكنهم يربطون هذين الحقين بواجب المسؤولية إزاء المجتمع، حتى لا يستطيع الإرهابيون استغلال هذه الحرية الإعلامية لصالحهم. ولكن مفهوم المسئولية ما زال مفهوماً إشكالياً، نظراً لعدم وجود تعريف دقيق له، يحدد مضامين المسئولية وكيفية ممارستها وآليات تحقيقها. ولكن يجب التأكيد في هذا الصدد على حدين أساسيين للمسئولية الإعلامية(Schaffert,1992):

- الامتناع عن دعم الإرهاب.
- تقديم إعلام صحيح للناس.

وضمن هذين الحدين تدور مناقشات حول ما يجب أن يفعله الإعـــلام، وحول ما يجب ألا يفعله، أثناء تغطية العمليات الإرهابيـــة. ربـــط (Coper Quoted at Schaffert,1992) قضية المـــسؤولية بكيفيـــة تـــصور الإعـــلام للإرهاب،" إذ من المؤكد أن الإعلام لا يوجِد الإرهابي، بـــل هـــو بالتأكيـــد يستطيع أن يجعله قديساً أو شيطاناً... وإذا ما أسهم الإعلام في معالجة مـــشكلة الإرهاب فإنه لا يأمل كثيراً في أنه يستطيع أن يسهم في حلها ".

ويمكن رؤية المسئولية في تغطية الإرهاب من الزوايـــا الـــثلاث التاليـــة: (Schaffert,1992,p:71)

الأولى: الامتناع عن إثارة الإرهاب ونشره... وهذا يتضمن عدم تقـــديم مادة من شأنها دفع الآخرين إلى تقليد الإرهاب.

الثانية: تجنب الاشتراك في الفظائع الإرهابية... ويطرح هـــذا مـــشكلة الاعتماد على مصادر الإرهابيين أنفسهم، ومرافقتهم أحياناً في عملياتهم.

الثالثة: تجنب الأخطاء التكتيكية التي تقع أثناء تغطية الفظائع الإرهابية... وهذا يعني التقيد بعدم نشر أية مادة أثناء العمليات الإرهابية من شأنها أن تفيد الإرهابيين وتضر بالأجهزة الأمنية أو بالرهائن.

٤- الالتزام الطوعي بأدلة ومواثيق مهنية تم التوصـــل إليهـــا طوعياً:

ينطلق دعاة هذا التيار من الرفض المطلق لفرض أي شكل من أشـــكال الرقابة الحكومية على الإعلام، لأن من شأن ذلك أن يفقد ثقة الشعب بالإعلام

وبالتغطية التي يقدمها هذا الإعلام للعمليات الإرهابية. وهذا بدوره سوف يساعد الإرهابيين، وسوف يستفيد منه جميع أعداء الديمقراطية. ولهذا يقول أصحاب هذا التيار أن الطريق الأمثل لمنع الإرهابيين من اختطاف الإعلام واستخدامه لصالحهم أثناء العمليات الإرهابية في المجتمعات الديمقراطية هو تشجيع وسائل الإعلام على مناقشة المشكلة والتوصل من خلال هذا النقاش إلى التحديد الطوعي لأسس التغطية الإعلامية للعمليات الإرهابية ومنطلقاتها ومعاييرها، تكون بمثابة دليل طوعي تلتزم به التغطية التي تقدمها هذه الوسائل الإعلامية للعمليات الإرهابية. وقد وضعت الكثير من المؤسسات الإعلامية الضخمة أدلة خاصة بها لتغطية هذه العمليات، وذلك كما فعلت BCC في بريطانيا وشبكة CBS في أمريكا. ويرى كثير من الصحفيين أن الموضوع صعب جداً ليعالج قانونياً دون أن تلحق هذه المعالجة ضرراً. المسألة هنا على الأرجح تقدير ذاتي. يجب أن يتعلم الصحفيون كيف يتعاملون مع هذه الأحداث. وهذا سوف يسبب لهم توتراً تترتب عليه آثار هامة. وتصبح القضية: كيف تقاوم الضغط والتوتر وتستمر في الوقت نفسه في تجنب أن تكون مجرد أداة بيد الإرهابيين. ومن الواضح أنه من الضروري أن يتعاون الصحفيون والخبراء من أجل إيجاد حل... يحتاج الجمهور إلى أفكار جديدة حتى تستطيع التغطية الإعلامية لهذه الأحداث، كالأحداث نفسها، أن تُعبئ المجتمع بدلاً من أن تدمره. ويجب تجنُّب الطرق " السلبية " لحل المشكلة (مثل فرض المنع والقيود)، وبدلاً عنها يجب أن نبحث عن حلول " إيجابية "، التي يبدو من الواضح أنها أكثر صعوبة. ولكن عندما نتوصل إلى مثل هذه الحلول، تتوقف

المناقشات حول الأحداث الإرهابية أن تكون طريقاً ذي اتجاه مزدوج لغسل الدماغ. (Alkseev,2004).

٥- التنسيق الطوعي مع الأجهزة الحكومية:

يرى أصحاب هذا التيار أن أي حل لمشكلة علاقة الإرهاب بوسائل الإعلام في المجتمع الديمقراطي لا بد أن يعتمد بشكل كامل على التفاهم والتعاون والتنسيق بين السلطات ووسائل الإعلام، وبدون التوصل إلى معيار مقبول لما يجب أن يُعْمَل، وكيف يجب أن يُعْمَل، فلن يكون هناك ثمة أي أمل في تحقيق أي تقدم في هذا المجال. ويصل هذا التيار إلى قناعة مفادها: يجب على وسائل الإعلام أن تدرك أولاً أن هناك مشكلة، وثانياً أنها هي تشكّل جزءاً من هذه المشكلة. وبهذه الطريقة تستطيع أن تتحرك بشكل موضوعي باتجاه تشكيل جزء من الحل.(Ezeldin,1987)

تعد التجربة التاريخية للدولة مع الإرهاب عاملاً مهماً في تحديد سياسات المواجهة ودور الإعلام في هذه المواجهة. وحين يصل التهديد إلى حد معين، سوف تظهر سياسات مجابهة، وسوف تقوم وسائل الإعلام طوعياً بفرض قيود على نفسها، وسوف ترضى هذه الوسائل بهذه القيود، كما سوف يوافق عليها الرأي العام.

ففي ألمانيا، على سبيل المثال، تمَّ التوصل إلى تنسيق كامل بين وسائل الإعلام والأجهزة الرسمية أثناء جميع العمليات " الإرهابية " التي شهدتها ألمانيا. فقد اضطرت الحكومة الألمانية، لأول مرة، أن تطلب من وسائل الإعلام أثناء

اختطاف طائرة لوفتها نزا ١٩٧٧،(الذي اعتبرته عملاً إرهابياً) أن تفرض الصمت على نفسها، نظراً لخطورة الموقف وحراجته(Quoted at, Alexander,1978). ولاقى هذا التنسيق ، بما في ذلك بعض الإجراءات التي اتخذتها الحكومة ضد الإرهاب، تقبلاً وتفهماً ودعماً شعبياً. وتؤكد التجربة الألمانية أن الجمهور يمكن أن يكون قوة مهمة في مواجهة الإرهاب. فقد كان الرأي العام الألماني قوة فاعلة ليس في دعم إجراءات الحكومة المعادية للإرهاب، بل وفي تشجيع الإعلام ليقاوم استغلاله من قبل الإرهابيين. كما تؤكد هذه التجربة أنه يمكن منع استغلال الإرهابيين للإعلام أثناء تغطية العمليات الإرهابية دون إلحاق أي أذى بالديمقراطية، وأنه عندما يوضع حد لاستغلال الإرهاب للإعلام يتراجع الإرهاب (Schaffert,1992). واستطاع الإعلام الألماني أن يواجه بذاته، وبشكل طوعي، القيود التي التزم بها أثناء تغطيته للعمليات الإرهابية.

ومن جهة أخرى تؤكد **التجربة الإيطالية** أن هناك حداً لتحمُّل الشعب لاستغلال الإرهاب لوسائل الإعلام. ففي البداية نظر الإعلام الإيطالي إلى منظمة " الألوية الحمراء " نظرة رومانسية، ولكن، وبعد تصاعد عمليات العنف، استاء الرأي العام الإيطالي من موقف وسائل الإعلام، ومن الطريقة التي يستغل بها " الإرهاب " الإعلام. وبلغ هذا الوضع الذروة عند اغتيال ألدو مورو وبعض الشخصيات القضائية المشهورة في نهاية السبعينيات من القرن الميلادي الماضي. بعدها غيَّرَ الإعلام الإيطالي موقفه باتجاه دعم حركة الوحدة لمجابهة "الإرهاب"(Schaffert,1992). وتمَّ التوصل إلى تفاهم بين السلطات والإعلام، وكانت القيود الذاتية التي تم التوصل إليها استجابة لإجماع الرأي العام.

أما في **بريطانيا** فإن الوضع مختلف. هناك مشكلة شمال أيرلندا، والمعاناة المزمنة منها، والآثار التي ترتبت عليها، وعمليات الجيش الأيرلندي التي توصف في بريطانيا بأنها " إرهابية"، وفي أيرلندا الجنوبية وبعض دول العالم بأنها نضال من أجل حرية أيرلندا الشمالية. كثرت العمليات، وازداد اهتمام الرأي العام بها. وأصدرت الحكومة البريطانية عام ١٩٧٤ تشريعات قانونية لما تسميه بالإرهاب، وشملت هذه التشريعات التغطية الصحفية لهذا العمليات. وفي هذا السياق وضعت هيئة الإذاعة البريطانية طوعياً دليلاً خاصاً بها لتغطية هذه العلميات. ولكن، وكما أشرنا سابقاً، حدثت، وخاصة في عهد مارغريت تاتشر، صدامات قوية بين التشريعات الحكومية المتعلقة بالتغطية الإعلامية للعمليات " الإرهابية " وبين دليل التغطية الذي وضعته هيئة الإذاعة البريطانية. وكانت التشريعات الحكومية هي التي تتغلب على الدليل. ومنعت السلطات الحكومية بث الكثير من المواد التي أنتجتها الهيئة والمتعلقة بالإرهاب.

ماذا كانت النتيجة؟ فقدَ الشعب البريطاني ثقته بالتغطية التي تقدمها وسائل الإعلام عن الأحداث والعمليات " الإرهابية "الداخلية، ولم يستطع الجمهور أن يفهم بشكل سليم وكامل حقيقة العنف في أيرلندا الشمالية.

وبالرغم من ذلك كله، تُظهِر التجربة البريطانية أن الإعلام يسهم في الإجراءات المواجهة للإرهاب حتى في الوسط المتقلب والعاطفي، كما تُظهر أن فرض أية قيود على تغطية الإعلام للعمليات الإرهابية لا يمكن أن يمر بسهولة إلا في حالة وجود رأي عام يدعم هذه الإجراءات بسبب معاناته من الإرهاب.

وهكذا تؤكد التجربة في كل من ألمانيا وإيطاليا وبريطانيا أنه بالإمكان تخفيض استغلال الإرهاب للإعلام بدون الإساءة للديمقراطية، وأن وجود بعض

القيود المتفاهَم عليها بخصوص تغطية الإعلام للإرهاب تؤدي إلى تراجع الإرهاب (Schaffert,1992).

الوضع مختلف في الولايات المتحدة. تاريخياً، كانت الولايات المتحدة هي الخاسرة في الدراما الإرهابية، وكانت الإدارة الأمريكية تظهر دائماً غير واعية وغير مستعدة. كما يظهر المسؤولون غير أكفاء. وثمة من يرى أن التغطية التي تقدمها الصحافة الأمريكية لما تسميه العمليات " الإرهابية" هي تغطية غير متوازنة، وتعطي للعالم انطباعاً بأن الحكومة الأمريكية غير قادرة على التعامل مع ما تعتقد أنه " إرهاب ". ويفسِّرون ذلك بأن وسائل الإعلام الأمريكية ترى أن مهمتها الأساسية هي مراقبة الحكومة. الأمر الذي دفع الحكومة لمواجهة هذا الموقف المعادي إلى تقديم معلومات خاطئة للصحافة أثناء العمليات التي اعتبرتها إرهابية (حكومة ريغان، كانت تقول للصحافة الأمريكية أنها لن تفاوض إيران أثناء أزمة الرهائن، في الوقت الذي كانت تجري فيه مفاوضات مع إيران للإفراج عن الرهائن مقابل أسلحة وقطع غيار لدعم مجهودها الحربي أثناء حربها مع العراق)... ولكن، وبالرغم من ذلك فإن الصورة تبدلت بالكامل بعد ٢٠٠١/٩/١١، حيث وقفت وسائل الإعلام الأمريكية إلى جانب الحكومة، واستطاعت الحكومة، كما يرى البعض، أن تستغل هذا الحدث الضخم لإتباع سياسات إعلامية جديدة تؤكد هيمنة الحكومة وسيطرتها على المصادر الرسمية التي تتحكم بالتغطية.

هل يمكن وضع نموذج موحد للتناول الإعلامي للعمليات الإرهابية؟

ارتفعت أصوات طيبة تدعو إلى العمل على إيجاد نموذج موحَّد يتم الاتفاق عليه طوعياً للتغطية الإعلامية للعمليات الإرهابية. دعا البعض إلى إيجاد بنك

معلومات موحد خاص بالإرهاب، يعتمد عليه جميع الصحفيون في تناولهم الإعلامي للإرهاب وعملياته. ولكن الواقع يؤكد أن مهمة إيجاد هذا النموذج الموحَد ستكون صعبة جداً، بل تكاد تكون مستحيلة. ويعود ذلك للأسباب التالية:

- اختلاف الأنظمة السائدة في المجتمعات المختلفة.
- اختلاف السياق العام للإرهاب في كل مجتمع.
- اختلاف المضامين المميزة للإرهاب في كل مجتمع.
- اختلاف وسائل الإعلام الجماهيري وتنوع مدارسها ومواقفها.
- اختلاف المهارات الإعلامية لدى الصحفيين العاملين في هذا المجال.
- اختلاف الأطر المرجعية الإخبارية لتغطية الإرهاب والعمليات الإرهابية.

إشكاليات التغطية الإعلامية للإرهاب وللعمليات الإرهابية.

١- إشكالية النشر:

ما زال التناول الإعلامي للإرهاب وللعمليات الإرهابية موضوعاً إشكالياً يثير قدراً كبيراً من الجدل. وتبرز في هذا الجدل ثلاثة اتجاهات:

الاتجاه الأول: يرى أن التناول الإعلامي بمجمله (وخاصة وسائل الإعلام الإخبارية الخفيفة والمثيرة) يقدِّم عملياً، وفي محصلة الأمور، خدمات للإرهاب وللإرهابيين، تتمثل في نشر أفكارهم وأهدافهم إلى الجماهير الواسعة، وإظهارهم كأصحاب قضية، وإسهامه في إعطائهم الاعتراف والشرعية. ويسود هذا الاعتقاد أساساً في أوساط الجهات الرسمية وخاصة الأمنية منها.

الاتجاه الثاني: يرى أن التناول الإعلامي بمجمله (وخاصة في الوسائل الجدية والنوعية)، يقدِّم إسهاماً حقيقياً فاعلاً في الوقاية من الإرهاب، وفي مكافحة الإرهاب. وذلك من خلال نشره ثقافة أمنية من شأنها تعريف المواطن بالإرهاب وتحصينه ضده، ودفعه للإسهام في مواجهته. وكذلك من خلال الدعم المباشر لأجهزة الإعلام الرسمية المعنية بمواجهة الإرهاب وخاصة الأمنية والسياسية منها. ويسود هذا الاتجاه في أوساط الأكاديميين ومراكز البحوث الإعلامية والاجتماعية.

الاتجاه الثالث: يرى أن التناول الإعلامي بمجمله لا يؤدي دوراً محسوساً في الظاهرة الإرهابية، وذلك نظراً للتأثير المحدود لوسائل الإعلام الجماهيري على

المتلقي في عصر يرتفع فيه مستوى التعليم والثقافة للمتلقي، وتزداد فيه الخبرة الاتصالية للجماهير، وتتعدد أنواع الاتصال وسبله، ونظراً لحقيقة أن الناس تحدِّد مواقفها بفعل مؤثرات عديدة وليس بتأثير الإعلام وحده. الأمر الذي يؤدي إلى وجود مفهوم الجمهور " العنيد "، بمعنى الجمهور الذي يقف موقفاً نقدياً (وخاصة جمهور الصحافة المكتوبة) من الرسائل الإعلامية الموجهة إليه. وربما يخفف هذا الموقف كثيراً من قوة تأثير وسائل الإعلام الجماهيري. ويسود هذا الاتجاه في أوساط الكثير من الباحثين الإعلاميين الذين يؤمنون بنظريات التأثير المحدود لوسائل الإعلام.

في ضوء ما تقدَّم يمكن فهم حقيقة استمرار الإشكالية القائمة ما بين وسائل الإعلام الجماهيري والإرهاب، وكذلك استمرار عدم وجود أجوبة قاطعة عن الكثير من الأسئلة التي تطرحها هذه الإشكالية، وخاصة السؤال المركزي منها وهو: هل تقدم وسائل الإعلام الجماهيري، عبر تناولها للإرهاب للعمليات الإرهابية، سواء بشكل مباشر أو غير مباشر، أو بطريقة مقصودة وواعية أو غير مقصودة وغير واعية، خدمةً ما للإرهابيين، وخاصة ما يتعلق بنقل رسائلهم إلى الجماهير الواسعة، ونشر أفكارهم ومبادئهم ومطالبهم، وإظهارهم كأصحاب قضية، والإسهام في إكسابهم الاحترام والتقدير والشرعية والتعاطف؟ أم أن وسائل الإعلام الجماهيري تُسهم في تغطية إعلامية للعمليات الإرهابية تدعم الجهود السياسية والأمنية لمواجهتها في مرحلة المواجهة؟

نعتقد أن السؤال سوف يبقى قائماً ومطروحاً لصعوبة تقديم جواب قاطع ومحدد عنه، لاعتبارات كثيرة أهمها:

- اختلاف النظرة إلى الإرهاب والإرهابيين بسبب اختلاف تعريف الإرهاب.

- اختلاف السياسات الإعلامية، وتعدد المدارس الصحفية.

- تعذُّر التناول الإعلامي الاحترافي للإرهاب وللعمليات الإرهابية، والاندفاع نحو تسييس التغطية الإعلامية للإرهاب.

- القوة الذاتية للحدث الإرهابي المتمثلة في مضمونه المثير والجذاب جماهيرياً. الأمر الذي يُوَفِّر العديد من المزالق التي يمكن أن يقع فيها الصحفيون والمؤسسات الإعلامية خلال فترة تغطيتها للظاهرة الإرهابية وللعمليات الإرهابية.

الجوانب السلبية في التغطية الإعلامية للإرهاب وللعمليات الإرهابية في مجتمعات التعددية السياسية والإعلامية:

عرف الغرب عموماً العمليات التي يصفها بأنها " إرهابية " منذ العقد السادس من القرن العشرين الميلادي. ويمكن التمييز بين مدرستين في التغطية الإعلامية للإرهاب في هذا الغرب الواسع:

المدرسة الأولى الأوروبية واليابانية: عرفت دول أوروبا الغربية (وخاصة ألمانيا وإيطاليا وإسبانيا وبريطانيا) واليابان ما أسمته هذه الدول " إرهاباً " منذ خمسة عقود. وتميزت الحركات التي مارست هذا " الإرهاب " بطابعها السياسي الداعي إما إلى الاستقلال الذاتي (حركة الباسك في إسبانيا) أو الاستقلال التام (الجيش الجمهوري الأيرلندي)، أو إقامة أنظمة عادلة غير خاضعة للاحتكارات (بادر ماينهوف في ألمانيا والألوية الحمراء في اليابان والكثير من المنظمات في إيطاليا).

جذبت هذه الظاهرة اهتمام الرأي العام ووسائل الإعلام، وحظيت بتغطية إعلامية مناسبة. ويمكن تحديد أبرز سمات التناول الإعلامي الأوروبي والياباني لهذه الظاهرة على النحو التالي:

- الإحساس الكبير بالمسئولية عند تغطية هذه العمليات.
- السعي الدائب لتقديم تغطية تحقق قدراً كبيراً من التوازن بين حق التعبير وحق الجمهور في أن يعرف، وبالتالي تحقيق التوازن بين مختلف قيم الحرية الإعلامية وبين حق السلطات في مجابهة أمنية مناسبة لهذه الحركات.
- التفهم الكامل والالتزام الطوعي بالأحكام والإجراءات التي تتخذها السلطات الرسمية وخاصة القضائية والأمنية لمكافحة هذه الحركات.
- تحقيق أقصى قدر من التعاون والتنسيق مع الأجهزة الرسمية وخاصة الأمنية المعنية بالتعامل مع العمليات " الإرهابية ".

المدرسة الأمريكية:

انطلقت وسائل الإعلام الأمريكية في تناولها للإرهاب وللعمليات الإرهابية المتعلقة بالولايات المتحدة ومصالحها، والتي حدثت داخلها وخارجها، من التقاليد الإعلامية الأمريكية وأهمها:

- حرية التعبير.
- الحق في الوصول إلى مصادر المعلومات.
- حق الجمهور في أن يعرف.
- الأخبار هي الأخبار.

- تشكّل وسائل الإعلام ضلعاً رئيساً من أضلاع مثلث (السلطات الرسمية- الإرهاب – وسائل الإعلام)، وبالتالي، لا تقف وسائل الإعلام في خندق واحد مع السلطات الرسمية، بل مهمتها مراقبة أداء هذه السلطات وتقييم هذا الأداء، وتقديم حقيقة ما يجري للجمهور حتى يستطيع أن يفهم، ويحكم، ويحدد موقفه.

- الانطلاق من واقع احتدام المنافسة بين الوسائل الإعلامية المختلفة.

- التركيز على قيمة السبق الصحفي.

- السعي لاستغلال التغطية للإرهاب وللعمليات الإرهابية لزيادة الانتشار والتوزيع، وبالتالي زيادة الربح.

تأسيساً على ما تقدَّم، يستطيع الباحث المتتبع أن يلاحظ فروقاً جوهرية في التناول الإعلامي للإرهاب وللعمليات الإرهابية بين المدرستين الأوروبية-اليابانية والأمريكية. وبقيت هذه الفروق شديدة الوضوح حتى أحداث ٢٠٠١/٩/١١ (الهجوم على برجي التجارة الدولية في نيويورك، وما أعقبه من تبدلات جوهرية شملت:

- تصاعد أهمية الإرهاب والظاهرة الإرهابية.

- كثافة الإجراءات والتشريعات والقوانين التي اتخذتها الحكومة الأمريكية لمواجهة ما تعتبره إرهاباً.

- الطابع الكوني الذي اتخذته الظاهرة الإرهابية ومجابهتها.

- التبدلات التي حدثت في المفاهيم والمنطلقات وحتى في الفلسفة الإعلامية الأمريكية. وبروز تدخل الدولة، بصورة مباشرة أو غير مباشرة، وبأساليب خفية أو ظاهرة، من أجل تجنيد وسائل الإعلام الأمريكية وتعبئتها في عملية المواجهة.

- استجابة وسائل الإعلام الأمريكية قسراً أو طوعاً للتوجيهات والإجراءات والتشريعات الرسمية المتعلقة بتغطية " حرب أمريكا " على ما تسميه "الإرهاب"، تلك الحرب التي تحولت إلى إستراتيجية كاملة لها جوانبها السياسية والعسكرية والاقتصادية والأمنية والإعلامية، وتخوض الولايات المتحدة انطلاقاً من هذه الإستراتيجية حروبها ومعاركها الكونية ضد ما تعتقد أنه " إرهاب ".

بعد هذا التطور المفصلي الأبرز في تاريخ الولايات المتحدة وتاريخ الإعلام الأمريكي، أخذت الفروق التي كانت تعد جوهرية بين المدرستين الأوروبية-اليابانية والأمريكية في التناول الإعلامي للإرهاب وللعمليات الإرهابية بالتلاشي، وذلك للأسباب التالية:

- برز الشكل العولمي للإرهاب. انتهى عصر الجماعات الصغيرة التي تحصر نشاطها في بلد معين، وتوجه عملياتها ضد بلد معين، وفي الغالب من أجل تحقيق هدف محلي معين.
- بدأ عصر التنظيمات " الإرهابية " ذات الصفة العالمية (وغالباً ذات الطابع الديني)، التي تمتلك منظمات في أكثر من بلد، وتسعى لتحقيق أهداف وتنفيذ عمليات في أكثر من بلد.
- بروز الشكل العولمي لمجابهة للإرهاب. لم تعد السلطات المحلية لوحدها قادرة على مجابهة ظاهرة الإرهاب المعولم. كان لا بد من التوصل لإستراتيجيات مجابهة ذات طابع عالمي، وتطبيق هذه الإستراتيجيات إلى سياسات متناسبة مع ظروف البلدان المختلفة.

- تسارع عملية سن القوانين وإصدار الأحكام والتشريعات المناسبة لمواجهة الإرهاب المعولم، وقد شملت هذه الإجراءات جوانب الحياة كافة، وفي مقدمتها وسائل الإعلام.

أدت هذه العوامل وبسرعة لافتة إلى تلاشي الفروق الجذرية بين المدرستين السابقتين الأوروبية والأمريكية إلى حد أصبح بالإمكان (وبأقل قدر من المجازفة) الحديث عن مدرسة واحد للتناول الإعلامي للإرهاب في أنظمة التعددية السياسية والإعلامية.

ومع ذلك من المفيد تركيز الضوء على بعض مظاهر الخلل ونقاط الضعف والسلبيات التي ظهرت على تناول وسائل الإعلام الغربية للإرهاب سواء قبل ٢٠٠١/٩/١١ أم بعده، وذلك نظراً لأن الممارسة قد شهدت بعد ذلك سلبيات لافتة. نحاول تحديد أبرز هذه السلبيات على النحو التالي:

١- كثافة التغطية:

يتميز اهتمام وسائل الإعلام أثناء العمليات " الإرهابية" بالتركيز الشديد على هذه العمليات، أكثر مما تتطلبه أهمية هذه العمليات، وأكثر مما يتطلبه إشباع الحاجات الإعلامية للجمهور، وربما أحياناً أكثر من مقدرة المتلقي على المتابعة.

أثناء أزمة الرهائن في السفارة الأمريكية في طهران (١٩٧٩/١١/٤)، الحدث الذي تسميه أمريكا " إرهاباً"، خصصت طوال ذلك الشهر الشبكات التلفزيونية الرئيسة من نشراتها الرئيسة المسائية لتغطية الحدث لتغطية الحدث ٥٤% في شبكة ABC و ٥٠% في شبكة CBS و ٤٨% في شبكة NBC .

وفي الشهر التالي خصصت للحدث ذاته ٥٢% في شبكة ABC و ٤٣% في شبكة CBS و ٣٨% في شبكة NBC.

وعند اختطاف طائرة TWA (حزيران-يونيو ١٩٨٥)، خصصت صحيفة نيويورك تايمز طوال الفترة الواقعة ما بين ٦/١٩ وحتى ٧/١؛ ٣١% من صفحاتها الإخبارية المحلية والخارجية لتغطية الحدث. وخصصت صحيفة الواشنطن بوست ٢٨%، وخصصت صحيفة لوس أنغلوس تايمز ٢٣% من صفحاتها الإخبارية لتغطية الحدث ذاته. (Dowling,R.1988)

أما بالنسبة لحدث ٢٠٠١/٩/١١، الذي يُعَدُّ أضخم وأهم حدث عاجل Breaking News في التاريخ، فقد كرَّست الشبكات التلفزيونية الأمريكية جميع موادها وبرامجها وعلى مدار الساعة طوال الخمسة أيام الأولى لتغطية الحدث، وذلك دون تقديم أي مادة أخرى، حتى أنها ألغت الفواصل الإعلانية، ولم تقدم أي أخبار أخرى. كما غيَّرت جميع محطات الرياضة والترفيه برامجها لتغطي الحدث. وخصصت جميع الصحف جميع صفحاتها لتغطية الحدث. وخصصت مجلتا نيوزويك وتايم مواضيع أغلفتهما طوال ثمانية أسابيع لتغطية الحدث.(Nacoc,2002)

وكتب الناقد الإعلامي الأمريكي Fallows(2001)أن الصحف الأمريكية كانت تنشر يومياً موضوعات عن أحداث ٢٠٠١/٩/١١ أكثر مما يستطيع أي قارئ أن يقرأ، كما نشرت مواد تحليلية واستقصائية تتوقع ما يمكن أن يرغب القارئ في معرفته، ربما أكثر من مقدرته على الاستيعاب. وتؤثر كثافة التغطية على رؤية الناس ومواقفهم من الإرهاب. فقد بلغ عدد القصص الإخبارية المتعلقة بالإرهاب التي أذاعتها الشبكات التلفزيونية الرئيسة الثلاث في

الولايات المتحدة ١٦٨ قصة في الإثني عشر شهراً التي سبقت ٩/١١، وكان عدد الأمريكيين الذين يعتقدون أن الإرهاب هو أهم مشكلة تواجه أمريكا، حسب معهد غالوب، يساوي الصفر. أما في الإثني عشر شهراً التي أعقبت ٩/١١، فقد ارتفع عدد القصص الإخبارية المتعلقة بالإرهاب في الشبكات الثلاث إلى ١٣٤٥ قصة، وارتفع عدد الأمريكيين الذين يرون أن الإرهاب أهم مشكلة تواجه أمريكا إلى ٤٦%. (Norris,2003)

٢- التركيز على موضوع الإرهاب على حساب الاهتمام بالموضوعات الأخرى:

غالباً ما يؤدي اندفاع وسائل الإعلام المبالغ فيه إلى الاهتمام بموضوع الإرهاب إلى إهمال أو إضعاف التركيز على الموضوعات الأخرى المهمة، ربما أكثر من الإرهاب. وتكمن خطورة ذلك في أنه يحدث ليس فقط أثناء العمليات الإرهابية، ولكن حتى في الأوقات العادية.

ففي الفترة الواقعة ما بين ١٩٩/١/١ و ١٩٩٩/١٢/٣١ توزعت التقارير الإخبارية في شبكتي ABC و CBS على النحو التالي(Nacos,2002,p85):

الموضوع / الشبكة	ABC	CBS
الإرهاب	٢١٦	٤٣٤
التأمين الصحي	١٧٦	٣٨٩
الخدمات الصحية	٩٤	٢٨٥
الفقر	٤٥	٧٦
الضمان الاجتماعي	١٠٠	٣١٠

٣- شخصنة الإرهاب:

تندفع وسائل الإعلام الغربية عموماً والأمريكية خصوصاً، إلى شخصنة الإرهاب، بحيث تُلَخّص الظاهرة كلها بشخصية رئيسة، وتركز اهتمامها فقط على هذه الشخصية المركزية، وتحولها إلى " نجم "، وتسعى إلى تركيز السخط والحقد على هذه الشخصية، وتحوُّلها إلى رمز للظاهرة،وبحيث توحي التغطية بأن القضاء عليها يعني القضاء على التنظيم الإرهابي، وغالباً ما يتم ذلك وفق نزعة تبسيطية، تهدف أساساً إلى نوع من التضليل، الذي يحاول أن يحجب الأسباب الحقيقة والجوهرية للإرهاب. ذكرت الصحف الأمريكية اسم الإرهابي الأمريكي McVeigh في القصص الإخبارية التي نشرتها في فترة ٢٠٠١/١/١ و ٢٠٠١/٦/٣٠ بنسبة تعادل ثلث القصص التي ذكرت فيها اسم الرئيس بوش وأكثر من تلك التي ذكرت فيها اسم ديك تشيني نائب الرئيس.(Nacos,2002,p88)

الشخصية/الوسيلة	ABC	CBS	NBC	NPR	NY.Times
الإرهابي ماكفاي	٣٤٨	٢٥٠	٢١٥	١٧٨	٢١٢
الرئيس بوش	٨٩١	٩٢٣	٥١٣	٧٦٧	٣٥١١
نائب الرئيس	٢٨	١٩	١٤	١٤	٣٧٢

وفي الفترة الواقعة ما بين ٢٠٠/١/١ و ٢٠٠/١٢/٣١ نشرت وسائل الإعلام الأمريكية أخباراً تذكر فيها اسم بن لادن أكثر من القصص التي تذكر

فيها توني بلير، رئـيس وزراء بريطانيـا، وإيرهـارد شـرويدر، مستـشار ألمانيا:(Nacos,2002,p88)

الشخصية/الوسيلة	ABC	CBS	NBC	NPR	N.Y.Times
بن لادن	٢٧	٦٦	٨	٧	١٧٦
توني بلير	٢٧	٤٦	١	٢٠	٣٧١
إيرهارد شرويدر	٢	٨	١	٧	١٣٧

أما أثناء الأحداث الإرهابية فإن ظاهرة الشخصنة تبلغ الذروة. ففي الفترة الواقعة ما بين ٢٠٠١/٩/١١ (يوم الاعتداء على برجي التجـارة الدوليـة في نيويورك) و ٢٠٠١/١٠/٦، كان تكرار اسمي بن لادن والرئيس بوش في القصص الإخبارية للمحطات التلفزيونية وللصحف القومية الـضخمة على النحو التالي: (Nacos,2002,p49)

الوسيلة / الشخصية	بوش	بن لادن
ABC NEWS	١٧٥	٢٩٩
CBS NEWS	٢١٠	٢٧٠
NBC NEWS	١٥٩	٢١١
NPR NEWS	٢٧١	١٨٨
N.Y. TIMES	٦٥٥	٦١١
WASH. POST	٦٨٤	٤٩

وكان الوضع في الفترة التي أعقبت الضربات العسكرية لأفغانستان (٢٠٠١/١٠/٨ وحتى ٢٠٠١/١٢/٨) على النحو التالي:

الوسيلة / الشخصية	بوش	بن لادن
ABC NEWS	٣٠٣	٤٩٧
CBS NEWS	٢١٠	٤٣٤
NBC NEWS	١٧٠	٣٤٥
CNN NEWS	٣٢٥	٥٧١
NPR NEWS	٢٠٢	١٩٨
N.Y. TIMES	١٢٥٩	١٢١١
WASH. POST	١٢٠١	٨٨١

وخلال الفترة الوقعة ما بين ٢٠٠١/٩/١١ والهجوم على أفغانستان ٢٠٠١/١٠/٧، رددت الشبكات التلفزيونية الأمريكية اسم بن لادن أكثر مما رددت اسم الرئيس بوش، وذلك بالرغم من أن بوش أدلى خلال هذه الفترة ب ٥٤ تصريحاً مقارنة مع بن لادن الذي لم يظهر علانية إطلاقاً طوال هذه الفترة، و لم يعقد أي مؤتمر صحفي، و لم يعطِ أي مقابلة. وخلال الأسابيع العشرة التي أعقبت عملية نيويورك، نشرت مجلة التايم الأمريكية صورة بن لادن على غلافها ثلاث مرات وصورة بوش مرتين فقط. وفي الفترة نفسها نشرت مجلة نيوزويك صورة بن لادن مرتين على غلافها و لم تضع صورة بوش إطلاقاً. حَوَّلَت وسائل الإعلام الأمريكي بن لادن إلى واحد من أبرز صانعي الأخبار في العالم.

وهكذا، وكما توضح الأرقام، تمت عملية شخصنة الظاهرة الإرهابية في شخص واحد، ليصبح هذا الشخص رمز الشر ومركز الحقد، ومن ثمَّ بالتالي يتم تقزيم الحرب على الإرهاب، التي يمكن أن تكون طويلة ومعقدة وتشمل جوانب متعددة، إلى القبض على بن لادن " الإرهابي الأول في العالم". وبذلك " تمَّ عزو مشكلة الإرهاب إلى نجم إرهابي واحد، وتمَّ في الوقت نفسه تقديم منظور مزيف من أجل تحديد مدى الخطر وإمكانية إزالته"(Nacos,2002,p:153). مما يجدر ذكره أن الرئيس معمر القذافي كان، بالنسبة للرئيس بوش الأب، كما هو بن لادن بالنسبة للرئيس بوش الابن " الإرهابي العالمي الأول" و " عدو أمريكا الأول ". إن الهدف الأساس لعملية الشخصنة هو التعتيم على الأسباب الحقيقية للإرهاب، ولفت الأنظار عن جذوره العميقة.

وفي فترة سابقة كان كارلوس هو النجم والأسطورة. فقد حوَّلَ الإعلام الغربي، وخاصة الأمريكي، كارلوس إلى أسطورة وإلى شخصية بطولية رئيسية لعدد كبير من القصص الخيالية. ورغم أن كارلوس قضى سنواته الأخيرة مطارداً، وتم إلقاء القبض عليه في السودان عام ١٩٩٤ من قبل المخابرات الأمريكية، وتبيَّن أنه رجل قصير وبدين وفي أواسط العمر، فإن هذه الحقائق لم تؤثّر على فعالية الأسطورة التي رسمها الإعلام في أذهان الناس. وكتب أحد الصحفيين الفرنسيين أن كارلوس استمد من هذه الأسطورة الشجاعة أثناء محاكمته العلنية في باريس.(Jenkins & De Grayter.2003)

٤- نشر الإرهاب وتعريف الجماهير الواسعة به:

إن وسائل الإعلام الجماهيري التي تقدم تغطية كثيفة للعمليات الإرهابية، وتصل إلى جميع الشرائح الاجتماعية، تقوم عملياً بتعريف الجماهير الواسعة بوجود هذه الجماعات الإرهابية، وتعطيها انطباعاً بأن هذه الجماعات الإرهابية قوية وفاعلة ومنتشرة.

الانفصاليون الكروات الذين اختطفوا طائرة TWA الأمريكية عام ١٩٧٦، لم يكونوا معروفين داخل الولايات المتحدة. ولهذا كان شرطهم الوحيد لإطلاق سراح المختطفين وإنهاء العملية هو أن تنشر الصحف الأمريكية الرئيسة الثلاث (نيويورك تايمز وواشنطن بوست و شيكاغو تريبيون) بيانين لهما على صفحاتها الأولى. وقد أدى هذا إلى تحقيق شهرة واسعة للجماعة وأهدافها.

وفي تموز/يوليو عام ٢٠٠٠، اختطفت جماعة أبو سياف في الفيليبين مجموعة من الرهائن الأوروبيين. لم تكن هذه الجماعة معروفة خارج الفيليبين. ولكن الجماعة عرفت كيف تستغل وسائل الإعلام الأوروبية وتستدرجها لتغطية العملية ونشر كل ما يتعلق بأهدافها وسياساتها ومطالبها. ومنذ تاريخ وقوع العملية وحتى نهاية العام، تم ذكر جماعة أبو سياف بالاسم في ١٥٣ قصة إخبارية في الصحيفة الألمانية الواسعة الانتشار DIE WELT، وفي ٦٥ مادة صحفية في صحيفة لوموند الفرنسية.

وفي عام ١٩٧٥، أطلق مختطفون في بونس أيرس سراح مدير شركة مرسيدس، بعد أن استجابت الشركة لمطلبيهم، وهما نشر بيان لهم في عدد من الصحف الأمريكية والأوروبية يتضمن التعريف بأهدافهم وشرح سياساتهم،

ونشر إعلان يتضمن إيضاح طبيعة الإمبريالية الاقتصادية للشركات متعددة الجنسية، وشراسة استغلالها للبلدان النامية.

٥- **التعريف بقضية الإرهابيين:** يقوم الإعلام بتعريف الجماهير الواسعة بالقضية التي يزعم الإرهابيون أنهم يناضلون من أجلها، ويظهرهم بالتالي كشخصيات سياسية وطنية عامة. تتضمن التغطية الإعلامية للعمليات الإرهابية في كثير من الأحيان التعرض للقضية وللمبادئ والمعتقدات التي يؤمنون بها، وللسياسات التي يتبنونها. الأمر الذي يعطي انطباعاً لدى الجماهير الواسعة بأن التعرض يدور حول زعماء سياسيين أو زعماء وطنيين. (مراد، ١٩٩٧)

٦- **ترويج نموذج الإرهابيين وسلوكهم وقيمهم:** من الثابت علمياً أن للإعلام دوراً في تغيير أنماط السلوك غير المرغوب فيها. إذ من الطبيعي أن دور الإعلام لا يقتصر على مجرد تقديم الأخبار أو التحدث عن جماعات أو اتجاهات معينة، وإنما أيضاً يقدم نموذجاً متكاملاً وأنماطاً ثقافية متكاملة. ولكن المغالاة في النشر قد تتحول من وسيلة لمواجهة الإرهاب إلى عامل يؤدي إلى زيادته، بل قد يؤدي إلى الصدام مع أوالشك فيما تقدمه أجهزة الإعلام، باعتبار أنها في أغلب الأحيان قد تكون معبِّرة عن موقف رسمي. وبدلاً من أن تكون القيم الاجتماعية الجديدة والأنماط الثقافية المستخدمة، التي تسعى الدولة من خلال أجهزة الإعلام إلى نشرها وترسيخها في نفوس النشء والشباب، حماية لهم من الانزلاق في مخاطر الإرهاب، ستؤدي إلى نتائج عكسية، وتؤدي إلى انتشار نوع من السلوك الرافض والمنكر لسلطة الدولة. (مراد،١٩٩٧)

٧-إيجاد حالة من التعاطف مع الإرهابيين: حين تؤدي وسائل الإعلام الجماهيري دوراً رئيساً في الإعلام عن القضايا التي تعمل من أجلها المنظمات الإرهابية، وحين تضخم هذه الوسائل المؤثرات النفسية المرتبطة بالحوادث الإرهابية، نقول حين يحدث ذلك، وهو أمر حتمي ومؤكد، تجد تلك الأحداث الإرهابية ردود فعل واستجابات تكون متعاطفة مع الإرهابيين ومؤيدة لقضاياهم في أوساط البعض، الذين يتكون لديهم استعداد فيما بعد للانخراط في مجموعات إرهابية جديدة تدعم أنشطة المجموعات السابقة أو تساعدها على طريق الإرهاب لتحقيق الأهداف المنشودة(حريز،١٩٩٦). تعطي التغطية الإعلامية المكثفة للعمليات الإرهابية انطباعاً بأنها متعاطفة مع قضية الإرهابيين، وهي بذلك تخلق مناخاً ملائماً لمزيد من العنف. (Alexander,1978)

٨- نشر الإرهاب عن طريق التقليد: ونظراً لأن الإرهاب، ومهما كان محلياً، فهو بطبيعته مصدر جذب عالمي، ويميل إلى تشجيع الجماعات الغاضبة والساخطة لأن تقوم بذات الأعمال كمخرج لها من إحباطها وغربتها. بعد عدة أسابيع من إقدام منظمة Montoneros الأرجنتينية على اختطاف جثمان الرئيس السابق بيدرو أرامبورد، من أجل أن تضمن عودة جثمان إيفا براون من اسبانيا، سرق إرهابيون في بورما جثمان يوثانت، الأمين العام الأسبق للأمم المتحدة، بهدف استخدامه كورقة في مفاوضاتهم مع الحكومة البورمية. وهكذا يرى البعض أن اهتمام وسائل الإعلام بالإرهاب الدولي يسبب عنفاً مقلّداً من خلال تشجيعه على وجود مجموعات وتشكيل جماعات جديدة مستعدة لممارسة هذا النوع من العنف من أجل نشر مآسيها وقضاياها(Nacos,1994).

٩-إظهار عجز السلطات والأجهزة الأمنية وعرقلة عملـها: تـؤدي المبالغة في التركيز على تغطية العلميات الإرهابية، وربما بدون قصد، إلى إظهار عدم مقدرة السلطات على مواجهتهم، وإلى إظهار عجز الأجهزة الأمنية عـن حماية المواطنين وعن التصدي للإرهابيين. وحينما تضطر السلطات إلى دخـول مفاوضات مع الإرهابيين فإن التغطية الإعلامية تعطي انطباعاً يضعف الحكومة، وحينما تتخذ إجراءات أمنية حاسمة وقاسية ضد الإرهـابيين، فـإن التغطيـة الإعلامية تركز على قسوة هذه الإجراءات بشكل يبدو وكأن الحكومة تقـسو على هؤلاء الإرهابيين. إن الارتباط بين حدة المنافـسة في وسـائل الإعـلام الأمريكية وبين موقفها المناوئ من الحكومة يولِّد مشاكل تعاني منها الأجهـزة الأمنية الأمريكية. فأثناء غزو العراق، على سبيل المثال، قامت وسائل الإعـلام الأمريكية بالتعاقد مع كبار الضباط والإستراتيجيين المتقاعدين لشرح العمليات العسكرية والتعليق عليها. وشكَّلَ هذا خطراً على نجاح سير العمليات. ولهـذا يجب أن يتعلم الإعلام الأمريكي كيف يتجنب أن يصبح " الفدية " التي تُـدفع للإرهابيين. وحين تُجابه وسائل الإعلام الأمريكي بحقيقـة أن "الإرهـابيين" يستغلونها ويوظفونها لصالحهم، يصبح من العبث الحديث عن " حق الجمهور في أن يعرف " (Schaffert,1992,p:172). ثمة مسألة مهمة في علاقة الإرهـاب بوسائل الإعلام وهي التفاعل الخاص لكليهما مع الأجهزة الأمنية. ففي كـل عملية إرهابية تقوم علاقة نقدية بين وسائل الإعلام المسؤولة عن التغطية وبـين الأجهزة الأمنية المسؤولة عن المواجهة. وغالباً ما تُعرقِل وسائل الإعلام، وخاصة التلفزيون، استجابات الأجهزة الأمنية على نشاطات الإرهابيين. وتأخذ هـذه العراقيل أشكالاً مختلفة مثل كشف معلومات استخباراتية، أو كشف خطـط

الأجهزة الأمنية واستعداداتها وإجراءاتها لمواجهة العملية، أو تقديم تسهيلات معينة للإرهابيين مقابل الحصول على معلومات أو تصريحات تعدُّ سبقاً صحفياً (دعبس،١٩٩٦). كما قد تتدخل وسائل الإعلام مباشرة في العمليات الجارية، وقد تُسهم في تفاقم الضغط على السلطات المسؤولة وفي عملية اتخاذ القرار(Alexander,1978).

١٠- نشر الخوف والذعر: تؤدي كثافة التغطية الإعلامية للإرهاب وللعمليات الإرهابية، وخاصة في حالة المبالغة والتركيز على شراسة هذه العمليات وفظائعها وخسائرها البشرية والمادية إلى نشر نوع من القلق والذعر في أوساط الجماهير، وربما في أوساط بعض رجال الأمن. ومن المؤكد أن هذا من شأنه أن يخدم الإستراتيجية الإعلامية للإرهابيين، لأنه يربك عمل الأجهزة الأمنية، ويدفع الجماهير إلى القلق على أوضاعها، وإلى الشك بقدرة الأجهزة الرسمية والأمنية على مجابهة الإرهابيين، وقد يدفع ذلك الجماهير إلى موقف الحياد وربما التعاطف مع الإرهابيين. وهكذا قد يستطيع الإرهابيون ، من خلال وسائل الإعلام، الوصول إلى أوسع الجماهير لتحقيق الهدفين الاتصاليين التاليين: تعزيز فعالية العنف الإرهابي بواسطة إيجاد حالة نفسية من الخوف والقلق في أوساط الجماعات، وبالتالي، تغيير سلوكهم وقناعاتهم، أو إحداث تغيير عام في بنية الحكومة والمجتمع. والهدف الثاني: لفت انتباه العالم إلى أن الإرهابيين قد ربحوا القضية التي يناضلون من أجلها.

١١- إضفاء الصفة الشرعية على الإرهابيين: تُسْهِم التغطية الإعلامية المكثفة للإرهاب وللعمليات الإرهابية في سعي الإرهابيين لتحقيق التفهم والاعتراف والشرعية. وعندما تجري وسائل الإعلام مقابلات مع الإرهابيين،

وحين تنشر تصريحاتهم وأحاديثهم، فإنها تفعل ذلك بالتوازي مع إجراء مقابلات مع الشخصيات المسؤولة ومع قادة الرأي، وبذلك، ودون أن تتعمد، تُضْفي وسائل الإعلام الاحترامَ والتقديرَ والشرعية على قادة الإرهابيين، لأنها تُظهرهم كشخصيات سياسية واجتماعية وفكرية مُثلهم في ذلك مثل الشخصيات الأخرى، وذلك ببساطة من خلال إجرائها مقابلات معهم، وذلك لأن مجرد إجراء مقابلة صحفية مع شخص ما سواء أكان إرهابياً أو دبلوماسياً أو مسؤولاً حكومياً، هي جوهرياً ذات العملية. إن مجرد حقيقة أن الإرهابي تُجْرى معه مقابلة مع وسيلة إعلامية محترمة، وتتم معاملته كشخص تُعَدُّ مساهمته في الحوار العام مهمة، فإنها ترفع الشخص افتراضياً إلى مستوى السياسي الشرعي(Nacos,1994). وهذا ما يفسر قول ألكسندر هيج، وزير خارجية أمريكا الأسبق، " عندما يجري الصحفي مقابلة مع الخاطفين، فإنه يخاطر بجعل الخارجين على القانون يبدون كشخصيات مسؤولة، وربما كزعماء وطنيين. يجب أن يتجنب التلفزيون أن يتم استغلاله واستخدامه بهذه الطريقة. ولكن وبسبب المنافسة الشديدة يبدو من السذاجة ألاَّ نتوقع حدوث ذلك"(Quoted at Nacos,1994,p:67). تجعل وسائل الإعلام الإرهابيين شخصيات معروفة. الأمر الذي يُعَدُّ اعترافاً رسمياً وإعلامياً بوجودهم. ولذلك لا بد للإعلام من الحيطة والحذر في تناوله لقضايا الإرهاب والإرهابيين(حريز،١٩٩٦).

١٢- تحويل الإرهاب إلى موضوع عادي ومألوف: تُسْهِم التغطية الإعلامية المستمرة والكثيفة للإرهاب وللعمليات الإرهابية في ترسيخ موضوع الإرهاب في أذهان الجماهير، وتجعل موضوع الإرهاب موضوعاً عادياً مألوفاً ومقبولاً، بعد أن اعتاد الناس على وجوده. وهذا من شأنه أن يُضْعِف إحساس

الناس بخطر الإرهاب، ويدفعهم إلى التعايش معه، تماماً كما يتعايشون مع جميع الأخطار التي تواجههم في مجالات حياتهم المختلفة، خاصة وأن المبالغة في كثافة التغطية قد تُعطي انطباعاً باستحالة القضاء عليه، وتحوُّله إلى مشكلة مزمنة، تُضاف إلى المشاكل المزمنة الأخرى التي " اعتادَ " الناس وألفوا وجودها.

١٣- التركيز على الإرهابيين أكثر من التركيز على الشخصيات المسؤولة المدنية والأمنية المعنية بمواجهة الإرهاب. تندفع وسائل الإعلام، وخاصة أثناء العمليات الإرهابية، إلى المبالغة في تقديم كل ما يتعلق بالشخصيات الإرهابية، وتحتدم المنافسة في بعض البلدان من أجل مقابلة هذه الشخصيات وتَسَقُّط أخبارها، ومعرفة أدق التفاصيل عنها، وإجراء المقابلات معها، وإبراز أقوالها وتصريحاتها. إن من شأن ذلك أن يُعطي انطباعاً بأن هذه الشخصيات الإرهابية هي التي تتحكم بعملية الصراع، وهي التي تملك زمام المبادرة، خاصة إذا ما ترافق ذلك مع عدم التركيز على الشخصيات الرسمية المدنية والأمنية، التي ربما لا تتمتع بنفس القدر من الجاذبية وفق معايير الإعلام التجاري المثير. وتكمن خطورة ذلك أنه يتم في ظروف تكون فيها الجماهير خائفة وقلقة، وتسعى إلى الاطمئنان واستعادة الهدوء. وبالتالي، يكون ظهور الشخصيات الرسمية عاملاً فاعلاً في استعادة الثقة، في حين أن التركيز على الشخصيات الإرهابية يزيد من حدة الخوف والقلق. تُظْهِر التجربة الأمريكية في هذا المجال أن المسؤولين الأمريكيين هم أقل جاذبية بالنسبة لوسائل الإعلام من الإرهابيين وضحاياهم. ولذلك عندما تحدثْ عملية إرهابية في الخارج ضد أمريكا، فإن السلطات تفقد أهميتها كمصادر للأخبار لصالح المصادر الخاصة... ولذلك، وخاصة حين يكون المناخ معادٍ لأمريكا يصبح الإرهابيون ومؤيدوهم في موقع ممتاز يمكنهم من

استغلال وسائل الإعلام من أجل نقل الرسائل التي تخدمهم وإيصالها إلى الــرأي العام الأمريكي والعالمي وإلى جمهورهم المحلي كذلك. وتصبح واشنطن الرسمية، بما فيها البيت الأبيض، معتمدة على وسائل الإعــلام، وخاصــة التلفزيــون، للحصول على الأخبار المتعلقة بآخر التطورات الحاصلة في مــسرح العمليــات الإرهابية التي تحدث في الخارج. وتصبح بــذلك أكثــر أهميــة مــن تقــارير الدبلوماسيين الأمريكيين في الخارج(Nacos,2002).

١٤- التركيز على العمليات الإرهابية وعلى النــشاطات الإرهابيــة عموماً أكثر من التركيز على الإجراءات التشريعية والقضائية والأمنية الــتي تتخذها السلطات من أجل مواجهة الإرهاب والعلميات الإرهابيــة، وذلــك بالرغم من أهمية هذه الإجراءات والتشريعات وضرورة أطلع الناس عليها.

١٥-وكذلك التركيز على المواجهة الآنيــة المتعلقــة بالنــشاطات والإجراءات التي تم اتخاذها للرد على العمليات الإرهابية الراهنة (Counter-Terror)، أكثر من التركيز على الإجراءات الوقائية التي تم اتخاذها ضد منــابع الإرهاب وأسبابه العميقة (Anti-Terrorism). ومرد ذلــك في الغالــب أن إجراءات المواجهة الآنية أكثر درامية وإثارة. وهذا ما يفسر انــدفاع وســائل الإعلام الجماهيري الباحثة عن الانتشار إلى التركيز عليها وإبرازها، في حين أنها تكتفي بالتناول السريع للإجراءات الوقائية. ففي الولايات المتحــدة لم تحــظَ الإجراءات التي اتخذت لمواجهة "الإرهاب" ومقاومته بالاهتمام الإعلامي الذي حظيت به العمليات الإرهابية. كما حظيت الإجراءات العاجلة المتخذة لمجابهــة العمليات الإرهابية بتغطية أكثف من الإجراءات الوقائية طويلة الأمد المتخــذة

لمعالجة جذور الإرهاب. يبين الجدول التالي تفاوت اهتمام وسائل الإعلام الأمريكية الرئيسية بالعمليات الإرهابية وبالإجراءات الوقائية (الدفاعية طويلة الأمد) وبالإجراءات الآنية (الهجومية قصيرة الأمد) في الفترة الواقعة ما بين ١٥م٩/٢٠٠١/ و ١٥/١٢/٢٠٠١:

النشاط/ الوسيلة	ABC	CBS	NBC	NPR	N.y.Times
الإرهاب	١٣٩٥	١٣٧٧	١٣٧٤	١٤٦٧	٦٥٢٧
الإجراءات المتعلقة بالمواجهة الراهنة	٤٢٤	٤١٥	٤١٨	٥١١	١٧٧
الإجراءات المتعلقة بالوقاية من الإرهاب	٥٠	١٦	١٤	٣٩	٦١

يلاحظ من الجدول السابق ضعف التركيز على الإجراءات المتخذة ضد الإرهاب مقارنة بالتركيز على العمليات الإرهابية، وذلك بالرغم من أن هذه الإجراءات تشمل برامج الاستعداد والمبادرات السياسية وتشديد الإجراءات القضائية، بمعنى أنها عبارة عن أفعال من شأنها تعزيز فعالية الحكومة في مواجهتها للإرهاب. ومع ذلك لا تحظى باهتمام وسائل الإعلام، ربما لأنها لا تحظى باهتمام الجماهير الواسعة المعنية بالتطورات والمعطيات الراهنة للعملية الإرهابية.

١٦- تغليب قيم السبق الصحفي، بسبب احتدام المنافسة، على قيم المسئولية: يؤدي احتدام المنافسة الإعلامية، والبحث عن السبق الصحفي، أو عن منظور جديد لتناول العملية الإرهابية، إلى اندفاع بعض الصحفيين في بعض الأحيان إلى تغليب الاعتبارات المهنية الصرفة والتضحية بالتوازن بين

الحرية والمسئولية. الأمر الذي قد يلحق أذى بضحايا العملية الإرهابية، أو يعرقل جهود الأجهزة المعنية بمواجهتها، أو بسير إجراءات التحقيق والمتابعة. ومن الواضح أن هذا كله يصب في مصلحة الإرهابيين.

ويحفل تاريخ التناول الإعلامي الغربي، وخاصة الأمريكي، بالأمثلة التي تؤكد ذلك. أثناء اختطاف طائرة لوفتهانزا (١٩٧٧)، استطاعت إحدى المحطات التلفزيونية الأمريكية الحصول على معلومات استخباراتية مفادها أن الأجهزة الأمنية تتلقى معلومات عن الوضع داخل الطائرة وعن المختطفين مباشرة من قائد الطائرة بواسطة جهاز خاص. سمع المختطفون الذين كانوا يتابعون هذه المحطة بذلك، وقتلوا قائد الطائرة.(Alexender,1989)

وأثناء العملية الإرهابية التي أقدم فيها إرهابيون على احتجاز رهائن في مبنى B'nai B'rth(١٩٧٧) في واشنطن، استطاعت مجموعة من الأشخاص، لم يلحظها المختطفون، أن تتجمع في الدور الخامس من المبنى. وفي اليوم التالي من الاحتجاز أخذ أفرادٌ من هذه المجموعة يدلون سلالاً لتزودهم الشرطة بالطعام. لاحظ أحد الصحفيين ذلك. وصوَّره، وبثته المحطة عبر تقرير إخباري. شاهد المختطفون العرض، وحاولوا، ولكن بدون نجاح، الصعود إلى الطابق الخامس لاختطاف الأشخاص الناجين.

وخلال أزمة الرهائن الأمريكيين في السفارة الأمريكية في طهران، استطاع صحفي أمريكي أن يُجري مقابلات عبر الهاتف مع المحتَجِزين بهدف التعرف على مكانهم. وعندما سئل ما إذا كان قد أخذ بعين الاعتبار الخطر الناجم عن استثارة المحتَجِزين ودفعهم إلى مزيد من العنف، أجاب: لم أفكر أبداً في ذلك. لقد كان هدفي الرئيسي أن أحقق سبقاً صحفياً.

ولكن، وفي المقابل، هناك صحفيون يتصرفون بمسؤولية. أثناء أزمة الرهائن الأمريكيين في السفارة الأمريكية في طهران ذاتها، عرف بعض الصحفيين أن بعض أعضاء السفارة الأمريكية في طهران قد هربوا والتجؤوا إلى السفارة الكندية. ولكنهم لم ينشروا هذه المعلومات. وأثناء اختطاف الطائرة الأمريكي TWA (١٩٨٥)، عَلِمَ بعض الصحفيين أن شخصاً آخر من الجيش الأمريكي كان على ظهر الطائرة المختطفة بالإضافة إلى جندي البحرية الذي تعرّف عليه المختطفون وقتلوه. ولكن الصحفيين إحساساً منهم بالمسؤولية لم ينشروا هذه المعلومة. كما أن بعض المؤسسات تسعى لتكريس مفهوم الصحافة المسؤولة، حتى لو كان الثمن التضحية بالسبق الصحفي أو حتى بالصحفي نفسه (أثناء أزمة احتجاز الرهائن في السفارة الأمريكية في طهران أقالت محطة NBC أحد صحفييها، Fred Rowan ، لأنه وافق على تقديم خطبة رنانة لمتحدثة إيرانية مقابل إجراء مقابلة مع أحد الرهائن. (Schaffert, 1992)

١٦-ازدياد كثافة التغطية الإعلامية للعمليات الإرهابية بنسبة طردية مع زيادة شراسة هذه العمليات وفظاعتها وحجم الأضرار البشرية التي تلحقها بالناس والممتلكات؟ وقد أدى هذا إلى تزايد شراسة الإرهابيين الباحثين عن الشهرة إلى درجة أصبح فيه الوضع على النحو التالي: من يسفك دماً أكثر سوف يحظى بتغطية إعلامية أكثر، وسوف يظفر بأضخم العناوين(Nacoc,2003). وتفسير ذلك أن الإرهابيين يزيدون من شراسة عملياتهم من أجل أن يضمنوا التغطية الإعلامية التي يريدونها. وهكذا تكافئ بعض وسائل الإعلام، وخاصة بعض المحطات التلفزيونية، الإرهاب الأكثر

شراسة، بالمبالغة في تغطيته على حساب الإرهاب الأقل مشهدية. الأمر الـــذي يؤدي إلى رفع عتبة الشراسة في الأعمال الإرهابية. يزيد الإرهابيون من شراسة عملياتهم من أجل أن يضمنوا التغطية الإعلامية التي يريدونها.

١٧- التركيز على الجوانب المثيرة للعمليات الإرهابيـــة واســـتغلالها لتحقيق المزيد من الانتشار والربح. لا شك أن العملية الإرهابية هي حـــدث مثير بامتياز. ولذلك تندفع وسائل الإعلام التجارية في سوق تنافسي لاستغلاله من أجل تحقيق المزيد من الانتشار وبالتالي الربح. ولذلك تُرَكِّز هذه الوســـائل اهتمامها على الجوانب البالغة الإثارة في الحدث الإرهابي، وتقدمها، وخاصة في التلفزيون، بأكثر الطرق الإخراجية جاذبية وحيوية. وإذا ما رافق ذلك إحساس ضعيف بالمسؤولية ونقص في الاحترافية والمهنية، فإن هذا من شـــأنه أن يُقَـــدِّمَ خدمات ثمينة للإرهابيين. " ولعل أخطر ما يقوم به الإعلام في المجتمعات الغربية خاصة هو ما يُضْفيه رجال الإعلام أنفسهم على الوقائع الإرهابية مـــن إثـــارة وإخراج للخبر في صورة مسرحية تضخم من تأثيره تحت ذريعة أن " الأخبـــار هي الأخبار The News Is The News ".(عز الدين،١٩٨٧،ص:٢٥). وأن أخطر أثر لوسائل الإعلام الجماهيري في المجتمعات الغربية هو الإثارة والإغـــراء والفتنة التي تضاف إلى الأحداث الإرهابية من خلال الإخراج المسرحي الـــذي تفعله هذه الوسائل عند تقديمها لهذه الأحداث.(Tunman,2002)

١٨- التحيُّز في التغطية التي تقدمها وسائل الإعلام للإرهاب وللعمليات الإرهابية:ما زال " الإرهاب " مفهوماً إشكالياً يتعذر الوصول إلى تعريف محدد له. إن المصالح والسياسات والعقائد هي التي تحدد مفهوم الإرهاب، وهي الـــتي

تحدد مسار التغطية الإعلامية للإرهاب ومضمونها. وفي ضوء ذلك يظهر التحيُّز في التغطية في الأشكال التالية:

- الخلط بين الإرهاب والمقاومة.(الحالة النموذجية هي فلسطين)
- الخلط بين إرهاب الدولة والإجراءات الأمنية.(الحالة النموذجية هـي إسرائيل).
- تجاهل الكثير من العمليات الإرهابية الإشكالية.
- التركيز في التغطية على بلد معين، وضعف التركيز على تغطية الإرهاب في بلد آخر. (تركز وسائل الإعلام الأمريكية على سبيل المثال على ما تسميه " الإرهاب في الشرق الأوسط "، في حين أنها لا تهتم بما تسميه " الإرهاب " في كشمير وسيريلانكا. وهي بالكاد تـذكر العمليـات " الانتحارية " التي يقوم بها نمور التاميل. كما أنها لا تركز على ما تسميه " الإرهاب " في أمريكا اللاتينية.
- التركيز على العمليات الإرهابية التي تهم البلد المعني. قدَّمت وسـائل الإعلام الأوروبية، وخاصة الألمانية، تغطية مكثفة لعملية الاختطاف التي قامت بها جماعة أبو سياف. وذلك لأن معظم المختطفين كـانوا مـن الجنسية الألمانية. والأمر ذاته حدث بالنسبة للعمليات الإرهابيـة الـتي جرت في مصر ضد السياح الأوروبيين. والتحيز أيضاً في نـشر ردود الفعل على العمليات الإرهابية.مشاهد بعض الشباب الفلسطينيين الذين قيل إنهم احتفلوا بما حدث في نيويورك يوم ٩/١١، بـالغَ التلفزيـون الأمريكي في تقديمها وإعادتها. في حين أن الاحتجاجات المعادية لأمريكا في أوروبا لم تحظَ بمثل هذا الاهتمام. فعلى سبيل المثال، عندما سـخر

مشجعو فريق رياضي يوناني لكرة القدم ضمن مباريات كأس أوروبا التي جرت في أثينا- أثناء الوقوف دقيقة صمت على ضحايا ٩/١١ وحاولوا حرق العلم الأمريكي، لم تبث أي محطة أمريكية هذا الحدث، وعدد قليل من الصحف الأمريكية نشرت بضعة أسطر عنه. حتى أن صحيفة جدية مثل نيويورك تايمز ذكرت خبر "احتفالات" الفلسطينيين في تسع مقالات، في حين أن حدث اليونان غطته الأسوشيتدبرس بتسعة أسطر فقط.(Nacos,2002)

١٩- استخدام لغة الإرهابيين: تندفع وسائل الإعلام الغربية لاعتبارات مختلفة ومتعددة لاستخدام مصطلحات ومفاهيم ومفردات الإرهابيين. ونظراً لأن اللغة ليست محايدة، فإن هذا من شأنه أن يسهم في دعم الإرهابيين من خلال تعريفهم وتقديمهم وفق القاموس الإرهابي.

٢٠-السماح للإرهابيين أحياناً ليس باستغلال المؤسسة الإعلامية فقط بل وباختطافها أيضاً: تتمادى بعض المؤسسات الإعلامية في الاستجابة لمطالب الإرهابيين وتطبيق شروطهم إلى درجة أن يحقق الإرهابيون السيطرة على المؤسسة الإعلامية طوال العملية الإرهابية.

٢١-المبالغة في تقديم خطر الإرهاب." القول إن الإرهاب هو أعظم خطر يهدد الولايات المتحدة لا يستند على حقائق. لقد تمت المبالغة بخطر الإرهاب من جانب وسائل الإعلام، الباحثة عن الدراما، والكتّاب الذين يعتمدون على البيانات غير الدقيقة، والسياسيين الذين يستخدمون الخوف

من الإرهاب لجمع الأموال للصرف على مشاريع مجابهة الإرهاب (Nacos,2002,p:131)".

خصائص التغطية الإعلامية للإرهاب وللعمليات الإرهابية في الإعلام الموجَّه والرسمي:

أبرزت الممارسة الإعلامية العديد من النقاط الإيجابية والسلبية في التغطية الإعلامية التي يقدمها الإعلام الرسمي والموجه للإرهاب وللعمليات الإرهابية. ويمكن تحديد أبرز هذه النقاط على النحو التالي:

الإيجابيات

١- يتمتع الإعلام الموجَّه، لاعتبارات ذاتية وموضوعية، بقدر كبير من الشعور بالمسؤولية، يمكنه من الانطلاق من المصلحة العامة للمجتمع والنظام وتغليبها على أي اعتبارات مهنية أو تجارية.

٢- إن حقيقة أن الإعلام الموجَّه يعبِّر، بهذا القدر أو ذاك، عن الموقف الرسمي زادت من قوته ومن مقدرته على التأثير.

٣- الإعلام الموجَّه ليس مراقباً محايداً، بل هو طرف معني في الصراع المحتدم مع الإرهاب والإرهابيين. وهذا ما حوَّله إلى مشارك في الأحداث، وإلى مصدر للمعلومات، وربما أحياناً، إلى مساهم في صنع الأحداث واتخاذ القرارات والإجراءات.

٤- يمتلك الإعلام الموجَّه منظومة قيم إعلامية مختلفة عن تلك التي يمتلكها الإعلام الخاص والتجاري منه على وجه الخصوص. وقد مكَّنته منظومة القيم

هذه من إعطاء مضامين مناسبة لكثير من المفاهيم الإعلامية السائدة. فالمنافسة هنا، على سبيل المثال، ليست بهدف زيادة الانتشار والتوزيع، بقدر ما هي الإسهام الفاعل في مواجهة الإرهاب. والسبق الصحفي هنا ليس قيمة مطلوبة بحد ذاتها، وإنما يجب فهمها من منظور تأثيرها سلباً أم إيجاباً على الجهود المحشودة والمكثفة لمحاربة الإرهاب. والتغطية المتوازنة لا تعني السماح للإرهابيين باستخدام الإعلام لنقل رسائلهم إلى الجماهير، بقدر ما تعني تقديم تغطية تضع الظاهرة الإرهابية في سياقها، وتحترم القوة الذاتية للحدث الإرهابي، وتنطلق من الإستراتيجية الإعلامية للإرهابيين، وتهدف منعهم من تحقيق أهدافهم.

٥- يعترف الإعلام الموجَّه بالطبيعة المثيرة والجذابة للحدث الإرهابي، ولكنه يسعى للانطلاق من هذه الطبيعة وتوظيفها من أجل نشر ثقافة معادية للإرهاب في أوساط أوسع الجماهير. ولذلك، فإن الإعلام الموجَّه محصَّن ضد انزلاقات الإعلام التجاري واندفاعه نحو التركيز على الجوانب المثيرة من العمليات الإرهابية بهدف تحقيق مزيد من الانتشار والتوزيع والربح.

٦- إن اعتماد الإعلام الموجَّه على المصادر الرسمية العليا، وتنسيقه الكامل مع الجهات الرسمية المختصة الأمنية والسياسية، يُعطي للتغطية التي يقدمها قدراً كبيراً من المصداقية والفاعلية، وبالتالي المقدرة على الوصول والتأثير.

٧- يؤكد علم نفس الأزمات أن الجمهور يلجا أثناء الأزمات والكوارث إلى المصادر الإعلامية الرسمية الوطنية ليعرف منها حقيقة ما يحدث. وأن هذا الجمهور يصاب بالخيبة والإحباط إذا ما اكتشف لاحقاً أنه تمت عملية خداعه.

السلبيات

١- إن التزام الإعلام الموجَّه بالموقف الرسمي يفقده استقلاليته ويحد من مقدرته على المناورة.

٢-إن أي خطأ أو خلل أو تردد أو عدم تحديد موقف أو عدم تحديد إستراتيجية مجابهة للإرهاب وللعمليات الإرهابية من جانب الجهات الرسمية السياسية والأمنية، سوف ينعكس سلبياً على أداء الإعلام الموجَّه.

٣-إن عدم فهم القيادات السياسية والأمنية لأهمية الدور الذي يؤديه الإعلام في المجابهة العامة للإرهاب والإرهابيين، أو عدم تقدير هذا الدور، من شأنه أن يهمِّش الإعلام ويمنعه من أن يقوم بدور فاعل في عملية المواجهة.

٤-إن عدم فهم القيادات السياسية والأمنية لطبيعة العمل الإعلامي يؤدي إلى منع الإعلام من أن يسهم في مواجهة الإرهاب وفق خصوصيته الذاتية، وبما يتناسب مع نظرياته وقوانينه، وبالتالي، سوف يؤدي إلى تقديم تغطية لا علاقة لها بعلم الإعلام وأصوله.

٥- إن اعتقاد الكثير من القيادات السياسية والأمنية أن وسائل الإعلام الجماهيري هي مجرد أجهزة تابعة للسلطة تبعية إدارية ومالية وسياسية أدى إلى تحويل هذه الوسائل إلى ما يشبه أجهزة علاقات عامة منهمكة في إيجاد صورة إيجابية عن النظام والأجهزة الرسمية ونشر هذه الصورة وترسيخها. الأمر الذي أدى إلى تقديم تغطية إعلامية للإرهاب وللعمليات الإرهابية تتسم بالخطابية والشعاراتية والوعظية، وتبتعد عن التناول الواقعي والمتوازن، وعن المعالجة المنطقية والمتماسكة والمقنعة.

٦-إن المبالغة، غير المبررة في كثير من الأحيان، في الحرص على الطابع السري للعمليات الإجراءات تؤدي إلى فرض نوع من التكتم الشديد على تغطية العمليات الإرهابية. الأمر الذي يؤدي إلى تغطية سطحية وجزئية، وبالتالي غير متماسكة وغير مُقْنِعة.

٧-يؤدي جهل الكثير من القياديين السياسيين والأمنيين في كثير من الأحيان بالإستراتيجية الإعلامية للإرهابيين إلى الارتباك والتعثر في المواجهة الإعلامية. ونظراً لأن هؤلاء القياديين هم أنفسهم الذين يصدرون التوجيهات للوسائل الإعلامية، فإن هذا الارتباك والتعثر ينعكسان على التغطية التي تقدمها هذه الوسائل للعمليات الإرهابية. الأمر الذي قد يؤدي إلى خدمة الإرهابيين وتحقيق أهدافهم الإعلامية.

٨-إن اعتماد وسائل الإعلام، في الأعم والأغلب، في بلدان الإعلام الموجَّه على المصادر الرسمية السياسية والأمنية كمصدر وحيد للمعلومات والحقائق والبيانات المتعلقة بالإرهاب وبالعمليات الإرهابية، من شأنه، في ضوء ما سبق، أن يؤدي إلى تقديم تغطية غير متوازنة، وغالباً ذات بُعْدٍ واحد. وهذا قد لا يتلاءم مع أساليب المعالجة الإعلامية التي يجب أن تنطلق من النظريات المتعلقة بإستراتيجيات الإقناع وآليات التأثير.

٩-يؤدي تأخر القيادات السياسية والأمنية في تحديد الموقف من العملية الإرهابية، وبالتالي تحديد أسلوب معالجتها إعلامياً، وإبلاغ الأجهزة الأمنية بهذا الموقف وذلك الأسلوب، إلى حدوث فجوة أو انقطاع يتناقض مع طبيعة الحدث الأمني وإيقاعه السريع وطابعه المثير ومقدرته على جذب اهتمام الجماهير الواسعة. يحدث فراغ يفتح الباب واسعاً أمام الإشاعات والأقاويل أو الاندفاع إلى أية وسيلة إعلامية خارجية لمعرفة ما حدث.

١٠-يؤدي حرص القيادات السياسية وإصرارها على إظهار قواها وإمكانياتها واستعداداتها إلى التهوين من شأن الظاهرة الإرهابية ومن العمليات الإرهابية، وإظهارها بمظهر القوى الهزيلة والفئات الضالة التي لا تشكّل أي خطر، والتي سيتم بسرعة استئصالها، وتخليص المجتمع من مخاطرها. ومن الواضح أن هذا الموقف يَنُمُ عن قصور في فهم الظاهرة الإرهابية وكثرة تعقيداتها وتشابكها، وأنها ليست أساساً حركة مسلحة تريد إلحاق هزيمة عسكرية بالسلطة وبالأجهزة الأمنية، وأنها تطرح نفسها كصاحبة قضية، وهذه القضية وطنية أو دينية، وأنها ظاهرة غالباً ما تُنتَج، ويُعاد إنتاجها في سياقات اقتصادية واجتماعية وثقافية ودينية معينة. إن هذا من شأنه أن يُفقِر التغطية الإعلامية التي يقدمها الإعلام الموجَّه للعمليات الإرهابية، وأن يَهُزَ ثقة الجماهير الواسعة بهذه التغطية، وخاصة عندما تتكرر هذه العمليات وتتطور كماً ونوعاً برغم استهانة الإعلام الرسمي بها.

١١-يؤدي حرص القيادات السياسية والأمنية المسئولة عن مواجهة الإرهاب وعن تغطية العمليات الإرهابية إلى التركيز على الطابع المحدَّد والضيق والمؤقت للظاهرة الإرهابية وللعمليات الإرهابية، وإلى التوجيه بتقديم تغطية إعلامية تتسم بغلبة الطابع الإخباري. بمعنى الاهتمام بما هو آني وراهن. أي تقديم المعلومات والحقائق التي تراها القيادات مناسبة لتغطية العمليات الإرهابية. وينجم عن ذلك تقديمُ تغطيةٍ لأحداثٍ معزولةٍ عن سياقها، ومعزولة عن مسبباتها. كما يؤدي إلى تقديم تغطية يقتصر الاشتراك فيها على الصحفيين العاديين العاملين في الوسائل الإعلامية، ويستبعد إسهام الخبراء والمختصين في المجالات الاجتماعية والاقتصادية والأمنية والدينية، ذلك الإسهام الضروري من أجل تقديم تغطية شاملة وعميقة ومتماسكة ومقنعة، وقادرة على الإسهام في تكوين الأنساق المعرفية والفكرية والقيمية والسلوكية لمواطن يمتلك معرفة وقناعة تحصنانه ضد الإرهاب، وتدفعانه للإسهام في مواجهة الإرهاب والإرهابيين.

تغطية العمليات الإرهابية في مراحلها المختلفة

يمكن لوسائل الإعلام الجماهيري أن تقوم بدور فاعل في الجهود الوطنية الشاملة والمتكاملة لمواجهة الإرهاب والعمليات الإرهابية. ويعود ذلك للأسباب التالية:

- انتشار وسائل الإعلام الجماهيري وخروجها من الحدود المحلية والإقليمية لتصل إلى الكون بمجمله.
- تنوع وسائل الإعلام الجماهيري، وتنوع رسائلها ومضامينها، بحيث أصبحت تغطي جميع الشرائح الاجتماعية والفئات العمرية والاختصاصات والهوايات...الخ.
- مرونة وسائل الإعلام الجماهيري، وبراعتها في توجيه الرسائل المناسبة ذات المضامين المناسبة للجماهير المستهدفة المناسبة، وفي الوقت المناسب.
- مقدرة وسائل الإعلام الجماهيري على استخدام مداخل إقناعية وآليات تأثير مناسبة للرسائل والمضامين المرسلة إلى الجماهير المستهدفة.
- غزارة واستمرارية التدفق الذي تقدمه وسائل الإعلام الجماهيري على مدار الساعة.

- الأساليب الحيوية والجذابة والمثيرة التي تستخدمها وسائل الإعلام الجماهيري لإيصال رسائلها وتحقيق أهدافها.

في ضوء ما تقدَّم، يمكن أن تؤدي وسائل الإعلام الجماهيري دوراً إيجابياً فاعلاً ومفيداً وضرورياً في الجهود الوطنية الشاملة والمتكاملة لمواجهة الإرهاب والإرهابيين.

الدور الوقائي

تقع المسئولية المركزية في عملية مواجهة الإرهاب والإرهابيين في المرحلة الوقائية من الإرهاب على الجهات والأجهزة والمؤسسات التعليمية والتربوية والثقافية والإعلامية والدينية. ونرى أن وسائل الإعلام الجماهيري يمكن أن تقوم في هذه المرحلة بالمهام التالية:

١- الإسهام في إيجاد مواطن واعٍ بظاهرة الإرهاب ومحَّصنٍ ضدها ومستعد للإسهام الفاعل في مواجهتها. ونرى أن هذه المهمة يمكن أن تحققها وسائل الإعلام الجماهيري على النحو التالي:

- الإسهام في تكوين النسق المعرفي للمواطن إزاء الإرهاب والإرهابيين، وذلك من خلال تقديم الحقائق والمعلومات والوقائع والبيانات الشفافة والدقيقة والصحيحة المتعلقة بالجوانب المختلفة من الظاهرة الإرهابية. كيف نشأت هذه الظاهرة؟ وما أسبابها، ومقولاتها، ومزاعمها؟ ومن هم أنصارها، وما مصادر قوتها؟ وما أنجع السبل لمقاومتها؟

- الإسهام في تكوين النسق الفكري للمواطن إزاء الإرهاب والإرهابيين، وذلك من خلال تقديم التحليل العميق، والتفسير المنطقي، والإيضاح المقنع والمتماسك للحقائق والمعلومات المتعلقة بالظاهرة. ويجب أن يتم ذلك بعيداً عن اللهجة الخطابية والإنشائية والانفعالية، بل يجب أن يتحقق باستخدام أساليب منطقية وعلمية ومنهجية متماسكة.

- الإسهام في تكوين النسق القيمي للمواطن إزاء الإرهاب والإرهابيين، يستطيع الإعلام الجماهيري استخلاص منظومة قيم سياسية واقتصادية ودينية وثقافية، ونشرها وترسيخها، بحيث تكون قادرة على مواجهة مقولات الإرهابيين وأطروحاتهم، حتى في بعض الأوساط التي يمكن لسبب أو ظرف ما أن تتفهم موقف الإرهابيين وتتعاطف معهم.

- الإسهام في تكوين النسق السلوكي للمواطن إزاء الإرهاب والإرهابيين، وبناء هذا النسق على أساس الأنساق المعرفية والفكرية والقيمية وبالتوازي معها. تستطيع وسائل الإعلام الجماهيري أن تسهم في تكوين منظومة سلوكية تمكّن المواطن من ترجمة معرفته بحقيقة الإرهاب والإرهابيين، وفهمه العميق للظاهرة الإرهابية، والقيم التي يحملها عن مخاطر الإرهاب، إلى منظومة سلوكية واقعية تتدرج في فاعليتها من الحد من تأثير الإرهابيين وعملياتهم على الشرائح الاجتماعية المختلفة، إلى التعاطف مع الجهود الوطنية

الشاملة والمتكاملة لمجابهة الإرهاب والإرهابيين، لتصل إلى الإسـهام الإيجابي والفاعل في التصدي لظاهرة الإرهاب وللعمليات الإرهابية.

٢- الإسهام في نشر ثقافة معادية للإرهاب والإرهابيين:

يحرص الإرهابيون دائماً على أن يقدموا أنفسهم، كما أشـرنا سـابقاً، كأصحاب قضية، وأن هذه القضية هي في الغالب قضية عامة. كما يحرصـون على تأكيد أنهم يسعون إلى خدمة الأمة والمجتمع والدين، وأنه ليست لهـم أي أهداف خاصة. ويزعمون، بالتالي، أن لديهم رسالة ثقافية تمنعهم مؤسـسات النظام الحاكم من إيصالها إلى المواطنين. ولذلك فهم يلجؤون إلى شتى العمليات الإرهابية كوسيلة توصلهم إلى وسائل الإعلام حتى يستطيعوا إيـصال رسـائل معينة للشعب من خلال وسائل الإعلام.

وبغض النظر عن المواقف المختلفة بخصوص التعامل مـع " فكـر " الإرهابيين و " ثقافتهم " و " مقولاتهم "، فإن وسائل الإعلام الجمـاهيري تستطيع أن تؤدي دوراً فاعلاً في التصدي لثقافة وفكر ومقـولات الإرهـابيين ودحضها وتفنيدها، بأساليب وطرق مختلفة تتناسب مع المـستويات المختلفـة للشرائح الاجتماعية المختلفة. كما نعتقد أن هذه الوسائل هي المنبر الأهم لنشر وترسيخ ثقافة مضادة للإرهاب والإرهابيين، تُسهم في تخفيف منابع الإرهـاب وفي عزل الفكر الإرهابي وإظهار خطأه وهشاشته وعدم تماسكه.

٣- تستطيع وسائل الإعلام الجماهيري أن تكون الساحة التي تلتقـي فيها جميع القوى والاتجاهات والتيارات المعادية للإرهاب والمعنية بالإسهام في التصدي للظاهرة الإرهابية. من المؤكد أن الظاهرة الإرهابية لم تنشأ من فراغ،

ولا تتوجه إلى المجرد والمطلق. بل هي، بالتأكيد، ظاهرة ملموسة ومحكومة بشروط تاريخية واجتماعية معينة، ووليدة ظروف وأسباب سياسية واجتماعية واقتصادية وثقافية ودينية معينة، ومتأثرة بسياقات إقليمية ودولية معينة. ولهذا يجب مواجهة هذه الظاهرة بشموليتها وتعقيدها، وبجوانبها ومسبباتها المختلفة، وعدم الاقتصار على ممارسة مواجهة جزئية. هنا تستطيع وسائل الإعلام الجماهيري أن تكون الساحة التي تلتقي فيها التيارات السياسية والاجتماعية والثقافية والدينية القادرة على مواجهة الجوانب المختلفة للظاهرة الإرهابية، وعلى تفنيد مقولات الإرهابيين ودحض أفكارهم في مختلف هذه المجالات.إن الإرهاب المعاصر ظاهرة، والظاهرة الإرهابية، ككل ظاهرة تتألف من عناصر متعددة. ولذلك لا بد من تحليل هذه الظاهرة إلى عناصرها المختلفة، بقصد تشخيص وفهم كل عنصر من عناصرها، ومعرفة علاقات التأثر والتأثير القائمة بين هذه العناصر، وكذلك معرفة علاقات القوة الموجودة بين هذه العناصر. ثم لا بد من إعادة تركيب هذه العناصر لنتعامل مع الظاهرة بكليتها. ومن هنا فإن وسائل الإعلام الجماهيري، في ضوء خصائصها التي أشرنا إليها سابقاً، تستطيع أن تقدم معالجة شاملة ومتكاملة تتناول الجوانب المختلفة للظاهرة الإرهابية، وأن تكون المنبر الذي يتيح للسياسيين والتربويين والاقتصاديين ورجال الدين، وغيرهم من المعنيين بالجوانب المختلفة من الظاهرة الإرهابية، أن يتواصلوا مع الشرائح المختلفة من الجمهور ومخاطبتها وإيصال رسائل مناسبة لها قادرة على محاصرة الظاهرة الإرهابية بجوانبها المختلفة، وعلى دحض مزاعم الإرهابيين وأفكارهم ومقولاتهم.

٤- نشر وتبسيط القوانين والإجراءات والتشريعات الأمنية التي تضطر السلطات لاتخاذها في سياق مواجهتها للإرهاب والعمليات الإرهابية. إذ من المؤكد أن السلطات المختلفة تتخذ العديد من الإجراءات وتصدر الكثير من التشريعات والأحكام الضرورية لمواجهة مخاطر الظاهرة الإرهابية. وتستطيع وسائل الإعلام الجماهيري الواسعة الانتشار أن توصل هذه التشريعات والإجراءات والقرارات إلى كل مواطن، وأن تجري المقابلات مع الشخصيات السياسية والأمنية والقانونية القادرة على شرح هذه الإجراءات وتوضيح هذه التدابير وإيضاح دوافعها وأسبابها، وذلك حتى يطلّع الرأي العام عليها، ويفهم مسبباتها، ويقتنع بدوافعها .

٥- يسعى الإرهابيون إلى استغلال الإجراءات والتشريعات والتدابير التي تتخذها السلطات الرسمية لمواجهة الإرهاب وتوظيفها لصالحهم، وذلك من خلال التركيز على الجانب الضبطي- الأمني لبعض هذه التدابير، والتي قد تَحُدُّ مؤقتاً من بعض الحريات الفردية، أو قد تؤدي إلى بعض التعقيدات سواء في المعاملات أو التنقلات أو السلوك. يستغل الإرهابيون هذه الإجراءات ليزعموا أن الدولة أصبحت دولة قمعية أمنية تضطهد المواطنين وتقيِّد حرياتهم. ولكن حقيقة الأمور مختلفة تماماً. ولهذا تستطيع وسائل الإعلام الجماهيري أن توضح للرأي العام أن هذه الإجراءات والتدابير مؤقتة، وأن السبب الوحيد لاتخاذها هو مواجهة الإرهابيين، وأنها موجهة أساساً ضد الإرهابيين والنشاط الإرهابي، وأنها حتماً ستزول بزوال خطر الإرهابيين.

٦- تستطيع وسائل الإعلام الجماهيري تقديم رسائل ذات مضامين إعلامية متنوعة قادرة تراكمياً، إذا ما تمتعت بالشفافية والعمق والموضوعية، أن توجد رأياً عاماً يقظاً معادياً للإرهاب والإرهابيين، كما تستطيع تعزيز ثقة الشعب بنظامه وقيادته وأجهزته الأمنية، وبالتالي، تعميق انتمائه الوطني. وهذا من شأنه أن يوجد مناخاً مناسباً لعزل الإرهابيين ومواجهتهم.

٧- تستطيع وسائل الإعلام الجماهيري، وخاصة منظومة الإعلام الأمني، أن تُسهم بشكل فاعل في **إيجاد رجل أمني يعي حقيقة الخطر الإرهابي**، ويؤمن بالدور الحيوي الذي تؤديه الأجهزة الأمنية في الحرب ضد الإرهاب، ويزداد،بالتالي، ثقة بقدرته وقدرة جهازه الأمني ونظامه السياسي، ويمتلك روحاً معنوية عالية تنعكس إيجابياً في إسهامه في التصدي للإرهاب. كما تستطيع هذه الوسائل من جهة أخرى إبراز الجهود التي تبذلها الأجهزة الأمنية في تصديها للإرهابيين، والإنجازات التي تحققها، والتضحيات التي تبذلها، مما يؤكد أن هذه الأجهزة تقوم بواجبها على أحسن وجه، وأنها أهل للثقة والاحترام والتقدير. الأمر الذي يؤدي إلى التفاف الجماهير حولها. وهذا من شأنه أن يزيد من عزلة الإرهابيين.

ولهذا نرى أهمية أن يقوم الإعلام العام عموماً والإعلام الأمني على وجه الخصوص بتوجيه خطاب إعلامي إلى الأجهزة الأمنية المعنية بمواجهة الإرهاب يضمن تعريف هذه الأجهزة بحقيقة الإرهاب، وفهمها للجوانب المختلفة للظاهرة الإرهابية، ويؤكد ضرورة مواجهتها وهزيمتها من أجل القضاء على

خطرها الذي يهدد أمن الوطن والمجتمع. ونرى أن يسعى هذا الخطاب الإعلامي إلى تحقيق المهام التالية:

- تحصين أفراد أجهزة الأمن ضد دعاوى الإرهاب وذلك من خلال الشرح الدائم للأفكار التي تستند إليها المنظمات الإرهابية، وتفنيد هذه الأفكار تفنيداً منطقياً قائماً على أسس علمية وثائقية وليس بمجرد الرفض بعبارات إنشائية.

- بث الثقة في أفراد الأجهزة الأمنية ورفع روحها المعنوية، ومواجهة ما قد يتفشى بينها من خوف أو رعب من العمليات الإرهابية السابقة، خاصة إذا كان قد نتج عنها قتل بعض زملائهم، لأن هدف الإرهابيين من اغتيال أو قتل بعض أفراد الأمن هونشر الرعب بين جميع رجال الأمن، بحيث يتصور كل منهم أنه سيكون الضحية التالية للإرهاب. يجب التركيز على النوازع الوطنية وتكريس قيم الواجب والانتماء للوطن ونبالة رسالة الأجهزة الأمنية المختلفة في حماية الدولة والمجتمع.

- إعلام أفراد الأجهزة الأمنية بصفة دائمة وفورية بالحقائق عن الموقف الأمني، بحيث لا تخفى عليهم تفاصيل العمليات الإرهابية التي وقعت لأنهم لا بد سيسمعون بها بصورة مشوَّهة، وهناك قاعدة مفادها أن الإدارة عندما لا تُعْلِم أفرادها بالحقائق والبيانات، تخلق لديهم الشعور بعدم الأهمية الذاتية، ومن ثم يؤدي هذا إلى انخفاض روحهم المعنوية (عز الدين،١٩٨٧).

٨- **تستطيع وسائل الإعلام الجماهيري توجيه رسائل إعلامية خاصة إلى الإرهابيين،** تركّز فيها على فظاعة الجرائم التي يقترفونها، وحجم الكوارث والمآسي التي يسببونها، والأذى الذي يلحقونه، بالتالي، بالأبرياء، وردود الفعل الشعبية السلبية إزاء عملياتهم، ونشر مناشدات أُسَر الإرهابيين لأبنائهم بالتوبة والعودة إلى أسرهم، وإبراز دور الأجهزة المعنية في تتبع مسار الإرهابيين في الداخل والخارج، وإبراز الأحكام القضائية التي نالها الإرهابيون على جرائمهم، ونشر لقاءات مع الإرهابيين الذين تم القبض عليهم. وعلى الصعيد الفكري، يمكن توجيه رسائل توضح الحقائق الأساسية المتعلقة بالإرهاب، والتي قد تكون خافية على الكثير من العناصر المخدوعة سواء المجندة أو المتعاطفة، وتظهِر مدى هشاشة وبطلان مقولات الإرهابيين وأطروحاتهم. كما توضح عقم عملياتهم ولا جدواها، وتدعوهم إلى إعادة النظر في أفكارهم ومواقفهم. وتلجأ وسائل الإعلام لتحقيق ذلك إلى التعاون مع الشخصيات السياسية والثقافية والدينية المعروفة بمصداقيتها، والتي تتمتع بقدر كبير من الاحترام والتأثير في الجماهير. كما يمكن أن تجري وسائل الإعلام مقابلات مع أهالي وأقرباء الإرهابيين ومع الإرهابيين الذين تم القبض عليهم، أو الذين تراجعوا عن مواقفهم وعادوا إلى جادة الصواب، وكذلك مع الأُسَر التي أُلْحقَت بها العمليات الإرهابية خسائر بشرية ومادية ضخمة.

٩- **توفر وسائل الإعلام الجماهيري الفرصة للمواطنين أن يعبروا عن آرائهم** ومواقفهم ومقترحاتهم إزاء الإرهاب والظاهرة الإرهابية وإزاء الجهود والإجراءات التي تتخذها جميع الأجهزة والمؤسسات لمواجهة الإرهابيين. وبذلك

تتحول هذه الوسائل إلى صلة وصل بين السلطات الرسمية وبين المواطنين. وهذا من شأنه، إذا ما أُحْسِنَ استخدامه، أن يُوَحِّد الآراء والجهود والمواقف، وأن يعزِّز جسور الثقة، وبالتالي، أن يُسهم إيجابياً في المجابهة الشاملة والمتكاملة للإرهاب.

١٠- يستطيع الإعلام الوطني المسؤول والصادق والشفاف أن يكسب ثقة المواطنين، وأن يكون المصدر الذي يلجأ إليه المواطنون لمعرفة حقيقة الظاهرة الإرهابية وأسبابها. ومن الواضح أن هذا من شأنه أن يضع حداً للشائعات والأقاويل المغرضة من جهة، كما أن من شأنه أن يحد من تأثير المصادر الإعلامية الخارجية ومن تأثير المصادر الإعلامية التابعة للإرهابيين أنفسهم على المواطنين.

١١- يجب على وسائل الإعلام الجماهيري أن تبتعد عن فخي التهوين والتهويل في تناولها للظاهرة الأمنية وفي تغطيتها للعمليات الإرهابية. ويجب أن تقدِّم الحقيقة الكاملة للمواطنين. إن التهوين المبالغ فيه من شأن الظاهرة الإرهابية، يجانب الحقيقة، ويضلل الجماهير، ويزعزع ثقة المواطنين بإعلامها ونظامها وأجهزتها الإعلامية، وخاصة عند تكرار العمليات الإرهابية وانتشارها. كما أن التهويل المبالغ فيه من شأن الظاهرة الإرهابية، لاعتبارات سياسية أو أمنية معينة، أيضاً يجانب الحقيقة، وينشر الذعر والخوف، ليس في أوساط المواطنين فقط، بل في أوساط الأجهزة الرسمية المعنية مباشرة بالتصدي للظاهرة، وخاصة الأجهزة الأمنية. ونرى أن هذا كله من شأنه أن يخدم الإستراتيجية الإعلامية للإرهابيين، ويصب في مصلحتهم.

١٢- تستطيع وسائل الإعلام الجماهيري أن تقدِّم معالجة تكاملية للظاهرة الإرهابية، يسهم فيها جميع المعنيين بالجوانب المختلفة لهذه الظاهرة. ويقوم الإعلام بذلك بدور فاعل في التنسيق بين مختلف الجهود والمواءمة فيما بينها، من أجل تقديم تشخيص متكامل للظاهرة، وفهم متكامل لها، وإستراتيجية متكاملة لمواجهتها.

١٣- تستطيع وسائل الإعلام الجماهيري أن تكون الساحة التي تلتقي فيها جميع الآراء ووجهات النظر المعنية بمواجهة الإرهاب. وتستطيع من خلال تكريسها ثقافة الحوار أن تحوِّل الظاهرة الإرهابية إلى قضية وطنية يشترك فيها جميع المواطنين. الأمر الذي يُخْرِج هذه الظاهرة من حدودها الأمنية الضيقة، وينعكس إيجابياً على أساليب وطرق مواجهتها.

في ضوء ما تقدَّم كله يمكن فهم **توصيات مكتب الإعلام الأمني العربي** المتعلقة بإعداد برامج مبتكرة لمحاربة الإرهاب بالتعاون مع الجهات الثقافية والتربوية والدينية والأمنية، تُبْرِز:

- أشكال السلوك العنيف والسلوك الإرهابي الناتج عن التطرف الفكري والتعصب.
- إبراز دوافع السلوك الإرهابي وأسبابه.
- توجيه المواطنين لطرق التعامل مع ذوي الفكر المتطرف أو المتعصب.
- التعريف بالمعتقدات الخاطئة التي تؤدي إلى التطرف والعنف.
- إرشاد المواطنين عن طريق الاتصال الأمني عند مواجهة مشكلة ناتجة عن سلوك متطرف أو سلوك إرهابي عند بعض المنحرفين.

- الأساليب السوية لمعاملة الأبناء التي ستساعد على منع السلوك العدواني أو التخفيف منه.

- تكثيف برامج التوعية الدينية والأخلاقية التي تحث على التسامح بين الأديان وزيادة الوعي بخطورة التطرف الديني على الأمن الاجتماعي للمواطنين.(تقرير برامج التوعية الأمنية،٢٠٠٣).

إستراتيجية التغطية عند حدوث العمليات الإرهابية

المسألة الأساسية في المرحلة السابقة(مرحلة الوقاية) هي نشر ثقافة أمنية تدحض الفكر الإرهابي وتعزل الإرهابيين وتحصِّن المواطنين ضد تأثيرهم، وتُعَبِئهم في مجمل الجهود التكاملية لمواجهة الإرهاب. ولذلك تقوم الأجهزة والمؤسسات الفكرية والثقافية والتربوية والإعلامية في هذه المرحلة بالدور المركزي في عملية المواجهة.

أما في هذه المرحلة، التي تبدأ مع حدوث العلمية الإرهابية، وتنتهي بانتهائها، فتبرز مسألتان مهمتان ومترابطتان ومتلازمتان، ولا يمكن فصل الواحدة منهما عن الأخرى:

المسألة الأولى: هي المجابهة الأمنية، وتتمثل في المواجهة الميدانية للإرهابيين، والاشتباك معهم، والعمل على منعهم من تنفيذ عمليتهم، أو التخفيف من آثارها، والقبض عليهم. تقع هذه العملية أساساً على كاهل الأجهزة الأمنية المعنية. ولكنها يمكن أن تُنجز على نحو أفضل إذا ما حَظيت بتفهمٍ وتعاطفٍ وتأييدٍ شعبي، وإذا ما تحقق قدر من التعاون والتنسيق بين الأجهزة الأمنية والأجهزة الإعلامية.

المسألة الثانية: هي المجابهة الإعلامية، وتتمثل في إفشال الإستراتيجية الإعلامية للإرهابيين، ومنعهم من توظيف عمليتهم لتحقيق أهدافهم الإعلامية والدعائية. وهي تقع أساساً على كاهل الأجهزة الإعلامية، ولكنها لا يمكن أن تُنجز على النحو الأمثل إلا من خلال التفاهم والتعاون والتنسيق بين الأجهزة الأمنية والأجهزة الإعلامية.

تنطلق التغطية الإعلامية الناجحة للعمليات الإرهابية من المنطلقات التالية:

١-التوجيه السياسي- الأمني الذي حددته القيادات السياسية والأمنية. إن القيادة السياسية-الأمنية هي الجهة الوحيدة المُخَوَّلة في بلدان العالم الثالث باتخاذ القرار المتعلق بتحديد التوجيه المناسب الذي يجب إتباعه والاسترشاد به في التناول الإعلامي للعملية الإرهابية. وبقدر ما يكون هذا القرار- التوجيه سليماً ومناسباً ومدروساً وواقعياً، بقدر ما تكون التغطية الإعلامية ناجحة ومفيدة ومُقْنِعة. وتؤكد الممارسة ضرورة أن تستأنس القيادة السياسية-الأمنية برأي القيادة الإعلامية في عملية اتخاذ القرار الذي يُحدد التوجيه المتعلق بالتناول الإعلامي للعملية الإرهابية. ونؤكد هنا على ضرورة أن تعمل القيادة السياسية-الأمنية في ضوء التقارير والبحوث والدراسات المسبقة المتعلقة بالجوانب المختلفة للظاهرة الإرهابية وتطورها، وأن يكون قرارها معتمداً على التحليل السليم للموقف. كما نرى ضرورة أن يتم اتخاذ القرار-التوجيه

بأقصى سرعة ممكنة، حتى لا يحدث أي ارتباك في التغطية الإعلاميـــة، يـــستغله الإرهابيون لصالحهم.

٢-**معطيات العملية الإرهابية موضوع التغطية**: من قام بهـــا؟ لمـــاذا تم تنفيذها في هذا الوقت، وفي هذا المكان؟ ولماذا استهدفت هؤلاء الأشخاص وما أهداف الإرهابيين المتوقعة من هذه العلمية؟ وما السياق الذي نُفِّذَت فيه هـــذه العملية؟ وما دلالة العملية ومغزاها؟ ومـــا الإســـتراتيجية الإعلاميـــة المتوقعـــة للإرهابيين من خلال هذه العلمية؟

يقوم الإرهابيون بسلسلة من العمليات الإرهابية. من الخطأ القاتل اعتبـــار هذه العمليات وتناولها إعلامياً وكأنها نسخاً مكررة. يجب الانطلاق من حقيقة أن كل عملية، ورغم أنها تشكّل حلقة في سلسلة، إلا أنها تُعَدُّ حالـــة خاصـــة. ولذلك، يجب التعرُّف على خصائص هذه العملية الإرهابية ومعطياتهـــا، حـــتى يمكن تناولها إعلامياً، بما يتناسب مع هذه الخصوصية والمعطيات.

٣-**تحديد المغزى الرئيسي للعملية**. يجب أن تقودنا دراسة العمليـــة إلى تحديد مركز الثقل الأساسي فيها، والدلالة الأساسية لها، وذلك من أجل وضع خطة تغطية إعلامية معاكسة للمغزى العام الذي قصده الإرهابيون.

المكان الذي يختاره الإرهابيون للقيام بعملياتهم، يمكن أن يكون الحلقـــة المركزية في العملية. حين نفَّذَ الإرهابيون في الرياض عاصمة المملكـــة العربيـــة السعودية تفجيراً إرهابياً قرب مبنى وزارة الداخلية، لم يكن هدفهم مـــن هـــذه العملية قتل أشخاص أو تدمير منشآت، بل إن المغزى الرئيسي لهـــذه العمليـــة ودلالتها الأساسية هو أهمية المكان الذي حدثت فيه العملية، وهو قربها من مبنى

وزارة الداخلية، وذلك نظراً لإمكانية توظيف العملية للوصول إلى استنتاج سهل وبديهي حتى بالنسبة للمواطن العادي، وهو: إن من يستطيع أن يصل إلى وزارة الداخلية يستطيع أن يصل إلى أي مكان. وهذا يؤكد قوة الإرهابيين ومقدرتهم على تحدي السلطات وإظهار عجزها.

يمكن أن يختار الإرهابيون أحياناً مكاناً محصَّناً وتفرض عليه حراسة مشددة على مدار الساعة، ويكون هدفهم من العملية ليس التدمير المباشر الذي تسببه العملية، بل مغزى العملية ودلالتها، وهو أن الإرهابيين قادرون على الوصول حتى إلى هذه المواقع المحصَّنة والمحروسة جيداً.

توقيت العلمية الإرهابية، أو استمراريتها، قد يكون هو دلالتها الرئيسة. حين تستمر عملية إرهابية لساعات وربما لأيام. ما الذي يريد الإرهابيون قوله من خلال هذه العلمية؟ مقدرتهم على المواجهة العسكرية، وعجز الأجهزة الأمنية عن مواجهتهم.

الأشخاص المستهدفون بالعملية. ثمة عمليات إرهابية تستهدف شخصية (أو شخصيات) رسمية سياسية أو أمنية أو عسكرية هامة. ويكون المغزى الذي يريد نشره الإرهابيون من خلال هذه العلمية هو أنهم قادرون على الوصول حتى إلى هذه الشخصيات الرسمية المحروسة جيداً، وهذا دلالة قوتهم من جهة، ودلالة عجز الأجهزة الأمنية عن حماية هذه الشخصيات.

وثمة عمليات إرهابية تكون موجهة ضد أشخاص معينين باعتبارهم رموزاً للدول أو لاتجاهات سياسية أو دينية أو لقوى معينة. ويكون مغزى العملية هو مضمونها السياسي الموجَّه ضد دولة معينة أو حزب معين أو اتجاهات سياسية أو دينية معينة.

وفي جميع الحالات، يجب قراءة الرسالة جيداً، وتقديم تغطية إعلامية مناسبة في ضوء هذه القراءة.

٤- **الارتباطات المتشابكة للعملية وسياقها العام:** من الخطأ القاتل التناول الإعلامي للعملية الإرهابية وكأنها حدث يتم في فراغ، أو كحدث منعزل عن السياق العام للظاهرة الإرهابية. إن هذا من شأن ذلك أن يؤدي إلى تقديم تغطية إخبارية سطحية وفقيرة وبعيدة عن الواقع وعاجزة،بالتالي، عن إقناع المتلقي وعن التأثير فيه. يجب اعتبار العملية الإرهابية نقطة في سياق مستمر. وهذا يُغني التغطية الإعلامية ويزيد من مقدرتها على الوصول والتأثير.

٥- **النظرة التكاملية للعملية الإرهابية:** العملية الإرهابية هي الصوت الأقوى للظاهرة الإرهابية وأحد أشكالها الأكثر بروزاً. ولكن العملية الإرهابية، على أهميتها، هي مجرد تجسيد عملي ميداني للظاهرة الإرهابية. ولذلك يتعذر فهمها، وبالتالي، يستحيل تناولها إعلامياً، إلا من خلال نظرة تكاملية تُدْرِك الجوانب المختلفة للظاهرة، وتفهم الظروف السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية والدينية التي نشأت في سياقها هذه الظاهرة. إن البقاء في حدود الوقائع المتعلقة بالعملية الإرهابية، وإغراق المتلقي بسيل من المعلومات الجزئية والتفصيلية المتعلقة بمجريات العملية، سوف يؤدي إلى تغطية قاصرة وناقصة، تبدو فيها العملية الإرهابية وكأنها فيلم من أفلام العنف "الأكشن Action"، يعتمد الإثارة سواء لتحقيق المزيد من الانتشار والربح بالنسبة للإعلام التجاري، أو لإظهار مدى قوة الأجهزة الأمنية ومدى تماسك النظام، أو لممارسة نوع من التضليل الهادف إلى التعتيم على الأسباب الحقيقية للإرهاب.

٦- الجمهور المفترض أن تستهدفه العملية الإرهابية: من المؤكد أن معظم العمليات الإرهابية لا تستهدف فقط الجمهور المتواجد في مكان وقوع العلمية، بل هي في الغالب تستهدف جمهوراً أوسع متواجداً في أماكن أخرى. ولا يكون في هذه الحالة الجمهور المحدود في مكان العملية سوى ذريعة أو نقطة انطلاق، وتكون العملية مجرد الحجر الذي يسقط في بركة ماء، سرعان ما تتسع دائرة انتشاره لتشمل البركة كلها. تستهدف العمليات الإرهابية أحياناً جمهور الأجهزة الأمنية، أو جمهور الأجهزة الرسمية، أو شرائح معينة من المجتمع، أو الأجانب أو السياح. وليس بالضرورة أن يكون الجمهور في الموقع أو حتى في البلد الذي تجري فيه العملية. ولهذا فإن التغطية الإعلامية للعملية الإرهابية يجب أن تعرف جيداً الجمهور المستهدف الذي يريد الإرهابيون إيصال رسائل معينة إليه والتأثير فيه، وذلك من أجل تقديم تغطية تمنعهم من تحقيق هذه الأهداف.

إستراتيجية التغطية أثناء حدوث العملية الإرهابية

١- تحديد مضامين وحدود الاعتماد والتعاون والتنسيق مع الأجهزة الرسمية المعنية مباشرة بالمواجهة.

تؤدي العلميات الإرهابية، وخاصة تلك التي تتميز بضخامتها وشراستها ومكان وقوعها ونوعية وكمية ضحاياها، إلى إيجاد حالة استثنائية بكل المعايير، تستدعي استنفار الأجهزة المعنية وتعبئة كافة القوى والجهود من أجل المواجهة. وغالباً ما يتم تشكيل غرفة عمليات تضم ممثلي الأجهزة السياسية والأمنية المعنية مباشرة بالأزمة. وتصبح الأجهزة الرسمية وخاصة السياسية والأمنية هي المصدر

الرئيسي، وفي بعض الدول والأنظمة، المصدر الوحيد لتغطية العملية الإرهابية إعلامياً.

هناك ثلاث ممارسات إعلامية إزاء هذا الموقف:

التغطية التابعة: تسود أساساً في بلدان العالم الثالث عموماً، وخاصة تلك التي يهيمن فيها الإعلام الرسمي. وتتمثل في الاعتماد الكامل في تغطية العملية الإرهابية إعلامياً على المصادر الرسمية المعنية مباشرة بالمواجهة، والالتزام الدقيق بتعليمات هذه المصادر وتوجيهاتها، والتقيد الدقيق، وربما الحرفي، بنشر كل ما يصدر عنها من تصريحات وبيانات وتسريبات. إن نظرة موضوعية إلى هذه الممارسة تُظهِر إيجابياتها وسلبياتها.

ومن أهم هذه الإيجابيات:

- ضمان ضبط حركة وسائل الإعلام وفق الإيقاع الذي تحدده الأجهزة الرسمية.
- ضمان انضباط وسائل الإعلام وعملها وفق المسار الذي تحدده الأجهزة الرسمية لإستراتيجية المواجهة.
- ضمان تقديم الدعم والمساندة للأجهزة الرسمية المعنية بالمواجهة وخاصة ما يتعلق بأهمية التواصل مع الجمهور وتوجيهه عقب حدوث العملية.
- تحصين وسائل الإعلام من أية مزالق يمكن أن تؤدي إلى أخطاء تلحق ضرراً بجهود المواجهة.
- ضمان مصداقية التغطية وقوة تأثيرها بسبب اعتمادها على مصادر رسمية مسؤولة.

ومن أهم السلبيات:

- **الاعتماد المطلق على الأجهزة الرسمية كمصدر وحيد لتغطية العمليات** الإرهابية سوف يجعل وسائل الإعلام تدفع ثمن أي خطأ في إستراتيجية التغطية التي حددتها هذه الأجهزة الرسمية، وسوف يكون هذا الثمن باهظاً جداً إذا ما افتقدت الأجهزة الرسمية المعنية بالمواجهة إلى الخبرة الإعلامية الضرورية، وفشلت في تحديد إستراتيجية تغطية مناسبة وناجحة.

- **سوف تتحمل وسائل الإعلام نتائج أي تناقضات** أو أي ارتباكات أو أي ترددات قد تقع فيها الأجهزة الرسمية المعنية بالمواجهة، وسوف تكون هذه النتائج أشد فداحة إذا لم تمتلك وسائل الإعلام القدر الكافي من المرونة لتقديم " إخراج " إعلامي مناسب لهذه التناقضات والارتباكات.

- **سوف تدفع وسائل الإعلام ثمن أخطاء لم تقترفها**. وسوف يَنْصَبُ عليها نقد الجمهور وسخطه في حالة تقديم تغطية غير شفافة تتضمن معلومات غير دقيقة ومواقف غير سليمة. وذلك لأن هذه الوسائل هي التي تواجه الجمهور مباشرة، في حين أن الأجهزة الرسمية وممثليها يقفون خلف الكواليس ولا يراهم الجمهور مباشرة.

- الاعتماد الكامل على الأجهزة الرسمية المعنية بالمواجهة كمصدر وحيد لتغطية العمليات الإرهابية قد يكون من شأنه أن **يقدم تغطية يغلب عليها الطابع الإخباري السطحي والسريع والمباشر**. كما قد يغلب عليها استخدام أسلوب السرد والوصف. ومن الثابت علمياً أن هذا الأسلوب يكتفي بتقديم الزمن الطبيعي للعملية الإرهابية، ويقتصر على وصف الأشياء والموجودات،

ويكون هدفه عزل الوقائع عن سياقها. في حين أن المطلـــوب تقـــديم الـــزمن الاجتماعي للعملية الإرهابية. ولا يتم ذلك إلا بتجاوز الزمن الطبيعي والارتقاء إلى المستوى الاجتماعي، الذي يضع العملية في السياق الاجتماعي-الاقتصادي والسياسي والثقافي والديني الذي أنتجها.

- الاعتماد الكامل والمطلق على المصادر الرسمية قد يـــؤدي إلى تغطيـــة إعلامية للعمليات الإرهابية تهدف أساساً إلى **إثراء التوجه الـــسياسي للنظـــام** وخدمته بدلاً من إثراء محيط العملية وتفاعل الجمهور معهـــا. إثـــراء التوجـــه السياسي يحدد إستراتيجية التغطية، ويؤثر على منظور التغطية، وعلـــى انتقـــاء الأحداث، وعلى اختيار المعلومات والصور، وذلك لأن التركيز يتم على القيمة السياسية للحدث. في حين أن إثراء محيط العملية والجمهور يتطلب إغناء الحدث نفسه، أي الإلمام بكل أبعاده وجوانبه وجزئياته ودوافعه، وبكل ما يجسِّد القيمة الحقيقية للحدث.

- الاعتماد المطلق على المصادر الرسمية قد يدفع وسائل الإعلام إلى التأكيد على **المجرى التوجيهي-التعبوي، والابتعاد عن المجرى التفاعلي للتغطية**. تتمثل المهمة الأساسية للمجرى التوجيهي-التعبوي للتغطيـــة في التحـــام الجمهـــور بالتوجيه السياسي. أما المهمة الأساسية للمجرى التفاعلي، فتتمثـــل في تقـــديم تغطية تعمِّق فهم الجمهور للعملية عن طريق الدخول معه في نظام القيمة الحقيقة للعملية، ليتمكن هذا الجمهور من تحقيق مجراه التفاعلي الخاص بنفسه، بـــدون وصاية ، وبدون إملاء، وبدون مـــصادرة حريتـــه في الفهـــم والاســـتيعاب والاستنتاج.

- قد يؤدي الاعتماد على المصادر الرسمية كمصدر لتغطية العلميات الإرهابية إعلامياً إلى **تقديم تغطية غير متوازنة لهذه العمليات**. بمعنى الاقتصار على تقديم تغطية تقتصر على إبراز البُعد الأمني للعملية، وتتجاهل الأبعاد السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية والدينية للعملية. إن الاقتصار على البعد الأمني للعملية، والإصرار على تقديمها في الزمن الطبيعي وضِمن المجرى التوجيهي التعبوي من شأنه أن يؤدي إلى تقديم العملية وفق منظور ضيق، قد يؤدي إلى إعطاء مفهوم محدَّد وقاصر وخاص عنها، وبالتأكيد لن يكون مفهوماً أو مقنعاً للجمهور.

- كثيراً ما يؤدي الاعتماد الكامل على الأجهزة الرسمية كموجِّه وكمصدر وحيد لتغطية العمليات الإرهابية إلى **التضحية بكثير من خصائص العمل الصحفي** وقواعده وقوانينه ومهاراته، وذلك بسبب افتقار المسؤولين عن الأجهزة الرسمية السياسية والأمنية إلى الخبرة الإعلامية، وإلى افتقار وسائل الإعلام إلى أي هامش من المبادرة والإبداع في عملية التغطية.

- ثمة إمكانية أن يؤدي الاعتماد الكامل على الأجهزة الأمنية كمصدر لتغطية العمليات الإرهابية إلى **وجود نوع من التواطؤ بين الإعلام والأجهزة الأمنية على حساب الحقيقة**. وهذا من شأنه أن يضعف الحس الصحفي النقدي لدى رجال الإعلام، ويحدُّ من اندفاعهم للتحقق من صحة الوقائع وتدقيق المعلومات واختبار التصريحات التي يدلي بها المسؤولون الأمنيون والسياسيون.

حدث هذا في الإعلام الأمريكي بعد أحداث ٢٠٠١/٩/١١، عندما تخلى الإعلام الأمريكي عن استقلاليته في تغطية العلميات الإرهابية، والتحم بأجهزة

الدولة الأمنية والسياسية. إن أهم نقطة أثارها آدم كيرتس في فيلمه الوثـائقي " قوة الكوابيس "، الذي قدمته هيئة الإذاعة البريطانية، هي العلاقة المريبـة الـتي تأسست بعد الحادي عشر من أيلول/سبتمبر بين رجال الأمن ورجال الإعلام، والدليل على ذلك أن معظم المؤتمرات الصحفية التي كان يعقـدها المـسئولون الأمنيون حول قضايا الإرهاب، حتى لو انطوت على معلومات غير موّثقـة أو غير مُؤكدة، فإنها سرعان ما تتحول إلى قصص إخبارية محبوكة بشكل درامي، وأنه حتى لو ثبت لاحقاً عدم صحة المعلومات الواردة في أي من هذه المؤتمرات الصحفية فإنه نادراً ما كان يتم الإشارة إلى ذلك لاحقاً. لم يعد يوجد شيء اسمه التحقُّق من صحة المعلومات حينما يتعلق الأمر بالإرهاب (أميمة عبد اللطيف. مجلة العصر-بدون رقم العدد وتاريخه)

- إن من شأن الوضع الاحتكاري للسيطرة الرسمية والأمنية علـى إدارة الصراع ضد الإرهاب عموماً وعلى التحكُّم بمفاتيح تغطية العمليات الإرهابيـة والإشراف على توجيه التغطية الإعلامية لهذه العمليات، نقول، إن مـن شـأن ذلك أن **يوجد فرصة لاتخاذ إجراءات رسمية تحدُّ من حرية الصحافة**، وتحدُّ من حق الوصول إلى المعلومة ونقلها إلى الجمهور الذي من حقه أن يعرف حقيقة ما يجري. وقد عبَّرَ معهد الصحافة الدولي عن قلقه الشديد من تهديد حرية الإعلام بسبب الحملة الأمريكية ضد ما تعتبره واشنطن إرهاباً. وحذَّرَ المعهد من خطـر الحد من الحريات المدنية بذريعة الإرهاب، وأكدَّ أن مكافحة الإرهاب الـدولي دفعت بالحكومات، ومن بينها حكومات ديمقراطية، إلى السعي لوضع ضوابط حظر على حرية الوصول إلى المعلومات وعلى حرية التعبير وحريـة وسـائل الإعلام.(ألشاتين، ٢٠٠٥)

الممارسة الثانية: التغطية المتوازنة

نراها في كثير من البلدان الأوروبية وفي بعض بلدان العالم الثالث، ويكثر استخدامها في وسائل الإعلام، وخاصة الصحافة النوعية التي تتميز بقدر من الجدية.

تتميز هذه الممارسة بالسمات التالية:

- مع اعتراف هذه الممارسة بأن الأجهزة الرسمية هي المصدر المهم والموجِّه في تغطية العلميات الإرهابية، إلا أنها تسعى إلى **تحقيق قدر من التنسيق والتوازن** بين الأطراف والجهات الأمنية المعنية بظاهرة الإرهاب في المجتمع كافة. وفي الوقت نفسه تحرص على عدم اقتصار التغطية على منظور واحد أو على بُعْدٍ واحد، بل تسعى إلى رؤية العملية بجوانبها المتعددة، وبأبعادها المتعددة، وتهتم بتقديم رؤية معمقة لهذه الجوانب والأبعاد، معتمدة في ذلك على إسهامات الخبراء والمختصين في المجالات العلمية المعنية.

- تحاول وسائل الإعلام التي تتبع هذه الممارسة **عدم عزل العملية الإرهابية عن لحظتها**، بل تحرص على وضعها في سياقها العام. وتسعى إلى توسيع إطار التغطية لتشمل الجوانب المختلفة للعملية الإرهابية، وتحرص على تعميق هذه التغطية لتقارب الأسباب الحقيقة الكامنة وراء العملية والظاهرة الإرهابية في المجتمع. وهذا لا يعني إطلاقاً التقليل من شأن المجابهة المباشرة والتغطية الإخبارية السريعة وأهمية البُعْد الأمني، بقدر ما يعني عدم التهوين من أساليب المواجهة الأخرى، وعدم إهمال الأبعاد الأخرى للعملية أو للظاهرة الإرهابية.

- تحاول وسائل الإعلام في ضوء هذه الممارسة أيضاً إقامة نوع من التوازن بين تقديم العملية بحيث **تغني المجري التفاعلي مع الحدث** الذي يريده المتلقي، دون أن يتناقض ذلك مع إغناء التوجيه السياسي والأمني الذي تريده الأجهزة الرسمية (السياسية والأمنية) وتحرص عليه. إن ضمان نجاح وسائل الإعلام في تحقيق هذا التوازن يكمن في حقيقة عدم وجود تناقض بين موقف السلطة وموقف المتلقي (الجمهور) إزاء العمليات الإرهابية، وأن الاختلاف يوجد في منظور الرؤية، وكيفية المعالجة، وأساليب التفسير والتحليل.

- تحرص وسائل الإعلام التي تستخدم هذا النوع من التغطية التركيز، وخاصة في الصحافة المكتوبة والبرامج الحوارية الإذاعية والتلفزيونية والأعمال الوثائقية، على **التفسير والشرح والتحليل** الذي يقوم على أساس متين من التغطية الإخبارية الحية والمباشرة، والتي تتمتع بقدر كبير من الشفافية والمصداقية، وتقدم الوقائع والمعلومات الحقيقية والأساسية وذات المعنى والمغزى والدلالة، والتي تمكّن المتلقي من معرفة ماذا حدث. ثم تأتي مواد التفسير والتحليل والشرح، التي تمكّن المتلقي من فهم ذلك الذي حدث واستيعابه بشكل شامل وعميق.

الممارسة الثالثة: التغطية المستقلة

تسعى وسائل الإعلام التي تستخدم هذه الممارسة إلى اتخاذ موقف مستقل ومحايد عن كلٍ من السلطة والإرهابيين. في الممارستين السابقتين، التابعة والمتوازنة، تنطلق وسائل الإعلام في تغطيتها للعمليات الإرهابية من حقيقة أنها

لا تشكّل طرفاً ثالثاً بين السلطة والإرهاب، بل هي تقف في جبهة السلطة، وتشكّل جهازاً من ضمن الأجهزة المعنية بمجابهة الإرهاب. تهيمن هذه الممارسة وقيمها على المدرسة الأمريكية، وخاصة ما قبل ٢٠٠١/٩/١١.

أما وسائل الإعلام التي تستخدم التغطية المستقلة، فهي تزعم أنها تقف على مسافة واحدة بين طرفين أساسيين معنيين بالعملية، هما السلطة وأجهزتها والإرهابيون ومنظماتهم. ولذلك فإن وسائل الإعلام تأخذ موقف المراقب الحريص على المصلحة العامة. تراقب الأجهزة الرسمية، وخاصة الأمنية والسياسية، وتغطي نشاطاتها، وتقيِّم أعمالها في ضوء وظائفها ومن منظور المصلحة العامة. وفي الوقت نفسه، تراقب العملية الإرهابية والإرهابيين، وتغطي تحركاتهم وتصرفاتهم من منطلق مواقفهم وسياساتهم، واعتماداً على تصريحاتهم وبياناتهم. وذلك كله من أجل تقديم صورة كاملة لحقيقة ما يحدث، تشكّل أرضية معرفية كافية، تمكّن المواطن من أن يعرف ما يحدث ويفهمه، وتوفر له ما يحتاجه ليقيِّم ما يحدث، وليكوِّن رأياً إزاءه، وليتخذ موقفاً حياله.

تتميز هذه الممارسة بأنها:

- تحاول أن تستفيد إلى أقصى حد ممكن من **خصائص العملية الإرهابية** كحدث ضخم ومثير وجماهيري وجذاب في سوق المنافسة الإعلامية المحتدمة بين الوسائل الإعلامية، وذلك من أجل تحقيق المزيد من الانتشار والنفوذ والربح.

- تنطلق في تغطيتها للعملية الإرهابية من **منطلق إعلامي** تنافسي صرف. تتبنى منظوراً إعلامياً للتغطية، وتغلّب القيم والمعايير الإعلامية للتغطية، وتبرز

البعد الإعلامي للعملية، حتى لو أدى ذلك في سياق التغطية إلى التناقض مع المعايير والأبعاد الأخرى.

- تسعى إلى تقديم **تغطية إخبارية حية** وغزيرة ومباشرة ومستمرة ومتنوعة.

- تسعى، ومن منطلق إعلامي صرف، إلى الوصول **إلى الأطراف المعنية** والمشاركة في العملية، لا فرق في ذلك بين الجهات الرسمية السياسية والأمنية وبين دوائر الإرهابيين وقادتهم ومصادرهم.

يؤخذ على هذه الممارسة:

- تنطلق في تغطيتها من فرضيات قد لا تكون صحيحة أو دقيقة، وهي أن الإعلام يمكن أن يكون محايداً بين السلطة والإرهاب، وأن الإعلام قادر على تقديم الحقائق المطلقة، وأن المتلقي قادر دائماً على تكوين رأي.

- تتبنى التغطية التي تقوم فقط على أساس أن المرجعية الوحيدة الفاعلة في التغطية الإخبارية هي القوة الذاتية للحدث، مهملة عناصر أخرى وخاصة السياق والجمهور.

- توظيف الخصائص الذاتية للعملية الإرهابية، كحدث ضخم ومثير وجذاب، ليس من أجل إيجاد المعرفة وتحقيق الوعي بخطورة هذا الحدث، أي توظيف طبيعة الحدث المثيرة وجاذبيته الجماهيرية من أجل نشر المعرفة والوعي في أوساط الجماهير الواسعة بخطورة هذا الحدث. ولكن توظّف هذه الخصائص من أجل تحقيق أهداف إعلامية صرفة تتعلق بلعبة المنافسة وأهداف الانتشار والربح. وبذلك تسمح هذه الممارسة للعملية الإرهابية الجذابة والمثيرة

والجماهيرية، أن تلعب اللعبة لصالحها، وأن تكرِّس قيمها، بدلاً من أن تتم اللعبة لصالح تعميق المعرفة والوعي بحقيقة العلمية الإرهابية لدى مختلف الشرائح الاجتماعية كجهد يسهم في المواجهة الشاملة للإرهاب.

- الانزلاق في سياق المنافسة وشروطها نحو إبراز الجوانب والوقائع والتفاصيل والجزئيات المثيرة والجذابة على حساب الجوانب المفصلية والوقائع المهمة ذات المعنى والمغزى والدلالة.

- تقديم تغطية إخبارية سريعة وغزيرة ومستمرة ولكن غير منهجية وغير متماسكة، تؤدي تراكمياً إلى الضياع والتشويش والغرق في التفاصيل والجزئيات والأمور الثانوية.

- الهوس بالسبق الصحفي من أي مصدر أتى، وبأية وسيلة تحقق، وعلى حساب أي شيء تم.

- إن من شأن هذه التغطية أن تؤدي، واعية أم غير واعية، متعمدة أو غير متعمدة، إلى تقديم خدمات مجانية للإرهاب وللإرهابيين، وإلى إعاقة غير مبررة للأجهزة الأمنية والسياسية المعنية بمواجهة العملية، وإلى التأثير سلبياً على الجهود التكاملية المبذولة لمواجهة الإرهاب في المجتمع.

٢- الانطلاق من الإستراتيجية الإعلامية العامة للإرهابيين:

أوضحنا سابقاً كيف يعد الإعلام إحدى الحلقات الأساسية في الإستراتيجية العامة للإرهابيين. وأكدنا أن الإرهابيين يعتقدون أن الإعلام هو الجسر الذي يوصلهم بالجماهير الواسعة من أجل نشر بياناهم وتصريحاهم ومطالبهم

ووثائقهم أملاً في إيصال أفكارهم ومواقفهم إلى هذه الجماهير وإطلاعهم عليها وإقناعهم بها. وهكذا تصبح العملية الإرهابية، في معظم الأحيان، مجرد أداة لبدء عملية إعلامية ذات تداعيات متلاحقة ومتشعبة.

إن التغطية الإعلامية الصحيحة للإرهاب وللعمليات الإرهابية هي التغطية التي تنطلق من هذه الإستراتيجية الإعلامية للإرهابيين، وتفوت عليها الفرصة، وتمنعها من تحقيق أهدافها، وتقدم تناولاً إعلامياً للعمليات الإرهابية بشكل يضمن عدم هيمنة الإرهابيين على هذه التغطية، وعدم استفادتهم منها، ولكن دون التضحية بحرية الإعلام، وكذلك دون التضحية بحق الجمهور في أن يعرف ماذا يحدث. يتأثر التوصل إلى حل سليم لهذا المعادلة بكثير من الاعتبارات الإعلامية والسياسية والأمنية، ومع ذلك لا مناص من تحقيق هذا التوازن الدقيق بين الحؤول دون تحويل وسائل الإعلام إلى أداة بيد الإرهابيين من جهة وبين تقديم حقيقة ما يجري.

صحيح أن المبادرة الأمنية والإعلامية قد تكون في البداية بيد الإرهابيين، ولكن وكما تفعل الأجهزة الأمنية لتأخذ زمام المبادرة الأمنية، يجب التخطيط والعمل من أجل أخذ المبادرة الإعلامية من الإرهابيين، وتقديم إعلام مضاد ومعاكس لإعلام الإرهابيين

٣- ليست العمليات الإرهابية، حتى تلك التي يقوم بها تنظيم واحد وفي بلد واحد، عبارة عن نسخ متكررة. إذ من المؤكد،وكما أشرنا سابقاً، أن لكل عملية إرهابية خصائصها الذاتية المتميزة المتعلقة بأهدافها، وبالمكان المختار لها، وبتوقيت القيام بها، والشخصيات أو المنشآت التي تستهدفها، والرسالة التي تريد إيصالها، والجماهير التي تريد أن تستهدفها.

ولذلك نرى أن التغطية الإعلامية السليمة للعمليات الإرهابية هي تلك القادرة على أن تدرك، ومنذ اللحظات الأولى لبدء تنفيذ العملية، الحلقة الأساسية، وبالتالي، الهدف المركزي للعملية ودلالاتها. أحياناً قد يكون مجرد وقوع العملية والمقدرة على القيام بها هو هدف بحد ذاته، وخاصة عندما تكون السلطات قد أعلنت القضاء التام على الإرهاب والإرهابيين. وأحياناً يكون المكان الذي يختاره الإرهابيون لتنفيذ عمليتهم. تتنوع الأماكن التي يختارها الإرهابيون للقيام بعملياتهم وفق تنوع أهدافهم. أحياناً يقرر الإرهابيون إحداث تفجيرات بالقرب من القصر الجمهوري أو مقر رئاسة الوزراء أو قرب وزارة الداخلية أو قرب أحد مراكز الأجهزة الأمنية، ويستهدفون أحياناً سفارة أو قنصلية أجنبية أو موقعاً سياحياً أو منطقة معينة أو حياً معيناً. يجب أخذ عامل المكان بعين الاعتبار لتحديد الموقف من العملية، والانطلاق من حقيقة أن الإرهابيين لا يختارون أماكن عملياتهم عشوائياً.

كما تتنوع الأوقات التي يختارها الإرهابيون للقيام بعملياتهم. أحياناً يصر الإرهابيون على القيام بعملياتهم في شارع رئيس في العاصمة وفي وضح النهار، وأحياناً أخرى يقررون القيام بعملياتهم بشكل متزامن مع مناسبة وطنية أو اجتماعية أو دينية معينة. أيضاً تتنوع الشخصيات التي يستهدفها الإرهابيون في عملياتهم. أحياناً يستهدفون شخصيات رسمية سياسية أو أمنية، وأحياناً أخرى يستهدفون شخصيات مدنية فكرية أو دينية أو ثقافية. كما يستهدفون أحياناً أناساً عاديين، أو رسميين أو مدنيين أجانب أو سياحاً...الخ. ويختلف الجمهور الذي يهدف الإرهابيون إيصال رسائلهم إليه من خلال عملياتهم. أحياناً يكون

جمهورهم قوى الأمن المعنية لمواجهتهم، وأحياناً أخرى القيادة السياسية، كما قد يكون الرأي العام المحلي أو العالمي هو المستهدف.

وهكذا نرى أن العلميات الإرهابية عبارة عن معارك جزئية تأتي في سياق صراع شامل ومعقد وطويل. وتأخذ كل عملية إرهابية خصوصيتها ضمن هذا السياق العام .ولذلك فإن التغطية الإعلامية الصحيحة للعملية الإرهابية يجب أن تتميز بقدر كبير من التفاعل والإبداع. التفاعل مع المعطيات الملموسة للعملية، والإبداع الإعلامي في تناول هذه العملية. إذا لم يحدث ذلك، فإن الإعلام سوف يكرر نفسه في كل عملية، وسوف يقدِّم تغطية إعلامية متكررة، مليئة بالسياسة والمبادئ والثوابت والمواقف العامة والشعارات. قد يكون هذا المنهج من التناول الإعلامي مقبولاً في بداية الصراع ضد الإرهاب، ولكنه سرعان ما يصبح اسطوانة يتم تكرارها وإعادتها عند كل عملية.

ومن المؤكد أن هذا من شأنه أن يبعد التغطية عن الواقع وعن المقدرة على الوصول والتأثير، ويحولها إلى عمل لا علاقة له بالإعلام، بل هو إلى العلاقات العامة أقرب. وهذا ما يؤدي إلى عزلة الوسائل الإعلامية عن الواقع، وعن الجمهور. الأمر الذي يؤدي إلى وجود فراغ إعلامي، سرعان ما يتقدم الإعلام الخارجي أو إعلام الإرهابيين أو الإعلام الشخصي أو الشائعات لتملأ هذه الفراغ. وبالتالي، نكون قد خسرنا الجبهتين الأمنية والإعلامية.

ولذلك نرى ضرورة وأهمية أن تكون التغطية الإعلامية أثناء العلميات الإرهابية تغطية تفاعلية وإبداعية وملموسة، تنطلق من الخصائص الذاتية للعملية الإرهابية، وتعمل على مواجهتها. وهذا يتطلب ضرورة فهم العملية، وتحديد هدفها الرئيس. تفجير في منشأة سياحية، هدفه ضرب السياحة وعزلة البلد.

تفجير قرب منشأة نفطية، هدفه إضعاف الاقتصاد ومنع الاستثمار الأجنبي. تفجير قرب القصر الجمهوري أو وزارة الداخلية، هدفه تأكيد المقدرة على الوصول إلى أي مكان. عمليات في مناطق متفرقة ومتباعدة، هدفه القول: إننا موجودون في كل مكان. عملية يسعى الإرهابيون لجعلها تستمر طويلاً، هدفها إظهار عجز الأجهزة المعنية عن المواجهة. عملية ضد شخصية فكرية أو دينية أو ثقافية، هدفها إيصال رسالة مفادها: انتبهوا نحن قادرون على تصفية كل من يقف في طريقنا، وأن السلطة عاجزة عن حماية نفسها ومن يقف معها.

وهكذا يجب أن تكون المهمة الإعلامية الأولى هي تحديد إستراتيجية الإرهابيين وهدفهم والرسالة التي يريدون إيصالها من خلال العملية والجمهور الذي يستهدفونه. يجب أن يتم تحديد ذلك في ضوء المعطيات الأولى للعملية وفي أقصى سرعة ودقة. وهنا تأتي أهمية التعاون والتنسيق بين الأجهزة الأمنية وكل من القيادة السياسية والأجهزة الأمنية، وذلك حتى يتسنى للإعلام أن يضع مباشرة إستراتيجية إعلامية معاكسة من شأنها مواجهة إستراتيجية الإرهابيين ومنعهم من تحقيق أهدافهم.

إن الفشل في وضع هذه الإستراتيجية الإعلامية المعاكسة سوف يؤدي إلى ارتباك التغطية الإعلامية للعملية الإرهابية، وخاصة في لحظاتها الأولى، التي يستغلها الإرهابيون من أجل إعطاء الانطباعات الأولى وترسيخها في ذهن الجمهور بشكل يصعب تغييره فيما بعد. لا شك أن العملية الإرهابية حدث مفاجئ بكل معنى الكلمة، ولا شك أنه ليس من السهولة البالغة استيعاب الأبعاد المختلفة للعملية الإرهابية وتحديد هدفها، ولا شك أن المنافسة الإعلامية تؤدي إلى تعاظم أهمية الوقت وإبراز عامل السرعة في بدء التغطية، ولا شك أن

درجة التنسيق المطلوبة مع الجهات السياسية والأمنية قد لا تكون ممكنة لاعتبارات أمنية وسياسية مرتبطة بطبيعة عمل هذه الأجهزة وآلية اتخاذ القرار فيها. ولكن مما لاشك فيه أيضاً أن هناك أجهزة تراقب وتتابع وتستعد للمواجهة في هذا الصراع المديد. ولذلك فإن العملية الإرهابية يجب أن تكون دائماً متوقعة، وأن الجاهزية (السياسية والأمنية والإعلامية) يجب أن تكون متوفرة لتخفيف وقع المفاجأة. وهذا ما يجعل وجود كادر سياسي وأمني وإعلامي متمرس وخبير وعالي المستوى مسألة بالغة الضرورة، كما يجعل مسألة التنسيق بين الأجهزة السياسية والأمنية والإعلامية مسألة بالغة الخطورة.

إن الارتباك في فهم الإستراتيجية الإعلامية للإرهابيين، والفشل أو التعثُّر في تحديد هدف العملية، والارتباك في التنسيق مع الأجهزة السياسية والأمنية المعنية، في ظروف لا تستطيع فيه الوسائل الإعلامية، وخاصة التلفزيون، أن تتأخر في بدء تقديم التغطية المناسبة، سوف يؤدي إلى انعكاس هذا الارتباك وهذا التعثُّر على شكل التغطية ومضمونها. وهذا ما يفسِّر لماذا تضل كاميرا التلفزيون طريقها منذ اللحظات الأولى، ولماذا تغرق في جزئيات لا دلالة لها، ولماذا تركِّز على تفاصيل لا معنى لها. وبالتالي، لماذا تقدِّم، دون وعي أو قصد، تغطية مرتجلة لا تعرف مواقع أقدامها، وتفتقر إلى المنهجية وإلى التماسك المنطقي. الإعلام لا يعمل، وبالتالي، لا يؤثر وفق النوايا الطيبة وحدها. ولذلك فإن تغطية من هذا النوع سوف تكون في أفضل الأحوال عاجزة عن مجابهة إعلام الإرهابيين، وسوف تكون في أسوأ الأحوال مساعدة لهم.

٤- يجب أن تتم التغطية الإعلامية للعمليات الإرهابية في هذه المرحلة بما يتناسب مع القوانين الإعلامية والنفسية التي تحكم حركة الجماهير أثناء الأحداث والأزمات، خاصة وأن العمليات الإرهابية تضع الجمهور في وضع استثنائي بكل المعايير، يستدعي التعامل معه إعلامياً وفق المعطيات التالية:

- تسود أثناء العلميات الإرهابية حالة من القلق والتوتر والخوف وعدم الاستقرار، تدفع الجماهير باتجاه الاندفاع إلى وسائل الإعلام(وخاصة التلفزيون) باعتبارها أساس النظام الاتصالي الذي ينشأ حول الأحداث المثيرة في المجتمع) بحثاً عن معلومات تخفف من قلقها، وتجعلها تشعر بالطمأنينة .(Dofleur,1982)
- يزداد عطش الجمهور لمعرفة ما يحدث، وتزداد حاجته إلى معلومات صحيحة ومقنعة تجعله يدرك حقيقة ما يجري. ويصبح هذا الجمهور أكثر ميلاً للتأثر بالأفعال وليس بالأقوال.
- يصبح الجمهور في هذه الحالة العصبية والانفعالية في حالة استقطاب، وبالتالي، يصبح قابلاً للتبدل السريع من موقف إلى موقف مناقض.
- يصبح الجمهور في هذا الوضع قابلاً للاستهواء، كما يصبح أقل قابلية للتأثر.

- يصبح الجمهور شديد الحساسية بالنسبة للأجهـزة المعنيـة بمجابهة الإرهاب، وخاصة الأجهزة الأمنية، ولذلك فإنه يريـد أن يطمئن على مدى كفاءة أداء هذه الأجهزة وفعاليته.

- لا يتردد الجمهور كثيراً في هذا الوضع، إذا مـا ارتبكـت وسائل الإعلام المحلية وتعثرت خطواتها، في إشـباع حاجاتـه الإعلامية والنفسية في أن يندفع لإشباع هذه الحاجـات مـن خلال مصادر إعلامية خارجية حتى لو كانت معادية، أو من خلال الشائعات التي يشكّل فشل الأداء الإعلامي تربة مناسبة لوجودها وانتشارها وتأثُّر الجمهور بها.

- أما إذا ما كان الأداء الإعلامي الـوطني جيـداً ومقنعـاً، واستطاع أن يزود الناس بالحقائق الصحيحة، فإن الجمهـور يصبح أكثر تعقلاً وصلابة، كما يصبح أكثر قابلية للموافقـة على أية إجراءات أمنية يمكن أن تتخذها السلطات الرسمية أثناء عملية المواجهة أو بعدها، كما يصبح أكثر مـيلاً للإسـهام الفاعل في عملية المواجهة نفسها.(عز الدين،١٩٨٧)

٥- يجب تغطية العلميات الإرهابية أثناء حدوثها بما يتناسب مع الوضع العام للوسائل الإعلامية أثناء العلمية، ومع مجمل المعطيات الإعلامية التي يفرزها وضع الأزمة:

- تزداد أهمية وسائل الإعلام أثناء العمليـات الإرهابيـة، وتصبح، وخاصة في اللحظات والـساعات الأولى، صـلة

الوصل الرئيسة، وربما الوحيدة أحياناً، بين الأجهزة الرسمية والجمهور.

- تبدي وسائل الإعلام مستوى أعلى من الشعور الوطني ومن الإحساس بالشأن العام. كما تبدي الجماهير ميلاً أقوى لتصديق وسائل الإعلام والثقة بها، كما يصبح الشعب أكثر قرباً من وسائل إعلامه الوطنية أثناء الأزمات.

- يزداد اندفاع الناس إلى وسائل الإعلام أثناء العمليات الإرهابية، وتزداد كثافة التعرض لمختلف هذه الوسائل. ترتفع أرقام توزيع الصحف، وتزداد كثافة مشاهدة التلفزيون والاستماع للإذاعة.

- يجب على وسائل الإعلام أن تفهم أسباب اندفاع الناس إلى التعرض لوسائل الإعلام أثناء العمليات الإرهابية، كما يجب أن تعرف كيف تستجيب لهذه الأسباب، وخاصة ما يتعلق ب:

- الحصول على المعلومات التي تخفف القلق وتبعث الطمأنينية.

- الحصول على المعلومات التي توجه الفرد كيف سيتصرف وما عليه أن يفعل.

- يشبع التعرض لوسائل الإعلام حاجة نفسية للناس لأنه يشعرهم بأنهم يفعلون

شيئاً، كما يعطيهم إحساساً بأنهم جـــزء
من المأساة التي تحدث.
توفر التغطية والتعرض لها فـــضاءً عامـــاً
يعطي أفراد الجمهور فرصة النقاش مـــع
الخبراء من مختلف المجالات، ومع بعضهم
البعض، الأمر الـــذي يـــشبع حاجـــة
الجماهير ورغبتـــها في الحـــوار حـــول
الكارثة. وبذلك تتجاوز وسائل الإعلام
دور المخبر والناقل للمعلومـــات إلى دور
الموجه والقائد.

- تزداد أهمية الاتصال الإلكـــتروني (الإنترنـــت والبريـــد الإلكتروني والبلوتوث والفـــاكس...الخ) أثنـــاء الأزمـــات والعمليات الإرهابية. إذ تندفع مختلف القوى والأطـــراف (وخاصة المنظمات الإرهابية نفسها) للتواصل مع الناس عبر وسائل الاتصال الإلكتروني، وخاصة عند تعذُّر الاتصال بهم عبر وسائل الاتصال الجماهيري العادية.

- تزداد أهمية الاتصال الشخصي أثناء العلميات الإرهابيـــة، ولكن أهميته هذه تصبح أكثر خطورة إذا ما فشلت وسائل الإعلام الجماهيري أن تملأ الفراغ الذي يحدثه وضع الأزمة أو العملية الإرهابية، وفـــشلت في أن تـــشبع الحاجـــات

الإعلامية المتعددة والمتنوعة للشرائح المختلفة من الجمهور.(Greenberg,2003)

- يجب أن تغيِّر التغطية الإعلامية للعمليات الإرهابية مجالات ونقاط تركيزها، بما يتناسب مع حاجات الجمهور، ومع تطور العملية الإرهابية ذاتها، ومع تغير الاعتبارات والمتطلبات الأمنية أثناء عملية المواجهة.

- تجربة تغطية حدث ٢٠٠١/٩/١١ Mogensen, quated at: Greenberg,2003): حين يضطرب النظام الاجتماعي يرغب الجمهور عادة أقصى قدر من المعلومات تستطيع وسائل الإعلام أن توفرها له. المعلومات غير الكاملة أثناء الأزمة تقود إلى الشك وإلى انتشار الشائعات. أثناء الأزمات لا يكتفي التلفزيون بتقديم وقائع ومعانٍ، بل يقدم أيضاً نوعاً من العلاج للمشاهدين، ويكون أداة جاهزة بيد المسئولين الحكوميين الذين يحتاجون إلى مخاطبة الجمهور.

وحدَّدَ الباحثون ثلاث مراحل لتغطية الأزمة:

الأولى: تركيز الإعلام على ما حدث، والمساعدة على تنسيق عمليات الإنقاذ. وتكون المشكلة الأساسية في هذه المرحلة هي الحصول على معلومات دقيقة. مما يطمئن الجمهور أن يرى السلطات تستجيب بشكل مناسب للكارثة.

الثانية: تقدم وسائل الإعلام ردود فعل الناس العاديين، ومعلومات من المسئولين الذين يحاولون حفظ القانون والنظام. يريد الجمهور توضيحات واطمئنان على القيم الاجتماعية للمجتمع والمساعدة للتعبير عن الأسى.

الثالثة: تساعد وسائل الإعلام على إعادة التكامل الاجتماعي.

يحدث ذلك ويتقرر انطلاقاً من الفروض التالية المستخلصة من أبحاث سابقة:

- تقوم وسائل الإعلام بدور الموجّه والمواسي بدلاً من أن تكتفي بدو المصدر الإخباري في وضع الأزمة التي تهدد المصلحة القومية.

- تبدي وسائل الإعلام وطنية واضحة في موقف الأزمة المرتبط بالمصلحة القومية.

-تعتمد وسائل الإعلام على المصادر الحكومية أكثر من أية مصادر أخرى في موقف الأزمة المرتبط بالمصلحة القومية.

-تدافع وسائل الإعلام عن القيم الأمريكية في موقف الأزمة المرتبط بالمصلحة القومية.

-تبرز وسائل الإعلام الاهتمام الإنساني بموقف الأزمة الذي يتضمن التراجيديا أكثر من إبرازها للعوامل السياسية والاقتصادية.

- تؤطر وسائل الإعلام التغطية وتقيمها على أسس أخلاقية-دينية أكثر من القضايا السياسية والاقتصادية والجنائية والبيئية.

-يتغير مركز اهتمام وسائل الإعلام أثناء المراحل المختلفة للأزمة.

مرحلة ما بعد انتهاء العلميات الإرهابية:

- ليست العملية الإرهابية حدثاً منعزلاً، بل هي حدث يتم في سياق معين متصل ومستمر. كما أن العملية الإرهابية ليست فعلاً محدوداً ومنقطعاً، بل هي فعل له تداعياته وآثاره المادية والمعنوية التي تشمل مجالات الحياة كافة. ولهذا نرى ضرورة انطلاق التغطية الإعلامية للعمليات الإرهابية من هذه الحقائق، والعمل على أن تؤخذ بعين الاعتبار الأمور التالية في مرحلة ما بعد انتهاء العلمية الإرهابية:

- عدم التوقف فجأة عن نشر مواد إعلامية تتعلق بالعملية. صحيح أن العملية الإرهابية، بجانبها المادي الأمني، تحدث فجأة، وبالتالي، فإن تغطيتها الإعلامية تتم بهذه السرعة وبهذا الزخم وبهذه الكثافة، بحيث تتصدر أجندة الأحداث، وتصبح مركز اهتمام الجهات الرسمية والرأي العام. ولكن ليس صحيحاً أن يتم التوقف فجأة عن متابعة تداعيات العملية. بل لا بد من التدرج في نقل العملية على سلم الأولويات الإعلامية، حتى لو برزت أحداث جديدة هامة تحتل مركز الصدارة في اهتمام وسائل الإعلام.

- أثناء عملية التدرج هذه يتراجع نشر المواد المتعلقة بالتغطية الإخبارية الصرفة للعملية الإرهابية كالأخبار والتقارير الصحفية، ليتقدم نشر المواد الإعلامية المتعلقة بالجوانب التفسيرية والتحليلية

والإيضاحية للأبعاد المختلفة للعملية من خلال نشر أنواع صحفية مثل الأحاديث والتحقيقات والمقالات والتعليقات.

- يتم الاعتماد في هذه المرحلة من التغطية على إسهامات الخبراء والمختصين المعنيين والقادرين على القراءة المعمقة للأبعاد والجوانب المختلفة للعملية سواء بحكم خبرتهم أو اختصاصهم أو مسئوليتهم.

- يتم التركيز في التناول الإعلامي للعملية في هذه المرحلة على التقييم الشامل لأداء مجمل الجهات والأجهزة المعنية بالمواجهة، وذلك بقصد استخلاص الدروس والعبر، والاستفادة من ذلك لتلافي الثغرات وتجاوز نقاط الضعف التي برزت.

- كما يتم التركيز في التغطية الإعلامية للعملية الإرهابية في هذه المرحلة على معالجة الآثار النفسية التي أحدثتها العملية، وخاصة ما يتعلق بإيجاد جو من التوتر والقلق، وإحداث اهتزاز معين للشعور بالأمن والأمان، ومحاولة النيل من هيبة النظام والمجتمع، والتأثير السلبي على الصورة الذهنية للناس عن الأجهزة الأمنية.

- يجب الحرص في ذلك كله على عدم التهوين أو التهويل بما حدث. ويجب التأكيد على حقيقة أن مجابهة الإرهاب عملية شائكة ومعقدة، وبالتالي، هي مجابهة ممتدة في الزمان والمكان والمجتمع. إن التهوين بالعلمية الإرهابية إلى درجة المبالغة في محدوديتها وضعفها، وأنها ربما تكون آخر العلميات، خطأ يفوقه خطورة التهويل بقوة الإرهابيين واستحالة مواجهتهم. نرى ضرورة أن تهدف التغطية الإعلامية إلى ترسيخ الحقائق وتوطيدها، وليس إلى صنع الأساطير والأوهام ونشرها. الإرهاب خطر جدي، ولكن مواجهته ضرورية والانتصار عليه ممكن.

الإرهاب والتلفزيون

يستطيع الباحث المتابع أن يتلمس وجود علاقة تكاملية بين الإرهاب والتلفزيون. ثمة انجذاب واعتماد متبادلين وقويين بين الإرهاب والتلفزيون. يندفع التلفزيون باتجاه الحدث الإرهابي لأنه يمثّل الحدث التلفزيوني الأمثل، نظراً لأنه، وكما أشرنا سابقاً، دراما متكاملة العناصر، وبالغة الإثارة. إنها الفرصة الذهبية في عالم التلفزيون، وخاصة حيث تسيطر قوانين السوق والمنافسة والربح والسبق الصحفي، وكذلك حيث يُساء فهم العلاقة بين الاحترافية والمسؤولية الاجتماعية.

وفي الوقت نفسه، يندفع الإرهابيون باتجاه التلفزيون لأنه الوسيلة الأقوى والأوسع انتشاراً والأقدر على الوصول إلى الشرائح المختلفة من الجماهير المستهدفة. هذه العلاقة هي التي أوجدت مصطلح Terrovision ، بمعنى، الدلالة على الإرهاب المروَّج عبر التلفزيون، وعلى الخدمة التي يقدمها التلفزيون للإرهاب، وذلك نظراً لمقدرته على إيصال العمليات الإرهابية إلى غرف معيشة جميع الناس ".(Nacos,2003,p:48).

لماذا التلفزيون؟

١- **لأن التلفزيون هو الوسيلة التي تمكّنها لغتها التعبيرية** من استخدام عناصر تجسيد فني، تتيح لها تقديم الحدث الإرهابي بصورة أقرب ما تكون إلى الواقع، وربما تستطيع أن تزيل الواقع الواقعي لتحل محله، معتمدة على خصائص ومزايا الصوت والصورة والحركة والألوان.

٢-لأن التلفزيون يحقق للإرهابيين النقل السريع والفوري والحي والمستمر للعملية الإرهابية. التلفزيون هو أول من يصل، والوحيد الذي يُقَدِّم صورة حية متحركة بالصوت والصورة. يعتقد الإرهابيون أن الانتشار عن طريق الإعلام هو دمهم وأوكسجينهم،" ولم توجد وسيلة قدمت أوكسجيناً أكثر للإرهاب كما فعل التلفزيون، وذلك بسبب قابليته ومقدرته على أن ينقل الأحداث بشكل فوري، وبدون توقف، ومن خلال الصوت والصورة، وفي أي مكان في العالم. وقد تركت هذه الخاصية آثارها على طرق التغطية في الوسائل الإعلامية الأخرى "(Nacos,2002,p:39).

مضت ثلاث ساعات منذ سقوط أول قنبلة على بيرل هاربر(١٩٤١/١٢/٧) حتى سمع الشعب الأمريكي من خلال الإذاعة بما حدث، ومضى أسبوع كامل حتى تمكنت صحيفة نيويورك تايمز من أن تنشر أول صورة عن الأضرار الحقيقية للقصف. أما حادث ٢٠٠١/٩/١١ فقد حَظِيَ بتغطية تلفزيونية فورية ومستمرة وعلى مستوى العالم. كتبت صحيفة نيويورك تايمز: الهجوم على برجي التجارة تراجيديا حديثة، العنصر الرئيسي فيها هو التلفزيون. (Nacos,2003,p:55) وأظهر بحث ميداني أُجريَ في اليوم التالي لأحداث ٩/١١ النتائج التالية: الساعة التاسعة من يوم ٩/١١، أي بعد ١٥ دقيقة من الهجوم على برجي مركز التجارة العالمية في نيويورك، قال ٢٢% أنهم سمعوا بالحدث. وفي الساعة العاشرة، ارتفعت النسبة إلى ٨٢%، وفي الساعة الحادية عشرة بلغت النسبة ٩٤%. بمعنى أن الحدث احتاج إلى ساعتين فقط ليكون انتشاره شاملاً تقريباً. وقال ٨٨% من أفراد العينة أن التلفزيون كان الوسيلة الأهم في الأيام الثلاثة الأولى، مقابل ٨% للإذاعة و٢% للإنترنت. وقال ٥٠%

من المبحوثين أنهم شاهدوا التلفزيون سبع ساعات أو أكثر في اليوم التالي للحدث(Greenberg,2002). وأظهر بحث ميداني آخر أُجريً بعد خمسة أسابيع من الهجوم أن المصادر الأكثر فائدة لمعرفة الحدث كانت: ٦٩% أخبار التلفزيون، ١٢% أصدقاء وزملاء عمل، و١٧% إذاعة، و٩% أفراد الأسرة، ٤% لا يتذكرون، و١% لا يعرفون. أما معدل الاستخدام لوسائل الإعلام فقد كان: ٨٣% أخبار التلفزيون، و٦٠% أخبار الإذاعة، و٦١% الصحف اليومية، و٣٨% شبكة الإنترنت (Hargrove.Quted at: Greenberg,2002).

في تجربة تغطية حدث ٢٠٠١/٩/١١: وقع الحادث الساعة ٨،٤٥، وخلال دقائق كانت CNN تقدمه على الهواء. الساعة ٨،٤٩ كان المذيع يقول: الآن وقع الحدث... نشاهد لقطات حية ... من الواضح أنها مقلقة. هذا هو مركز التجارة الدولي، ولدينا تقارير غير مؤكدة لهذا الصباح أن طائرة اصطدمت بواحد من برجي مركز التجارة العالمية. وعندما أتت الطائرة الثانية بعد ١٨ دقيقة من الأولى، وصدمت البرج الثاني. غطت الشبكات الحدث وهو يحدث.

٣- لأن التلفزيون هو وسيلة الإعلام الجماهيري الأولى والمفضلة للحصول على المعلومات لمعرفة ما يحدث في المجتمعات المعاصرة. وهذه الخاصية لا يمكن أن تكون أكثر وضوحاً منها أثناء العمليات الإرهابية. وحتى في الدول المتقدمة كالولايات المتحدة تصبح القنوات التلفزيونية الإخبارية المصدر الأول ليس فقط للجمهور الأمريكي، بل وللجهات الرسمية أيضاً، أثناء العمليات التي تستهدف المصالح الأمريكية في الخارج. ولا يعود هذا إلى أن الصحفيين أكفأ

من الدبلوماسيين أو من رجال الاستخبارات وأسرع منهم، ولكنه يعود إلى حقيقة أن الإرهابيين أنفسهم والمسؤولين المحليين والمصادر الأجنبية في موقع الحدث تميل إلى اختيار وسائل الإعلام لنشر أخبارها.

٤-**لأن التلفزيون هو الوسيلة الأوسع انتشاراً**، والتي أصبح نطاقها، بفضل البث الفضائي، يشمل الكون بأسره، وأصبحت جماهيرها تشمل سكان المعمورة.

٥-لأن التلفزيون هو وسيلة الإعلام الجماهيري التي تمكنها خصائصها التقنية من **نقل الحدث الإرهابي بكل أبعاده**، بحيث يجعل المشاهد يشعر وكأنه يعيش الحدث وليس فقط يشاهده.

٦-لأن التلفزيون هو وسيلة الإعلام الجماهيري **الأقوى تأثيراً**، يضاعف التلفزيون بشدة قوةَ العنف المُستخدم في الصراع " يمكن لبلد أن يتحمل تهديداً بقتل المئات، ولكنه لا يستطيع أن يتحمل أن يُوَجَّه إليه اللوم على مقتل مُختَطَف واحد إذا كانت العملية سَتُنْقَل على شاشة التلفزيون. والدولة تستطيع أن ترفض إنذاراً من الخصم وهي تعلم أن هذا الرفض قد يؤدي إلى قتل عشرة آلاف من الناس، ولكنها لا تستطيع أن تتحمل مسؤولية قتل رهينة واحدة يشاهدها الناس على شاشة التلفزيون (عز الدين،١٩٨٧وص٢١).

التناول التلفزيوني الغربي

للإرهاب وللعمليات الإرهابية

تسود في الأدبيات الغربية، وخاصة الأمريكية منها، النظرة التالية:

من الصعب قياس التفاوت في اندفاع كل من الإرهاب والتلفزيون لملاقاة الواحد منهما الآخر. ولكن من المؤكد أن الإرهاب هو الذي يُشْرُط هذا اللقاء ويتحكم به. ومن الصعب الحكم على من هو الطرف الرابح في هذا الرهان. الإرهابيون يرون في التلفزيون سلاحهم الأمضى للوصول إلى الجماهير الواسعة والتأثير فيها. والتلفزيون الغربي، والتجاري منه خاصة، يرى في الإرهاب والعمليات الإرهابية ضالته المنشودة لتحقيق الانتشار والربح.

سمات هذا التناول وخصائصه

ولكن التجربة التلفزيونية الغربية، وخاصة الأمريكية، تُمَكِّن الباحث المتتبع من الخروج إلى ما هو أبعد من الإطار العام الذي حدَّدته هذه النظرة، ليحدِّد مفاصل رئيسية في التناول التلفزيوني الغربي للإرهاب وللعمليات الإرهابية، وذلك على النحو التالي:

١- تحويل المسرح إلى مشهد

أشرنا سابقاً إلى أن العملية الإرهابية هي مسرح كامل. ولكن تسييس الإرهاب (وخاصة بعد ٢٠٠١/٩/١١)، دفع باتجاه نزع الطابع التثقيفي عن المسرح وحرمانه، بالتالي، من خصائصه التنويرية. كتبت الباحثة Nacos (2003,p:37):" أنه، وبالرغم من أن المسرح يبقى تنويرياً، فإنه أفسح المجال للإرهاب كمشهد تلفزيوني عالمي، وكخبر عاجل، تشاهده جماهير عالمية،

ويجتاز حدود الأحداث المسرحية " . وتمت عملية تواطؤ مُحْكَمَـة لتحويـل المسرح، عبر التغطية التلفزيونية، إلى مجرد مـشهد، وإلى تكـريس مَـشهدية، تستخدم اللغة التعبيرية التلفزيونية المتطورة وعناصر التجسيد الفني التلفزيـوني البصرية على النحو الأمثل، ليس من أجل تحقيق أهداف تتعلق بالتثقيف والتنوير وبالوعي عموماً، كما يفعل المسرح، بل من أجل الإبهار، والإدراك الحـسي، وإشباع الحاجات الحسية الآنية واللحظية والسطحية. تمَّ الاعتماد على شكلانية الصورة والحركة والإيقاع من أجل تقديم سيرك بصري، عبر سيل عاصف من المعطيات البصرية التي تتدفق أمام المشاهد، وتحاصره، وتغمره.

٢- تحوُّل المشاهدة إلى فرجة

حوَّلَ التلفزيون الأمريكي (وخاصة بعـد ٢٠٠١/٩/١١) في تغطيتـه للعمليات الإرهابية الرمز إلى أيقونة. وهو يعي جيداً أن حرمان الحـدث مـن رمزيته يعني إفراغه من كثافته الدلالية، وحرمانه من قوته الاتصالية. الرمـز لا يعطي نفسه بسهولة. التعرض للرمز عَبْرَ المشاهدة يَستدعي التفاعل والإيجابيـة. في حين أن الأيقونة تُعطي نفسها بسهولة، وتصبح " الفرجة " الـسلبية وغـير التفاعلية كافية للتعرض للأيقونة. ومع الزمن، تحولت المشاهدة، كفعالية واعيـة وإيجابية وتفاعلية، إلى مجرد " فرجة ". ومع استمرار التعرض والدأب على تكرار الصور تحولت "الفرجة " إلى طقس. المشاهدة، حتى في شـرطها التلفزيـوني، تتطلب حداً أدنى من المشاركة، وتستدعي حداً أدنى من التفاعل. أما الفرجـة فتراهن على الإبهار البصري، المؤدي تراكمياً إلى السلبية والخمول، ومع الـزمن إلى التعَوُّد.

٣- تقديم الوقود للفرجة

الفرجة عبارة عن سيرك بصري. كل ما هو مطلوب منك هو أن تتفرج (سواء على اللاعب أو على المهرج) لا أن تَكُوْنَه، أو أن تتمثَّله، أو أن تتقمص دوره. الصورة هي وقود الفرجة. وحتى تستطيع الفرجة أن تحقق هدفها الإبهاري تراهن على القوة الذاتية للصورة وللمشهد. وهذا ما دفع باتجاه تغطية تُرَكِّز على ما هو جزئي وراهن وآني ومثير. تغطية نجحت في تقديم ركام من الصور، وحوَّلت الحدث إلى شظايا متفرقة (إلى فيديو كليب)، مُبْهِر بصرياً، ومثير حسياً، ولكنه يمنع تكوين قوام متكامل ومتماسك للحدث.

حدثت عملية تواطؤ محكمة، وضعها السياسي ونفذها التلفزيوني. السياسي يريد " تسييس " الإرهاب لتحقيق أهدافه المعينة. عملية التسييس تعني، من جملة ما تعنيه، استغلال الحدث الإرهابي، ليس من أجل فهم أسبابه ودوافعه والبحث عن حلول جذرية للظاهرة الإرهابية، بل من أجل توظيف هذا الحدث(الذي ما زالت ثمة علامات استفهام كبيرة تحيط به) لخدمة سياسات معينة.

ترتَّبَ على ذلك تقديم تغطية تلفزيونية تغمر المتفرج بسيل لا ينقطع من الصور التي تجسد تشظية الحدث الإرهابي اللامتناهية، والتي تتعمد عدم تجميع هذه الشظايا بشكل يعطي للحدث وحدته، وبالتالي معناه ومغزاه، بذريعة أن الشظايا، بمعنى المعطيات الإخبارية، يمكن تصويرها، ويمكن أن تكون مناسبة للغة التلفزيونية البصرية، أما تقديم السياق، وما يتضمنه من تفسير وتحليل، فمن الصعب إيجاد معادل بصري له. ولذلك فهو يؤدي إلى إبطاء إيقاع الحدث،

ويتحول إلى عبء على اللغة التلفزيونية، وربما الأنسب معالجته في الصحافة المكتوبة. قد يكون هذا مفهوماً، ولكنه، لا يستطيع أن يُفَسِّر الظاهرة.

٤- ممارسات عمَّقت السلبيات، أبرزها:

- ا **الإسهام الفاعل في نشر العنف والإرهاب** (كما يرى البعض وكما تؤكد بعض الدراسات). أظهرت دراسة (Dowling,1988)أن من أهم الأسباب التي تؤدي إلى العنف السياسي أن برامج العنف في التلفزيون تُسهم في تنمية السلوك العدواني لدى المشاهد، وخاصة في أوساط الأطفال والمراهقين، بالإضافة إلى التأثير السلبي للنشر عن حوادث الإرهاب الدولي. هذا التأثير السلبي الذي يُنمي السلوك العدواني والإرهابي لدى المشاهدين ممن لديهم الاستعداد للإرهاب. وليس سراً أيضاً أن الدعم الشعبي للإرهابيين يبدو مختلفاً على شاشة التلفزيون عنه في الواقع، وذلك لأن الكاميرا غالباً ما تُرَكِّز على الأقلية النشطة المُحتَجَة، في حين أن أغلبية الناس تعيش حياتها العادية.(عز الدين،١٩٨٧)

- **إيصال مقولات وأطروحات الإرهابيين إلى الجماهير** الواسعة وجعلها في متناول الجميع.

- **تحقيق الشهرة للإرهابيين، وإضفاء صفة الشرعية عليهم.** كتب مخرج أمريكي: أشعر أن التغطية التي نقدمها للعمليات الإرهابية تستحق اللوم، وذلك لأننا نمجِّد الخارجين على القانون، ونجعل أبطالاً من أشخاص ليسوا كذلك. وفي الواقع، نحن نفقد السيطرة على دوائرنا الإخبارية... حقيقة يتم استغلالنا "(Revzin,1977,p:16). اعترف جون هينكلي John Heinkly، الأمريكي

الذي حاول اغتيال الرئيس رونالد ريغان، للطبيب النفسي، أنه خطَّطَ لاغتيال الرئيس أمام الكاميرات التلفزيونية من أجل أن يحصل على أقصى قدر من الشهرة والاحترام.(Schaffert,1992). وعندما اختطف كارلوس وزراء نفط دول أوبك OPEC عام ١٩٧٥ في فيينا، انتظر في قيادة المنظمة مع رهائنه حتى تصل كاميرات التلفزيون لتصوِّر عملية الخروج، وظل يراوغ ويقول لهم: لا تصوروا، لم يأتِ وقت الذروة بعد. ولهذا كله ثمة من يرى أن التغطية التلفزيونية للإرهاب، إذا ما أُسيء استخدامها، تتحول إلى فرصة لإعطاء الصفة الشرعية للإرهابيين وإظهارهم كسياسيين من حين أنهم في الواقع مُختطِفون ومجرمون.(Alekseev,2004).

- **التركيز على الجوانب الأكثر إثارة في العملية الإرهابية**، ومكافأة الإرهاب الأكثر شراسة من خلال المبالغة في تغطيته على حساب الإرهاب الأقل مشهدية.(عز الدين،١٩٨٧)
- **إضفاء الطابع الإنساني على الحدث الإرهابي.**
- **عرقلة الجهود الرسمية**، وخاصة الأمنية منها، لمواجهة الإرهاب. كتب بريجينسكي، مستشار الأمن القومي الأمريكي الأسبق: " يجعل التلفزيون عمل الحكومة أكثر صعوبة، وَيَحَدُّ من مقدرتها على أن تَرُدَّ بقوة"، وأضاف " يسمح التلفزيون للإرهابيين بالتحدث إلى الرأي العام مباشرة من فوق رأس الحكومة من أجل قبول المطالب المتعلقة بقضاياهم ".(Nacos,1994,p:63)
- **التجاوب مع الإرهابيين** إلى درجة السماح لهم باختطاف الكاميرا والقناة. كتب ميلفن لاسكي Melvin Lasky عن حادث اختطاف المرشح لعمدة برلين

عام ١٩٧٥ " فضّلنا أن نعتقد أننا كنا مرنين (مع الإرهابيين)، ولكننا في الواقع كنا مغلوبين على أمرنا، تماماً كما كان حال رجال الشرطة والحكومة... بالتأكيد، يجب اعتبارها الحالة الأولى المسجلة حول كيفية اختطاف شبكة التلفزيون الوطنية ".(Quoted at Ezeldin,1987,p:113).

- **الانتقائية والتحيُّز**: ويتجلى ذلك في عدم إعطاء جميع الأحداث الإرهابية الأهمية التي تستحقها، وعدم الانطلاق من القوة الذاتية للعملية الإرهابية، بل الانطلاق من مواقف سياسية محددة سلفاً. وقد يرافق ذلك الاندفاع نحو التركيز على الجزئيات المثيرة بصرياً وتلفزيونياً. ففي حركة مناهضة العولمة والرأسمالية الاحتكارية التي بدأت في مدينة سياتل الأمريكية عام ١٩٩٩، حيث عقدت منظمة التجارة العالمية، وتجمَّعَ أربعون ألف شخص ليعبروا عن معارضتهم ومناهضتهم لسياسة العولمة. وكان منهم حوالي ١٥٠ شخصاً من الذين يرتدون السترات السوداء، هم الذين قاموا بأعمال وُصِفَت بأنها عنيفة وفوضوية، واشتبكوا مع الشرطة. ولكن هذا الاشتباك كان سيبقى حدثاً عادياً لولا التغطية الإعلامية المكثفة التي حظي بها في الولايات المتحدة والخارج. وأصبحت، نتيجة ذلك، القصة الإخبارية الرئيسة ليس المؤتمر وإنما أعمال " الشغب " التي قام بها عدد من " المتطرفين ". وهذا بالضبط ما أراده " المتطرفون ".(٧٠). إن إعطاء هذا الاهتمام الإعلامي لمجموعة صغيرة جداً من المحتجين، يؤكد أن هذا العنف السياسي قد حقَّقَ أهدافه الدعائية. وهذا لا يعني أنه كان على التلفزيون أن يتجاهل أحداث سياتل. لو فعل ذلك لفشل في القيام بمهمته في إعلام الناس. ولكن فهم الدور الأساسي للإعلام لا يعني إطلاقاً أن على المرء أن يتجاهل الحجم الإعلامي غير المتكافئ المخصص للاضطرابات العنيفة. لقد بالغت التغطية الإخبارية في تقديم العنف على حساب آلاف المحتجين بشكل سلمي. بعد أحداث سياتل، لم يعد ممكناً تجاهل " الفوضويين ". وأصبحت الاحتجاجات جزءاً من مؤتمرات القمة التالية في براغ ونيس ودافوس ونابولي،

حيث كرَّست وسائل الإعلام، وخاصة التلفزيون، معظم العناوين والصور والنصوص للعنف السياسي أكثر من المعارضين السلميين ومن فعاليات المؤتمر. لقد قدَّمت القنوات التلفزيونية أعمال العنف، وأعادتها، وركّزت على المشاهِد الأكثر إثارة، وخاصةً نجاح المحتجين في اقتحام السياج الذي أقامته الشرطة حول مكان انعقاد المؤتمر.

في ضوء ما تقدَّم يصبح مفهوماً قول Richard Clutterbuk : إن السلاح الأقوى بيد الإرهابيين هو كاميرا التلفزيون(Kegley,1990) .وفي ضوئه أيضاً يمكن أن نقرأ **نتائج استفتاء أجراه معهد غالوب يُظْهِر الحقائق التالية:**

- إن ٩٣% من الضباط القادة في الشرطة يعتقدون أن التغطية التلفزيونية الحية للعمليات الإرهابية تشجع الإرهاب.
- لا يوجد ضابط واحد في المدن التي شملها الاستفتاء يعتقد أن العمليات الإرهابية يجب أن تغطى تغطية تلفزيونية حية ومباشرة. ورأى ٦٠% منهم أن مثل هذه التغطية يجب أن تؤَّخر، أو أن تتم عن طريق الفيديو. كما أن نسبة ٢٧% منهم يرون أن العمليات الإرهابية يجب ألا تغطى تلفزيونياً.
- يرى ٤٦% من الضباط أن التغطية التلفزيونية المباشرة للعمليات الإرهابية تشكل " تهديداً قويا ً" لسلامة المختطَفين. مقابل ٣٣% يرون أنها " تهديد متوسط "، و٧% يعتقدون أنها تشكل " تهديداً ضعيفاً "
- أكثر من نصف ضباط الشرطة لديهم حكم سلبي على التغطية التلفزيونية الحية من موقع العمليات. ويعتقد ٢٠% منهم أن الصحفيين الذين يغطون العمليات الإرهابية مستواهم " ضعيف "، و٣٣% يرونه " مقبول "، و٢٠% يرونه " جيد ".
- أما فيما يتعلق بمسألة اتصال الصحفيين بالإرهابيين، فقد قال ٦٧% من ضباط الشرطة أن الصحفيين التلفزيونيين يجب ألاّ يتصلوا مع الإرهابيين إلا

بموافقة رسمية. ويعتقد ٣٣% منهم أنه لا يجب على الصحفيين التلفزيونيين وفي أية ظروف كانت أن يتصلوا بالإرهابيين أثناء قيامهم بعملياتهم الإرهابية (Alexander,1978).

ثمة من يبالغ في تأثير الإعلام، وخاصة التلفزيون، على انتشار الإرهاب واستمراره إلى حد القول " لو لم تكن وسائل الإعلام هناك لتغطية العمليات الإرهابية، ولتوضح دوافع هذه العمليات وأهميتها السياسية والاجتماعية، لكان الإرهاب قد توقف عن الوجود (Nacos,2003,p:48). ويعيد هؤلاء إلى الأذهان رسم Robert Mankoff الكاريكاتيري الشهير، الذي يظهر صبياً يسأل والده: بابا... إذا سقطت شجرة في الغابة، ولم تكن هناك وسائل إعلام لتنقل الخبر، فهل تكون الشجرة قد سقطت فعلاً؟ ويضيفون، الشيء ذاته بالنسبة للإرهاب: إذا اختطف الإرهابيون أو قتلوا أناساً أبرياء، ولم تغطِ وسائل الإعلام أفعالهم، فهل تكون هذه الأحداث قد حصلت بالفعل؟. من الواضح أن هذا القول لا يصمد أمام حقيقة أن الإرهاب يُمَارَس منذ القدم، وقبل وجود وسائل الإعلام، وقبل اختراع التلفزيون. ولكننا، وكما لابد أن القارئ قد لاحظ، نحاول في هذا الكتاب تقديم عرض متوازن لمختلف وجهات النظر الجادة.

- **عدم مراعاة طبيعة الجمهور بالقدر المطلوب.** أوضح الخبير النفساني Sergie Tystsarev، أن الناس في البلدان المختلفة يكون لها ردود فعل مختلفة إزاء ما تشاهده على شاشة التلفزيون. ففي اليابان، على سبيل المثال، لا يبدو أن كثافة تقديم العنف على شاشة التلفزيون تترك أثراً على طبيعة- نفسية Psyche الشعب (مستوى العنف في اليابان منخفض جداً)، في حين يبدو أن الشعب الأمريكي حساس جداً ويصدق جميع ما يراه على التلفزيون (Alekseev,2004).

تغطية العمليات الإرهابية
المنهجية والضوابط

تختلف الأسس التي تبنى عليها ضوابط النشر عموماً، وذلك لاعتبارات مهنية وسياسية واجتماعية وقانونية وربما مزاجية أحياناً. ونرى أن الكثير من الثغرات الموجودة في ضوابط النشر يعود أساساً إلى النظرة الجزئية للعملية الإعلامية. ثمة من ينطلق من الاعتبارات القانونية الصرفة، ويتجاهل الاعتبارات الأخرى السياسية والاجتماعية والأخلاقية والإعلامية. وثمة من يقتصر على الأخذ بالاعتبارات المهنية الإعلامية متجاهلاً العوامل الأخرى. أدت هذه النظرة الجزئية إلى الابتعاد عن النظرة التكاملية الكلية للمسألة، الأمر الذي أربك بدوره تطبيق هذه الضوابط، وجعلها تبدو تعسفية أحياناً وزجرية، أو مثالية طوباوية غير قابلة للتطبيق أحياناً أخرى.

نقدِّم فيما يلي رؤية نحدِّد من خلالها مرجعية منهجية إعلامية متكاملة يمكن أن تشكِّل أساساً ننطلق منه ونبني عليه منظومة ضوابط إعلامية لتغطية العمليات الإرهابية والظاهرة الإرهابية. نعتقد أن هذه المرجعية عملية ومرنة، وتأخذ بعين الاعتبار الجوانب المختلفة من العملية الإعلامية، وهي في الوقت ذاته يمكن أن تتكامل مع الضوابط الأخرى القانونية والأخلاقية والاجتماعية المتعلقة بالنشر بعامة وبالعمليات الإرهابية بخاصة.

الأسس المرجعية

الأسس المقترحة لتحديد مرجعية للضوابط الإعلامية المطلوب الأخذ بها في التغطية الإعلامية للعمليات الإرهابية:

١- **موقف الناشر**: تشكّل المؤسسة الإعلامية أساساً وأولاً مشروعاً أيديولوجياً(طبعاً بالإضافة إلى كونها مشروعاً اقتصادياً)، يجسد أفكار وقيم ومصالح القوة (أو القوى) الاجتماعية أو الاقتصادية أو السياسية أو الدينية التي تملك هذه المؤسسة الإعلامية، وتحدِّد استراتيجية نشاطها الإعلامي، وسياستها التحريرية.

وهذا ما يفسِّر اختلاف الوسائل الإعلامية المتعددة في نظرتها إلى الأحداث والظواهر والتطورات في جميع المجالات ومنها المجال الإرهابي موضوع بحثنا. كما يفسِّر اختلاف المضامين الإعلامية للرسائل التي توجهها إلى الجمهور.

نرى أن موقف الناشر (مالك المؤسسة الإعلامية وصاحبها وموجهها) يشكّل العامل الحاسم والمحدِّد لموقف هذه الوسيلة الإعلامية من الظاهرة الإرهابية بعامة ومن العمليات الإرهابية بخاصة، ولشكل ومضمون التغطية التي تقدمها هذه الوسيلة للعمليات الإرهابية. نعتقد أن هذه الحقيقة تشكل واحداً من الأسس المرجعية لتحديد ضوابط النشر.

٢- القوة الذاتية والطبيعة الخاصة للحدث الإرهابي:

يتمتع الحدث الإرهابي بقدرٍ كبير من الإثارة والجاذبية والتشويق. يمثّل الحدث الإرهابي، من منظور إعلامي، دراما كاملة، تتضمن جميع العناصر الضرورية: المسرح- المكان، والزمان، والحبكة، والصراع، والشخصيات، والتطور، والترقب...الخ.

كما أن الحدث الأمني، أيضاً من منظور إعلامي، هو حـدث إعلامـي بامتياز نظراً إلى أنه يمتلك جميع القيم الإخبارية التي يبحث عنها الـصحفي في الأحداث ويسعى إلى تضمينها في تغطيته الإخبارية. يمتلك الحـدث الإرهـابي القيم الإخبارية التالية: الجِدة والراهنية والآنية، والصراع، والشخصيات الفاعلة، والآثار الضخمة والبعيدة والمتنوعة سياسياً وبشرياً ومادياً، والاهتمام من جانب شرائح واسعة من الجمهور، والغنى بالمعلومات والوقائع، والتنوع في المـصادر، والتجديد في التطورات المفاجئة والمتلاحقة، والتنوع في عناصر الإبداع الصحفي الممكنة- النصوص والصور والخرائط والمخططات.

تشكّل هذه الخصائص والسمات مـصدر جـذب لوسـائل الإعـلام الجماهيري، وخاصة الإخبارية منها، التي يهمها تغطية الأحداث المثيرة والجذابة والتي تهتم بها جماهير واسعة.

٣- الشخصية الصحفية للوسيلة الإعلامية:

تمتلك كل وسيلة إعلامية شخصيتها الفكريـة المجـسدة في سياسـتها التحريرية التي تحدِّد مضامين النتاج الإعلامي الذي تقدمه، كما تمتلك شخصية صحفية مجسدة في نوعيتها (هل هي صحيفة نوعية، أم جماهيرية؟ جِديـة أم خفيفة، خدمة عامة أم تجارية؟ وهل هي محطة تلفزيونية عامـة أم إخباريـة أم متخصصة؟ وهل هي صحيفة تستخدم أساليب تحرير وإخراج هادئة ومتزنـة ورصينة، أم صحيفة تستخدم أساليب تحرير وإخراج مثيرة وصاخبة وسطحية؟

تشكّل الشخصية الصحفية للوسيلة الإعلامية عاملاً هاماً يمـارس تـأثيره الفاعل في رؤيتها للأحداث وفي أساليب تغطيتها لهذه الأحداث والطرق الـتي تستخدمها في إخراج هذه الأحداث ومعالجتها وعرضها وتقديمها.

٤- الهدف المتوخي تحقيقه من التغطية:

كما أنه لا توجد وسيلة إعلامية محايدة، بالمعنى المجرد والمطلق للكلمة، إزاء الأحداث والظواهر والتطورات في مختلف المجالات، كذلك فإنه لا يمكن أن توجد مادة إعلامية أو تغطية إعلامية مجردة أو محايدة بالمطلق لحدث أو ظاهرة أو تطور. النشاط الإعلامي فعالية غائية. إننا نتصل لنؤثر، ولنؤثر باتجاه معين، ومن أجل تحقيق هدف معين.ومن المؤكد أن الهدف الذي تسعى الوسيلة الإعلامية إلى تحقيقه من خلال معالجة العمليات الإرهابية وتغطيتها يشكّل واحداً من العوامل الهامة التي تتحكم في طبيعة التغطية ونوعيتها ومضامينها.

٤-الجمهور المستهدف:

لا تعمل المؤسسة الإعلامية في فراغ، ولا يتوجه الخطاب الإعلامي إلى المطلق، بل إن النشاط الإعلامي عبارة عن فعالية ملموسة ومشخَّصة وعيانية. بمعنى أنها تُمَارَس في مجتمع معين، وتجري في مكان معين، وتخاطب جمهوراً معيناً، وتسعى لتحقيق هدف معين.

ما هي طبيعة الجمهور الذي تتوجه إليه الوسيلة الإعلامية عند تغطيتها للأعمال الإرهابية (جمهور عام وواسع ومتنوع، أم جمهور خاص ومحدَّد؟ جمهور داخلي أم محلي أم خارجي؟ جمهور الإرهابيين أنفسهم أم جمهور الأجهزة الأمنية؟). ما هو موقف هذا الجمهور المخاطب من الظاهرة الإرهابية؟ وما مدى إطلاع الجمهور ومعرفته بالظاهرة الإرهابية؟ وما هو مزاج الجمهور، وما هي همومه وانشغالاته ومصادر قلقه إزاء الظاهرة الإرهابية؟ تشكّل الإجابة عن هذه الأسئلة واحداً من الأسس الهامة التي تقوم عليها التغطية الإعلامية للعمليات الإرهابية.

٥- السياق العام الذي تحدث فيه العمليات الإرهابية:

ليست العمليات الإرهابية أحداثاً منعزلة عن السياقات العامة الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والثقافية التي أنتجتها، والتي ربما ستستمر في إعادة إنتاجها إذا لم تتم معالجتها. تشكّل الظاهرة الإرهابية كينونة، تؤهلها لامتلاك ماضٍ وحاضر ومستقبَل. وتجعل العلمية الإرهابية الواحدة عبارة عن حلقة في سلسلة، ونقطة في سياق مستمر. وبالتالي، تتعذر التغطية الإعلامية للعمليات الإرهابية بمعزل عن السياق العام الذي تحدث فيه. ويجب أن يؤخذ هذا السياق بعين الاعتبار، وأن يشكّل الخلفية التي تتم التغطية على أساها وانطلاقاً منها، وذلك نظراً لأن هذا السياق يشكّل أساساً تقوم عليه التغطية.

ضوابط النشر الإعلامية

المتعلقة بتغطية الإرهاب والعمليات الإرهابية

تشكّل الأسس الستة السابقة مجتمعة مرجعية متكاملة للتغطية الإعلامية للعمليات الإرهابية. ونؤكد على حقيقة أن التغطية الإعلامية الناجحة والقادرة على تحقيق أهدافها هي تلك التي تحقّق أقصى قدرٍ من الانسجام والتكامل بين هذه الأسس الستة، وأن تجد الحل الإعلامي المناسب لأية تناقضات يمكن أن تبرز فيما بينها، وأن تستطيع أن تطبق هذه الأسس بشكل،مبدع وخلاّق، وبعد تكييفها مع خصوصية العملية وخصوصية الوسيلة الإعلامية.

نرى أن هذه الأسس يمكن أن تشكّل أساساً ومنطلقاً لتحديد الضوابط الإعلامية لتغطية العلميات الإرهابية.

تلك الضوابط التي يمكن تحديدها على النحو التالي:

١- اعتبار سياسة الناشر وموقفه موجهاً ودليلاً للتغطية

تنطلق التغطية الإعلامية الناجحة للعمليات الإرهابية من موقف الناشر من هذه العمليات. يجب أن يكون واضحاً أن الصحفي الفرد أو المؤسسة الإعلامية لا يحدِّدان سياسة التغطية، بل هما يخدمان وينفذان سياسة وضعها الناشر. ولذلك يجب على الصحفي الفرد وعلى المؤسسة الإعلامية ككل أن يفهما هذه السياسة، ويستوعباها، ويلتزما بها.

يشكِّل الالتزام بهذه السياسة واحداً من الضوابط الهامة التي لا يجوز خرقها في التغطية التي يقدمها الصحفي أو الوسيلة الإعلامية ككل للعمليات الإرهابية. ولكن ما يجب أن يكون مفهوماً وواضحاً هنا هو حقيقة أن موقف الناشر يجب أن يُفهَم وأن يُمارَس على أنه موجه ومرشد ودليل للصحفي الفرد وللوسيلة ككل في تغطية العمليات الإرهابية. يساعد هذا الموجِّه الصحفي والوسيلة على تقديم تغطية تفاعلية إبداعية تأخذ بعين الاعتبار الأسس الستة السابق ذكرها لمرجعية التغطية، وتحترم خصوصية كل أساس من هذه الأسس، لكنها تعرف وبشكل مبدع أن توِّلفَ بينها، لتقدم تغطية شاملة وعميقة ومتوازنة ومقنعة، قادرة على أن تصل، وأن تؤثر.

ولذلك يجب ألاَّ يُفْهِم الالتزام بسياسة الناشر، كما يجب ألاَّ يُمارس بمنظور إداري تعسفي، بغرض تطبيقه آلياً وحرفياً ودوغماتياً، يقتل التفاعل والإبداع الشرطان الضروريان لتقديم تغطية إعلامية متوازنة ومقنِعة، ويدفع باتجاه تقديم تغطية تقوم على أساس واحد وهو موقف الناشر، وتتجاهل الأسس الأخرى الهامة لمرجعية التغطية. وبالتالي تقدم خطاباً إعلامياً أحادي البُعْد، غريباً

عن الحدث وعن الواقع وعن الجمهور، خشبي اللغة، وغير متوازن، وغير مقنع، وغير قادر، بالتالي، على أن يصل ويؤثر.

نعتقد أن فهم تطبيق سياسة الناشر بهذا المعنى الضيق (الـذي يـسود في الكثير من وسائل الإعلام الرسمية العربية) يشكّل خرقاً فاضحاً لضوابط النشر، لأنه يتناقض مع الواقع، ولأنه يعود بالضرر على هذه السياسة التي يدعي أنـه يخدمها، لأنه لن يجد من يستقبله، وبالتالي لن يستطيع أن يحقّق أهدافه. ويقـدِّم بالتالي خدمة مجانية للإعلام المضاد والمنحرف وللإعلام الذي ينشره الإرهابيون، وذلك لأنه يدفع الجماهير للبحث عن مصادر أخرى سـيجدونها في الإعـلام الآخر.

٢-الفهم العميق والشامل لخصوصية الحدث:

يمتلك الحدث الإرهابي، كما أشرنا سابقاً، جميع الخصائص الـتي تجعلـه الحدث المثالي الذي تبحث عنه مختلف وسائل الإعلام. فهو حدث تتوفر فيـه جميع الشروط التي تجعله استثنائياً وعلى قدرٍ كبير من الأهمية الإعلامية.

الحدث الإرهابي مثير بطبعه، وذلك لأنه مفـاجئ وصـاعق ودرامـي. والحدث الإرهابي جذاب بطبيعته لأنه ضخم وآثاره هامة ودائرة المعنـيين بـه واسعة. والحدث الإرهابي حدث لا يسعى إلى الجمهور ولا إلى وسائل الإعلام، بل إن طبيعته المثيرة والجذابة تجعله في مركـز اهتمـام الجمهـور والوسـائل الإعلامية، وتدفعهما إلى البحث عنه ومتابعته بأية وسيلة.

هذه حقائق موضوعية يجب أن نعترف بها ونحن نتحدث عـن ضـوابط النشر المتعلقة بتغطية العمليات الإرهابية. من العبث تجاهـل الطبيعـة المـثيرة والجذابة للحدث الإرهابي، ومن العبث محاولة التعامل مع الحـدث الإرهـابي

بطريقة تتناقض مع طبيعته ولا تعترف بها أو لا تنطلق منها. ولـيس الحـدث الإرهابي هو الذي يمتلك خصوصية متميزة، بل أن لجميع الأحداث خصوصياتها التي تشكّل جوهرها وحقيقتها. هل يمكن معالجة الحدث الرياضي بمعزل عـن خصوصيته وطبيعته؟ وهل يمكن تغطية الحدث الاقتصادي أو الثقافي أو الـديني العلمي بشكل يتناقض مع خصوصياتها وطبائعها؟

إذن، إننا نرى أن احترام خصوصية الحدث الإرهابي المتمثلة أساسـاً في طابعه الجذاب والمثير يشكّل واحداً من الضوابط التي يجب احترامها وأخـذها بعين الاعتبار في التغطية الإعلامية للعمليات الإرهابية. ولا نرى في ذلـك أي خوف أو قلق. بل نرى فيه شرطاً ضرورياً لتقديم تغطية فاعلة ومقنعة وقـادرة على أن تصل وتؤثر.

أين يكمن الخطر إذن؟

نؤكد أن المصدر الوحيد للخطر يتمثل في تدني مستوى الأداء الصحفي. هذا التدني الذي يمكن أن يكون نتيجة لعدة أسباب أبرزها:

- عجز الصحفي عن الفهم الشامل والعميق لمعطيات الحـدث الإرهابي ولمغزاه ودلالاته.
- افتقار الصحفي إلى المهارات الصحفية (المهنية والحرفية) التي تمكّنه من معالجة الحدث وتغطيته وفق فن صحفي عـصري ومتطـور، يقوم على أسس وقوانين ونظريات علم الإعلام.
- فشل الصحفي في التفاعل مع الحدث الأمني والتعامل معـه إبداعياً في ضوء خصوصيته، وخصوصية الوسيلة الـتي يعمـل بهـا،

وخصوصية الجمهور الذي يخاطبه، وكذلك خصوصية الهدف الذي يسعى إلى تحقيقه.

ماذا تكون النتيجة؟

يخسر الصحفي رهانه لصالح الحدث. ويسيطر الحدث الإرهابي على الصحفي ويتحكم به بدلاً من أن يسيطر الصحفي على الحدث ويتحكم به. وتُفتح، بالتالي، الأبواب واسعة أمام خصائص الحدث الإرهابي المتمثلة في الإثارة والجاذبية لأن تصبح قيمة مقصودة بحد ذاتها، وبالتالي، توجد فرصة مناسبة لتلعب اللعبة لصالحها.

يترتب على ذلك خطران داهمان:

الخطر الأول: الانزلاق نحو نزعة مثيرة مدمرة متمركزة حول ذاتها ومقصودة لذاتها.

والخطر الثاني: توظيف التغطية لصالح الإرهابيين وخدمة " قضيتهم " ونشر أفكارهم.

ولهذا نرى أن أحد أهم ضوابط النشر المتعلقة بتغطية العمليات الإرهابية هو الأداء الصحفي الرفيع المستوى على المستويين: الفكري (فهم العملية واستيعاب مغزاها ودلالتها) والإعلامي (امتلاك المهارات الصحفي المتقدمة لمعالجة العملية). هذا الأداء يستطيع أن ينطلق من خاصيتي العملية الإرهابية؛ الإثارة والجاذبية، ويتمكن من استخدامهما وتوظيفهما باتجاه امتلاك التغطية القوة والاندفاع اللازمين لتحقيق الهدف من التغطية. عندئذ تصبح الإثارة كما تصبح الجاذبية مصدري قوة إيجابية لزيادة فعالية التغطية وتعزيز مقدرتها على الوصول والتأثير، وبالتالي على الإسهام الفاعل في مكافحة الإرهاب.

٣- تغطية العمليات الإرهابية بما يتفق مع الشخصية الصحفية للوسيلة الإعلامية وينسجم معها:

نرى أن من ضوابط النشر الهامة لتغطية العمليات الإرهابية هو تكييف هذه التغطية وتقديمها بما يتناسب مع الشخصية الصحفية للوسيلة الإعلامية ومع معاييرها المهنية. ويتضمن ذلك: نوعية المعلومات والوقائع المنتقاة، وتحديد منظور التغطية، واختيار أسلوب المعالجة، وتحديد النوع الصحفي، وانتقاء العناوين المناسبة، واختيار المادة المصورة المناسبة، وتحديد طرق الإخراج والتقديم المناسبة، وحتى تحديد الألوان المناسبة.

٤- تحقيق الهدف المطلوب تحقيقه من التغطية:

يشكّل تحقيق الهدف من التغطية الإعلامية للعمليات الإرهابية واحداً من الضوابط الأساسية لهذه التغطية. ويتطلب تحقيق هذا الضابط:

- فهم العلاقة الخاصة التي تربط الإرهابيين بالإعلام، على النحو الذي أوضحناه سابقاً، ووضع خطة معاكسة تنطلق من خصوصية هذه العلاقة، وتبنى عليها، وتضمن شلّها، وتفويت أية فرصة على الإرهابيين للاستفادة من الإعلام. بل على العكس تكون هذه الخطة قادرة على توظيف التغطية الإعلامية للعمليات الإرهابية لفضح الإرهاب والإرهابيين أمام الرأي العام المحلي والعالمي، ولمكافحة الإرهاب وكشف مخططاته وعزله عن الجماهير.

- تغطية العمليات الإرهابية في ضوء الأهداف التي يسعى الإرهابيون إلى تحقيقها من خلال الإعلام، والتي تعرضنا لها سابقاً. بحيث

تكون المهمة المركزية للتغطية كشف الهدف الحقيقي، وربما الهدف غير الظاهر وغير المعلن، للعملية الإرهابية، وتغطية العملية بطريقة تضمن عدم تحقيق هذا الهدف الذي يسعى الإرهابيون إلى تحقيقه من العملية. لذلك نرى ضرورة وأهمية أن يشكّل كل هدف من هذه الأهداف واحداً من ضوابط النشر الأساسية عند تغطية العمليات الإرهابية.

وبشكل أكثر تحديداً نؤكد أن من أهم ضوابط النشر في هذا المجال:

- عدم تقديم الإرهابيين وكأنهم أصحاب قضية، وإظهارهم بالتالي وكأنهم مجرمون سياسيون عاديون.

- عدم تقديم تغطية للعمليات الإرهابية من شأنها تحويل الإعلام إلى منبر لنشر آراء الإرهابيين ومبادئهم ووجهات نظرهم ودعايتهم.

- عدم تقديم تغطية للعمليات الإرهابية من شأنها أن تُعطي انطباعاً بضعف السلطة وارتباكها وعجزها عن مواجهة الإرهابيين.

- الحرص الشديد على عدم تغطية العمليات الإرهابية بطريقة توحي بعجز هذه الأجهزة وفشلها في مكافحة الإرهابيين.

- والحرص الشديد أيضاً على عدم تقديم تغطية من شأنها أن تؤدي تراكمياً إلى أن يفقد الجمهور ثقته بالنظام وبالأجهزة الأمنية، وربما يندفع باتجاه التعاطف مع الإرهابيين، وتقديم الدعم لهم.

- ضرورة وأهمية تقديم تغطية إعلامية للإجراءات الأمنية التي اضطرت السلطات لاتخاذها لمكافحة الإرهاب والإرهابيين، وأن تقنع الجماهير بها حتى لا تعتبرها قيداً على حريتها، وبالتالي، أن تفوِّت الفرصة على الإرهابيين لتوظيفها لصالحهم.

٥- ضرورة أن يعي الإعلاميون الأهداف التي يسعى الإرهـــابيون إلى تحقيقها من خلال وسائل الإعلام الجماهيري، وأهمية أن يدركوا في ضوء ذلك مدى حاجة الإرهابيين إلى هذه الوسائل. بمعنى أن يدرك الإعلاميون أن هنـــاك مشكلة. ومن المهم أيضاً أن يدرك الإعلاميون أنهم جزء مـــن المـــشكلة، وأن يشعروا بالتالي بضخامة المسئولية الملقاة على عاتقهم، وأن يلتزمـــوا بـــضوابط النشر. ما أن من المهم الانطلاق من حقيقة أن الإرهاب هو وسيلة وليس غاية بحد ذاته. وبعبارة أخرى، إن للإرهاب أهدافاً وهو يقوم بدور الوسيلة لتحقيق هذه الأهداف." وما لم نفكر مثلما يفكر الإرهابيون، فإننا قد نركـــز علـــى الاهتمام بالوسائل دون الغايات، خاصة وأن أهداف الإرهابيين كثيراً ما تكون غير واضحة تماماً، ولا تدل عليها الأحداث دلالة مباشرة... وإذا كانت تلـــك هي أهداف الإرهاب فإن التقدم الهائل في وسائل الإعلام قد حقّقَ لهذه الخاصية في الإرهاب فرصة غير مسبوقة في التاريخ(عز الدين، ١٩٨٧، ص١٨).

٦- يجب أن تجد كل وسيلة إعلامية جوابها الخاص عن الحوار الـــدائر حول نشر العمليات الإرهابية في وسائل الإعلام الجماهيري، أو حظر نشرها. يدور الحوار بين ثلاثة مواقف:

الموقف الأول: يرى أن السبيل الوحيد لمنع الإرهابيين من تحقيق أهدافهم والوصول إلى الجماهير الواسعة هو محاصرتهم إعلامياً، أي إلى الحظر الكامـــل والشامل على نشر العمليات الإرهابية.

الموقف الثاني: يؤكد أن حظر النشر بالإضافة إلى أنه إجراء غير واقعـــي وغير ممكن، فإنه سوف يخدم الإرهابيين. وذلك لأنهم يرون أن منع النشر يعتبر

شكلاً من أشكال الرقابة سوف يؤدي إلى أن تفقد الوسائل الإعلامية مصداقيتها، كما أن الحظر سوف يحرم صاحب القرار من مصدر للمعلومات والتحليل والتقييم، وسوف يدفع الجماهير للبحث عن مصادر أخرى، ويعطي انطباعاً بقوة الإرهابيين، وسوف يجعل الاتصال الشفهي بكل ما فيه من قصور وسلبيات مصدراً رئيسياً للإعلام، كما أن الحظر سوف يفتح الباب واسعاً للشائعات والأقاويل. لذلك يطالب دعاة هذا الموقف بإباحة النشر.

الموقف الثالث: يدعو إلى النشر، ولكن ضمن ضوابط معينة، يتم الاتفاق عليها، وتضمن عدم استغلال الإرهابيين لوسائل الإعلام من أجل تحقيق أهدافهم.

٧- صناعة الإعلام المضاد:

يجب ألاّ يكتفي الإعلام باتخاذ موقف سلبي إزاء العمليات الإرهابية، وأن يقتصر دوره عل تقديم تغطية لها تكون مجرد رد فعل لما يقوم به الإرهابيون. بل يجب أن يكون قادراً في مرحلة ما من تواصل العمليات الإرهابية، على أن يأخذ زمام المبادرة، وأن يقدِّم " الإعلام المضاد "، الذي يقوم على أساس تقديم المعلومات والحقائق الصحيحة والدقيقة، والفهم الموضوعي للظاهرة الإرهابية وأسبابها ونتائجها وأهدافها. ومن الواضح أن هذا يحتاج إلى كفاءة مهنية عالية، كما يحتاج أيضاً إلى تعاون الأجهزة الرسمية والأمنية مع وسائل الإعلام إلى درجة تمكّن الإعلاميين من صناعة إعلام مضاد لإعلام الإرهابيين وللإعلام المنحرف أو المنحاز أو المعادي. وتتم عملية " تصنيع الإعلام المضاد " عن طريق تدفق مستر وواعٍ للمعلومات والحقائق عن الظاهرة الإرهابية وأحداثها وما

يستجد بشأنها في الوقت المناسب، بما يوضح الصورة أمام الجميع، وبما لا يترك فراغاً يستثمره الآخر على نحو سيء.(مراد، ١٩٩٨)

٨- إدراك الجانب الذي لا يريد الإرهابيون تركيز الأضواء عليه ونشره من العمليات الإرهابية التي يقومون بها. إن الجانب الذي يريد الإرهابيين التعتيم عليه في عملياتهم وحجبه عن وسائل الإعلام هو الجانب اللاإنساني المتمثل في شراسة ووحشية عملياتهم والخسائر البشرية والمادية التي تسببها، والمعاناة والمآسي الإنسانية التي تسببها هذه العمليات لأناس أبرياء. ولذلك نرى أن من ضوابط التغطية الإعلامية للعمليات الإرهابية هو التركيز على هذا الجانب اللاإنساني وإبرازه بهدف الكشف عن الوجه الحقيقي للإرهابيين من خلال الوقائع والمعلومات الدقيقة والصحيحة.

٩- تحقيق الرفض الإيجابي للجمهور:

يراهن الإرهابيون على كسب الجمهور إلى جانبهم. ولذلك فإننا نرى أن من ضوابط النشر الهامة إزاء تغطية العمليات الإرهابية هو تحقيق ما يمكن تسميته بالرفض الإيجابي للجمهور للإرهاب وللعمليات الإرهابية. بمعنى أنه يجب ألاَّ يهدف الإعلام من خلال التغطية التي يقدمها للعمليات الإرهابية إلى مجرد تحقيق الرفض السلبي للإرهاب والمتمثل في عدم قبول الجماهير للإرهاب وشجبها له، وإنما يجب أن يسعى الإعلام إلى تحقيق الرفض الإيجابي للإرهاب والمتمثل في مشاركة الجماهير الفعَّالة في مكافحة الإرهاب، وتقبُّلها لما تتخذه السلطات من إجراءات وتدابير وقائية قد يبدو وكأنها تحدُّ أحياناً من الحريات

العامة. يجب أن هدف التغطية الإعلامية للعمليات الإرهابية إلى نشر ثقافة مواجهة من شأنها أن تُبْعِد الجماهير عن السلبية، وأن تدفعها إلى التعامل إيجابياً مع جهود مكافحة الإرهاب والإرهابيين (عز الدين ١٩٨٧).

١٠- عدم إظهار أي تناقض بين مجابهة العلميات الإرهابية الراهنة وبين ما يمكن أن يكون الأسباب العميقة التي أنتجت الظاهرة الإرهابية. ونرى ضرورة الحرص على عدم التشكيك بجدوى المجابهة الأمنية والإعلامية للعمليات الإرهابية الراهنة، نظراً لعدم وجود أي تعارض بين المواجهة القمعية للعمليات الإرهابية الآنية وبين التحليل الشامل والعميق لجذور الظاهرة الإرهابية وأسباها ودوافعها والخطط الطويلة الأمد المطلوب وضعها لاجتثاث جذورها، وذلك نظراً لأن العملية الإرهابية عبارة عن حدث صاعق ومفاجئ ومشحون بالمعاني والدلالات، وتشكّل مواجهته جانباً أساسياً من جوانب مواجهة الظاهرة الإرهابية. في حين أن الجانب الآخر، وقد يكون الأهم، وهو الجانب الوقائي المتعلق بما قد يوجد من أسباب أيديولوجية وسياسية واقتصادية واجتماعية ودينية...الخ، يمكن أن تفسِّر الظاهرة، فهي بحاجة إلى وقت قد يطول.

١١- ثمة ظاهرة عالمية أشار إليها كثير من الباحثين وهي **بروز خطر تآكل الحريات الإعلامية بذريعة محاربة الإرهاب.** الأمر الذي يعني عدم ممارسة الكثير من الوسائل الإعلامية حريتها المسئولة طوعاً لاعتبارات ذاتية بها، أو كراهية بفعل إجراءات مشدَّدة فرضتها السلطات المختصة. نؤكد أن المواجهة

الإعلامية الناجعة للإرهاب لا تتناقض مع حرية الإعلام المسئول. ولذلك نرى أن الالتزام بالحرية المسئولة يشكّل واحداً من الضوابط الهامة للتغطية الإعلامية الفاعلة والمؤثرة للعمليات الإرهابية. إن أقصى ما يحلم به الإرهابيون هو وجود فجوة بين الأجهزة الإعلامية من جهة وبين الأجهزة الرسمية والأجهزة الأمنية من جهة أخرى، واستغلال هذه الفجوة لصالحهم.

١٢- إن أحد أهم ضوابط النشر المتعلقة بتغطية العمليات الإرهابية يتمثّل في **خطر أن تتحول هذه التغطية إلى نوع من العلاقات العامة أو الدعاية للنظام ككل وللأجهزة الأمنية** المشتبكة مباشرة مع الإرهابيين. نؤكد أن الإعلام فعالية فكرية إبداعية، تهدف تحقيق الوعي العميق المبني على أساس الاقتناع الذي يقوم على أساس المعلومات الدقيقة والوقائع الصحيحة والتحليل السليم والتفسير المنطقي. وهو بذلك يختلف جذرياً عن الدعاية التي تستخدم أساليب ومفاهيم مختلفة من أجل تحقيق أهداف مختلفة. كما يختلف جذرياً عن العلاقات العامة التي يتم توظيفها لتحقيق أهداف مختلفة بأساليب وآليات مختلفة. إن تحويل التغطية الإعلامية للعمليات الإرهابية إلى نوع من الدعاية أو إلى ضرب من العلاقات العامة من شأنه أن يصيب هذه التغطية بالعقم والشلل، ويحولها إلى ضجيج لفظي مشحون بالشعارات الطنانة والكلمات البراقة والتعابير الإنشائية، ولكنه يفتقر إلى المضامين التي تمكّنه من أن يكون فاعلاً ومؤثّراً. وهذا أقصى ما يريده الإرهابيون ويطمحون إليه، لأنه يؤدي إلى وجود فراغ إعلامي سوف يتقدم إعلامهم أو أي إعلام معادي أو منحرف لملئه.

١٣- المعالجة الملموسة للواقع الملموس:

تشكّل المعالجة الملموسة للعملية الإرهابية أحد ضوابط النشر الهامة الذي يُحَصِّنُ هذه التغطية ويمنعها من الانزلاق نحو خطرين قاتلين:

الخطر الأول: المبالغة في تقديم العمليات الإرهابية وعرضها والتهويل في حجمها وآثارها ونتائجها وأخطارها أو تحميل الإرهاب مسئولية جميع جوانب النقص والخلل في المجالات المختلفة، سواء أتم ذلك بحسن نية هدفه تعبئة الجماهير ضدها، أو بسوء نية بهدف إظهار قوة الإرهابيين. فإنه في كلا الحالتين يقدِّم تغطية غير واقعية وغير ملموسة وبالتالي غير منطقية وغير مقنعة، وسوف يكون من شأنها أن تعطي صورة غير واقعية وزائفة قد تؤدي إلى انتشار الهلع والذعر وإلى تحييد شرائح واسعة من الجمهور وإلى إرباك الأجهزة الأمنية، وإلى تحويل الخطر الإرهابي إلى شماعة يتم تعليق جميع الأخطاء الحاصلة عليها.

الخطر الثاني: يتمثّل في تقديم تغطية إعلامية تقلّل من شأن العمليات الإرهابية وتهوّن من شأنها، وتبالغ في الوقت نفسه في إظهار مقدرة النظام ككل والأجهزة الأمنية على نحو خاص على مجابهة الإرهاب والقضاء العاجل على الظاهرة الأمنية. نرى أن هذه تغطية تتناقض مع حقائق الواقع الملموس، وتؤدي إلى نتائج لاحقة مدمِّرة وذلك سواء تمت بحسن نية وبهدف طمأنة النظام ورفع

الروح المعنوية للأجهزة الأمنية ونشر الطمأنينة في صفوف الجماهير الواسعة، أو بسوء تقدير ناجم عن عدم فهم الدلالة الحقيقة للعملية الإرهابية والأبعاد الحقيقة للظاهرة الأمنية.

نرى ضرورة وأهمية تقديم تغطية ملموسة وواقعية وموضوعية وشفافة، تبتعد عن مزلقي التهويل والتهوين، وتسعى لتقديم العملية الواحدة في حجمها، وإلى تقديم السياق العام لها، وإلى إيضاح الخطر الحقيقي الذي تمثله، وإلى تحديد الجهود المضنية المطلوبة والمتطلبات والمستلزمات الضرورية لمواجهة فاعلة مؤهلة لإلحاق الهزيمة بالإرهاب والإرهابيين. ولذلك نؤكد على ضرورة أن تكون التغطية الإعلامية متوازنة، وأن تتمتع بقدر كبير من المصداقية، وذلك حتى تكون فاعلة ومقنعة ومؤثرة، تستطيع أن تسهم في الجهد العام والتكاملي في مكافحة الإرهاب.

التغطية الإعلامية للعمليات الإرهابية في الإعلام العربي

تتميز منطقة الشرق الأوسط عموماً بأنها أكثر مناطق العالم شيوعاً للإرهاب فيها. إذ يوجد في هذه المنطقة مختلف أنواع المنظمات المعروفة للإرهاب السياسي والديني.

وبالرغم من اختلاف التيارات الإرهابية الموجودة في الدول العربية فإنها تشترك في **أربعة محاور رئيسية** (الشيباني،٢٠٠٥) هي:

١- **النظرة الإقصائية** إزاء المختلف الداخلي والخارجي، ورفض هذا الآخر بما في ذلك رفض الحركات والتيارات الإسلامية الأخرى المتطرفة.

٢- **فكرة الحاكمية** التي تقوم على أساس إعادة الدين (كما يفهمونه) إلى المجال العمومي والخضوع لأحكامه.

٣- **النزعة الماضوية** المعادية للحداثة، والتي تعكس اغتراب الفكر الإرهابي عن لحظته التاريخية وعجزه عن فهم النص الديني في علاقته بالاجتماعي المتحرك والتاريخي المتغير (الشيباني،١٤٢٦)، واعتماده على أسطرة الماضي والتماهي المستحيل معه، والتفكير في الماضي أكثر من التفكير في الحاضر والمستقبل، والاهتمام بالموت أكثر من الاهتمام بالحياة. الأمر الذي أدى إلى نشر ثقافة ولّدت البغض والكراهية والإرهاب.

٤- **الفكر الشمولي المنغلق**، والجمود الفكري الذي أدى إلى الاغتراب عن الواقع وإلى تكفير الدولة والمجتمع، وإلى العطالة الفكرية التي لا تنتج سوى ثقافة الموت.

إن ارتباط الإرهاب بالدين سبب هام لزيادة حدته وشراسته، وذلك نظراً لأن الإرهابي الذي يستغل الدين، يتصور أنه يناضل من أجل هدف مقدس، ويتحول الإرهاب،بالتالي، إلى واجب مقدس،وبالتدريج يؤدي هذا إلى إضعاف القيود على مهمة القتل الجماعي.(Bruce,1995)

يمر الإرهاب المرتبط بالتطرف الديني بعدة مراحل أبرزها:

١-تجسيد المعاناة التي يلقاها أفراد المجتمع في حياتهم والتركيز على المشكلات التي يعانون منها.

٢- سوء فهم مبادئ الشريعة الإسلامية وجوهر الإسلام مع الالتزام بفكر التنظيم .

٣-الاتجاه نحو التشدد مع النفس ومع الآخرين. إدانة الآخر، والتحول إلى مواقف عداء ثابتة ضد المجتمع ومؤسساته الرسمية وحكامه.

٤-التعصب الشديد لفكر الجماعة، ورض الحوار الموضوعي. وهذا اتجاه نفسي يصيب الفرد.ويجعله يؤمن بسلامة فكره وحسب. وهو حاجز يعزل صاحبه عن التعامل السليم مع الحياة الاجتماعية والإقرار بالموضوعية والبعد عن التحيز.

٥-إمكانية اللجوء إلى استخدام العنف المسلح لتطبيق المفهوم، الذي يعتقده عناصر التنظيم الإرهابي، واعتبار أن ذلك بمثابة جهاد في سبيل الله.(شفيق،١٩٩٨)

العمل العربي المشترك في مجال مكافحة الإرهاب

١- اهتم مجلس وزراء الداخلية العرب في العقدين الأخيرين بمواجهة الظاهرة الإرهابية، واستطاع التوصل إلى اتفاقيات ووثائق هامة في هذا المجال. ففي عام ١٩٩٨ وافق المجلس على " الاتفاقية العربية لمكافحة الإرهاب"، التي وضعت أسس التعاون العربي لمكافحة الإرهاب في المجالات المختلفة. وفيما يتعلق بدور الإعلام، نصت الاتفاقية على ما يلي: " تعزيز النشاط الإعلامي الأمني وتنسقه مع الأنشطة الإعلامية في كل دولة وفقاً لسياستها الإعلامية، وذلك لكشف أهداف الجماعات والتنظيمات الإرهابية وإحباط مخططاتها وبيان مدى خطورتها على الأمن والاستقرار".

٢- كما أقر مجلس وزراء الداخلية العرب عام ٢٠٠٠ الإستراتيجية العربية لمكافحة الإرهاب، التي دعت إلى: " العمل على وضع خطة إعلامية عربية نموذجية شاملة لتوعية المواطن العربي، وتحصينه بالقيم الروحية والأخلاقية والتربوية، وتزويد الدول الأعضاء بها للاستفادة منها في وضع الخطط المحلية.

٣- وشهدت الكثير من الدول العربي تجارب مختلفة في استخدام الإعلام لمكافحة الإرهاب، يمكن تحديد الخطوط المشتركة لهذا التجارب على النحو التالي:

٤- تعزيز التعاون بين الأجهزة الأمنية والإعلامية من خلال:

- عقد اللقاءات الدورية مع رجال الصحافة والإعلام لتحديد الإطار العام للساسة الإعلامية تجاه الأحداث الإرهابية، والتي تركز على تبصير الجماهير بخطورة الإرهاب والعنف على أمن واستقرار الوطن، وعرض الحقائق كاملة أمام

الرأي العام، وكشف حقيقة المتورطين في هذه القضايا، وإظهار دوافعهم الخفية وبواعث أفعالهم ونواياهم، وحشد طاقات المجتمع لمواجهة هذه الجرائم والقضاء عليها، وتعميق أهمية المشاركة من خلال تعزيز المفاهيم الدينية الصحيحة وترسيخ البعد الأخلاقي والقيمي.

- تشجيع منتجي الأفلام السينمائية على إنتاج الأفلام التي تهدف إلى الوقاية والتوعية من أخطار الإرهاب وآثاره المدمرة على كافة الأصعدة.

- التنسيق مع الشخصيات العامة للمشاركة في هذه الأنشطة الإعلامية، مع تشجيع أصحاب الفكر والرأي على الإسهام الغني في مواجهة جرائم الإرهاب من خلال رؤية هادفة للجمهور.

- تنظيم الحملات الإعلامية في الأماكن المستهدفة للفئات الأكثر تعرضاً لهذه الجرائم لتوعيتها بأساليب الوقاية منها وكيفية التعاون مع أجهزة الأمن.

٥- تكثيف البرامج والأنشطة الإعلامية التي تستهدف تقويض الظاهرة الإرهابية من خلال:

- التوسع في بث الرسائل الإعلامية الهادفة عبر القنوات الفضائية.

- نشر التحقيقات والبيانات الخاصة بتلك الجرائم في مختلف وسائل الإعلام، مع التركيز على إبراز دور وجهود الأجهزة الأمنية في إجهاض تلك الجرائم.

- استثمار وسائل الإعلام لتنمية الوعي لدى النشء مثل مجلات الأطفال.

- تخصيص جانب من الإصدارات اليومية والأسبوعية لتحليل الظواهر الإجرامية وإلقاء الضوء بصفة خاصة على جرائم الإرهاب والعنف وأساليب مواجهتها.

- إعداد برامج إعلامية هادفة قادرة على نشر الوعي الأمني لدى المواطنين لغرس القيم الأخلاقية والدينية في نفوسهم.

-تنظيم الندوات والمؤتمرات الإعلامية التي تهدف إلى توعية فئات الشعب المختلفة في أماكن التجمعات الخاصة مثل النوادي العامة الاجتماعية والمكتبات والمراكز البحثية والعلمية والمتخصصة ودعوة رجال الأمن والفكر والأدب والفن والقضاء للمشاركة بها للتوعية بمخاطر هذه الجرائم.

٦- دعم إمكانيات الأجهزة الإعلامية بوزارات الداخلية بما يمكنها من القيام بدورها في مجال الإعلام الأمني بالتنسيق مع أجهزة الإعلام المختلفة لمواجهة كافة الظواهر الإجرامية بصفة عامة والإرهاب والعنف بصفة خاصة.

٧- تعريف الكوادر الإعلامية الأمنية على أساليب التوعية للجمهور بالظاهرة الإرهابية وسبل مواجهتها.

٨- إعداد الدراسات والبحوث الإعلامية المتخصصة.

٩- استخدام التكنولوجيا الحديثة للتوعية الإعلامية بمخاطر الإرهاب، وذلك من خلال استخدام نظام الاستعلام الهاتفي عن الخدمات الأمنية المتعلقة بالجرائم الإرهابية. (وثائق المؤتمر العربي السادس لرؤساء أجهزة الإعلام الأمني. تونس، ١٧-١٧/٣/٢٠٠٥).

ومن اللافت أن ما يميز الإرهاب في الوطن العربي عموماً أنه، وبالرغم من هذا المضمون الفكري والثقافي، يتم التركيز على المواجهة الأمنية للحركات الإرهابية في الوقت الذي يتطلب فيه الموقف مجابهة الحركات الإرهابية على أرضية مرجعيتها الدينية والفكرية دون الابتعاد عن جبهة الإصلاح الاجتماعي والاقتصادي والسياسي. تتركز دراسة الإرهاب باعتباره ظاهرة واقعية تحدث في العالم الخارجي المحيط، ومن ثم تنصب الدراسة على محاولة إبراز الجوانب الاجتماعية-الاقتصادية والسياسية والثقافية التي تحيط بهذه الظاهرة، والتي تسهم، بشكل أو بآخر في حدوثها. ومن المطلوب أن تتجاوز البحوث الآن هذه الظاهرة الواقعية لتصل إلى الفكر النظري الذي يقف وراءها، والذي يعمل على تشكلها على النحو الذي تظهر فيه أمامنا.(عبد المحسن)

خصائص المعالجة الإعلامية

تتميز المعالجة الإعلامية العربية للعمليات الإرهابية بالخصائص التالية:

بالرغم من التطور الذي حصل فهم الظاهرة الإعلامية وفي سبل مواجهتها ودور الإعلام في هذه المواجهة، إلا أن الإعلام العربي، في الأعم والأغلب، لم يرتقِ بعد إلى هذا المستوى المطلوب من المعالجة الإعلامي للظاهرة الأمنية. ويمكن تحديد أهم سمات معالجة الإعلام العربي للظاهرة الإرهابية وللعمليات الإرهابية على النحو التالي:

١- **غلبة الطابع الإخباري** الصرف على التغطية التي تقدمها جميع وسائل الإعلام العربية للعمليات الإرهابية. ولذلك تشكل الأخبار والتقارير النوعين

الصحفيين الأكثر استخداماً في هذه التغطية. ومن المعروف أن الأخبار والتقارير تهتم أساساً بالجواب عن سؤال " ماذا حدث "، وتركّز اهتمامها على تعريف المتلقي بماذا حدث، وتقديم المعلومات المتوفرة والضرورية لذلك. وتستخدم التغطية الإخبارية أسلوب السرد. وهو أسلوب يتميز بقدر من الموضوعي والحيادية، وبالبقاء على سطح الأحداث دون التعمق في جوهرها.

٢- عدم الاهتمام الكافي بتقديم معالجة ذات طابع تحليلي وتفسيري واستقصائي للعمليات الإرهابية، وذلك لأسباب ذاتية وموضوعية. الأخبار والتقارير تقدم معلومات عن الحدث الإرهابي الراهن. ولكنها لا تقول الكثير عن جذور هذا الحدث وسياقه. الأنواع الصحفية الأخرى كالتعليق والمقال والتحقيق والحديث والدراسة والندوة، تهتم بتقديم قراءة معمقة للحدث الإرهابي، ووضعه ضمن السياق العام الذي أنتجه، وتتقصى أسبابه ودوافعه، وتبحث عن سبل مواجهته. وبهذا تمكّن المتلقي من فهم مغزى الحدث ومعناه، بدلاً من الاقتصار فقط على معرفة ماذا حدث.

٣- **تطابق التغطية الإعلامية العربية للعمليات الإرهابية مع الموقف الرسمي** للنظام السائد، وعدم امتلاك هذا الإعلام أي خصوصية في معالجة الظاهرة الإرهابية. ولذلك فإن أية مظاهر أو سياسات أو إجراءات سلبية يتبعها النظام في تعامله مع الظاهرة الإرهابية سوف تنعكس مباشرة على المعالجة الإعلامية للعمليات الإرهابية.

٤- **اعتماد وسائل الإعلام العربية** اعتماداً شبه كامل في تغطيتها للعمليات الإرهابية على **المصادر الرسمية**، وغالباً المصادر الأمنية. بحيث يصبح

الموقف الإعلامي من الحدث الإرهابي تابعاً تبعية مباشرة وكاملة للمصدر الأمني. المصدر الأمني هو الذي يقرر الإعلان عن العملية، وهو الذي يحدد منظور المعالجة وطبيعتها، وهو الذي يتحكم بالمعلومات. ونظراً لافتقار الكثير من أجهزة الأمن العربية للخبرة الإعلامية الضرورية للتعامل مع الحدث الإرهابي، وللمبالغة في إعطاء الطابع السري للكثير من المعلومات المتعلقة بالعملية والضرورية لفهمها، فإن أي ارتباك في تقدير الأجهزة الأمنية في تعاملها مع العملية الإرهابية ينعكس بشكل مباشر وسلبي على التغطية الإعلامية لهذه العلمية.

٥- **عدم فهم الإستراتيجية الإعلامية للإرهابيين**، الأمر الذي قد يؤدي أحياناً إلى تقديم معالجة إعلامية للعمليات الإرهابية تخدم، بهذا الشكل أو ذاك، الأهداف الإعلامية للإرهابيين.

٦- **عدم فهم مغزى العملية ودلالتها الرمزية** والتعامل معها كجريمة عادية ووفق منظور أمني صرف. إن الخبرة الأمنية والإعلامية في مجال الإرهاب توفر إمكانية إدراك مغزى الحدث الإرهابي ودلالته الرمزية فور وقوعه (المكان والزمان وطريقة التنفيذ ونوعية الأهداف...الخ)، كما توفر إمكانية وضع خطة مناسبة لمعالجة الحدث وفق منظور إعلامي يأخذ بعين الاعتبار المنظور الأمني، ولكنه لا يقتصر عليه.

٧- **الاعتماد** في معالجة العمليات الإرهابية والظاهرة الإرهابية عموماً بما فيهما من تعقيد وتشابك على **كادر صحفي عادي غير مؤهل وغير مختص وغير مدرَّب**، الأمر الذي يجعل من المتعذر إمكانية تقديم معالجة إعلامية ترقي

إلى مستوى الحدث وتستجيب لمتطلباته، وتشبع الحاجات الإعلامية لجمهور مهتم يرتفع باستمرار مستواه التعليمي والثقافي، وتزداد خبرته الاتصالية.

٨- **عدم التعاون بشكل كافٍ مع الخبراء والمختصين في معالجة الظاهرة** الإرهابية. الظاهرة الإرهابية، كما هو معروف ظاهرة معقدة وتعود في أساسها على أسباب سياسية واقتصادية واجتماعية وعقائدية محلية وعالمية. إن ظاهرة بهذه الخطورة يجب عدم ترك أمر معالجتها فقط لكادر صحفي عادي. ولا توجد وسيلة إعلام محترمة في العالم قادرة على معالجة جميع الظواهر بالاعتماد على كادرها الصحفي الخاص. ولذلك نرى ضرورة أن يزداد اعتماد وسائل الإعلام العربية في تغطيتها للعمليات الإرهابية وللظاهرة الإرهابية عموماً على خبراء ومختصين في مجالات متعددة (أمنية وسياسية واجتماعية واقتصادية ودينية وثقافية)، حتى تستطيع هذه الوسائل تقديم معالجة مُقنعة ومؤثّرة، ونشر ثقافة جدية معادية للإرهاب، وتتخلص من هيمنة الطابع الإخباري الآني والسريع، على أهميته، على التغطية التي تقدمها للعمليات الإرهابية.

٩- **الطابع العَرَضي وغير المنهجي** لاهتمام وسائل الإعلام العربية بالظاهرة الإرهابية. صحيح أن العملية الإرهابية، كحدث مثير وجذاب، يجب أن تحظى باهتمام إعلامي مكثّف عند وقوع الحدث، ولكن الصحيح أيضاً أن هذه العملية الإرهابية هي مجرد لحظة في سياق عام، وهي نتيجة لهذا السياق وأحد مفرزاته. كما أنها حصيلة أسباب عميقة. ولذلك لا بد من استمرار معالجة هذه الأسباب وفق منهجية محددة ومتماسكة، وقادرة على تحقيق الأنساق المعرفية والفكرية والاتجاهية والسلوكية والقيمية لدى المواطن إزاء ظاهرة الإرهاب.

١٠- **استغلال** بعض وسائل الإعلام العربية ذات الطابع التجاري **الطابع المثير للحدث الإرهابي**، وتقديمه بقدر من الإثارة والمبالغة والتهويل، وذلك بقصد جذب المزيد من القراء أو المشاهدين، من أجل تحقيق مكاسب سريعة إعلامية ومادية.

١١- **التبعية** شبه المطلقة للتغطية الإعلامية العربية للإرهاب وللعمليات الإرهابية **للموقف الرسمي** واعتباراته وأولياته ودون احترام قوانين الإعلام وخصائصه.

١٢- **الانطلاق** غالباً في التعامل مع الظاهرة الإرهابية **من موقف الدفاع** ورد الفعل، وليس من منطلق الفعل والمبادرة والدور الفاعل.

المراجـــع

أولاً: المراجع العربيـــة:

١- سعد الدين، إبراهيم (١٩٩٨) نـــدوة الأهـــرام (١٩٩٨). مـــن: الحديدي، هشام (١٩٩٩). الإرهاب. القاهرة الدار المصرية اللبنانية، ص ١٥-١٦.

٢-تقرير التوعية الأمنية لمكافحة ظاهرة الإرهاب(٢٠٠٣) إعداد المكتب العربي الخامس لرؤساء أجهزة الإعلام الأمني العربي .

٣- حريز، عبد الناصر (١٩٩٦). الإرهاب السياسي- دراسة تحليليـــة. القاهرة، مكتبة مدبولي.

٤- دعبس، محمد يـــسري (١٩٩٦). الإرهـــاب والـــشباب- رؤيـــة أنثروبولوجية للإرهاب. الإسكندرية.

٥- الـــــشيباني،خيرة (٢٠٠٥).الإعـــــلام والإرهـــــاب. موقـــــع إلكتروني:www.opendemocracy.net

٦- عز الدين، أحمد جلال (١٩٨٧). دور أجهـــزة العلاقـــات العامـــة الشرطية في إيجاد رأي عام عربي موحد للتـــصدي للإرهـــاب. وثـــائق الاجتماع الرابع لمدراء العلاقات العامة بـــوزارات الداخليـــة في الـــدول العربية.

٧- العمر، معن (٢٠٠٥). العولمة والجريمة في المجتمع العـــربي- نـــدوة التخطيط الأمني لمواجهة العولمة. الرياض، جامعة نايف العربية.

٨-غريبر، دوريس (١٩٨٨).سلطة وسائل الإعلام في السياسة. ت:أسعد أبو لبده. الأردن، دار الشروق.

٩- مراد، محمود (١٩٩٨).الظاهرة الإرهابية. القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب. الوثائق الكاملة للندوة الدولية للإرهاب ٢٢-١٩٩٧/٢/٢٤.

ثانياً:المراجع الأجنبية:

1- Alexander. (1989).Terrorism, The Media and the Police. Journal of International Affairs.vol:32.

2-Alekseev, V. (2004).The Media and Terrorism.Rosbalt Information Agency-June-6-2004.

3- Arquilla, J&Ronfeldt, D. (2001). Networks and Netwars: The Future of Terror, Crime and Military. Santa Monica, ca: Rani.

4- Bassioni, C.(1988). Legal Responses to International Terrorism. U.S Procedural Martinis Nigh off Publisher.

5-Cluherbuch, R. (1986). The Future of Political Violence. The Macmillan Press LTD. London.

6-Dale, v.(1998).The Need for Responsible Media Coverage of Terrorism. Harvard International Review. (Fall):66-70.

7- Defleur, Melvin, Rokeachs(1982)," Theories of Mass Communication",New York,Longman,p216.

8- Denton. (2003). Language, Symbols and Media.Symposium: The Media and 11/9.

9-Dowling, R. (1988). The Terrorist and the Media: Partner in Crime. Rituals and Harm bass, Microfiche no.304716.

10-Ezeldin, A.G. (1987).Terrorism and Political Violence. The University of Illinois at Chicago-Chicago.

11-Kegley, C. (1990).International Terrorism-Characteristics Causes. U.S.America- Library of Congress.

12-Laqueur, w. (1976).The Futility of Terrorism. Harperes.vol.252-no: 1510-March.p:104.
13-Lokye, E. (2003).The Relationship between the Media and Terrorism. The Australian National University.
14-Marighella, C. (n.d) Mini Manual of the Urban Guerrilla.Havana, Tricontinintal, p: 103.
15-Miller, A.H. (1982).Terrorism, The Media and The Law. New York, Transnational Publisher, p: 1
16-Morris.Z. (1979). Terrorism: Threat and Response. Humanities, McMillan Press.p:44
17-Nacos, B. (2002).Mass Mediated Terrorim.Rowman and Littlefield pub. Inc.New York.
18- Nacos, B. (1994). Terrorism and Media. Colombia University Press, NewYork.
19- Narris, P.eds. (2003).Framing Terrorism. Routledge, NewYork.
20-Noemi, G. (1989).International Cooperation to Suppress Terrorism, LondonCroom-Helm.
21- Orwell. (1968). Politics and English Language. In collected essays of George Orwell (Harmonoworth.Penguine.p:167.
22- Reiner, R. (2001).The Representation of Crime in the Mass Media. Media Made Criminality.
23- Schaffert, R. (1992). Media Coverage and Political Terrorism. Prager, New York, p: 118.
24- Schilling. (1966). Arms and Influence. New Haven, Yale University press.
25- Schmidt & de Graff. (1982)/ Violence as Communication. Candor, Sage, p: 88.
26- Shapiro. (2002). Reweaving the Internet. On line news of September 11th. In Zelizer and Allan. Journalism after September 11th, London, Route ledge.
27- Truman. (2001).Communicating Terror. Sage pub. London.

28-Weinberg. (1989). Introduction to Political Violence. New York, MC. Graw Hill Publishing Company.
29- Wilkinson. (1992). the Media and the Terror. Reassessment. Terrorism and Political Violence. (summer).p:133.
30-Wittebols, J. (n.d.).The Politics and Coverage of Terror: From Media Images to Public Consciousness.Microfiche ERIC.No.309474.

ثالثاً: القراءات المتعلقة بموضوع الكتاب:

١- الدكتور رمسيس بهنام، علم الإجرام، الإسكندرية، منشأة المعارف، بدون تاريخ.

٢- الدكتور رمسيس بهنام، علم تفسير الإجرام، الإسكندرية، منشأة المعارف، ١٩٧٧.

٣-الدكتور صالح بدر الطيار، الإرهاب الدولي، باريس، مركز الدراسات العربي الأوروبي، ١٩٩٨.

٤- عزت مراد، المملكة العربية السعودية ومكافحة الإرهاب، الرياض، ٢٠٠٢.

٥- عصام مضر، الجريمة الإرهابية، الإسكندرية، دار الجامعة الحديثة للنشر، ٢٠٠٥.

٦- العميد الدكتور علي بن فايز الجحني، الإعلام الأمني والوقاية من الجريمة، الرياض، جامعة نايف العربية، ٢٠٠٠.

٧- الدكتور محمد شفيق، ظاهرة الإرهاب وكيف نواجهها، القاهرة، ١٩٨٨.

٨- الدكتور محمد صادق صبور، الإرهاب في العالم، القاهرة، دار الأمين، ٢٠٠٢.
٩- محمد عبد اللطيف عبد العال،جريمة الإرهاب، القاهرة، دار النهضة، ١٩٩٤ ١٠- اللواء الدكتور محمد فتحي عيد، واقع الإرهاب في الـــوطن العربي، الرياض، جامعة نايف العربية، ١٩٩٩.
١١- محمد محمود سعيد، جرائم الإرهاب، القاهرة، دار الفكر العـــربي، ١٩٩٥.
٢٣- محمود مراد، الظاهرة الأمنية، القاهرة، الهيئـــة العامـــة للكتـــاب، ١٩٩٨.
١٢- مودجوريان.ل.، الإرهاب، ترجمة عبد الرحيم مقداد، دمشق، دار دمشق، ١٩٨٦.
١٣- الدكتور نبيل أحمد حلمي، الإرهاب الدولي، القاهرة، ١٩٨٨.
١٤- نزيه شلالا، الإرهاب الدولي والعدالة الجنائية، بيروت، منـــشورات الحلبي، ٢٠٠٣.
١٥- العقيد الركن هاشم الزهراني، أثر الإعلام على الإرهاب، تـــونس، ٢٠٠٢. وثائق المؤتمر العربي الخامس للمسئولين عن مكافحة الإرهاب.
١٦- هشام الحديدي، الإرهاب، القاهرة، الدار المصرية اللبنانية، ١٩٩٩.
١٧- الدكتور يسرى دعيس، الإرهاب- الأسباب واستراتيجية المواجهة والوقاية، الإسكندرية، ١٩٩٥.

رابعاً: البحوث والدراسات والمقالات:

١- اللواء الدكتور أحمد جمال عز الدين، إستراتيجية مكافحة الإرهاب، الشارقة، مجلة الفكر الشرطي، المجلد الثامن العدد الثاني، يوليو-تموز ١٩٩٩.

٢- الدكتور أحمد مصطفى، التخطيط الاستراتيجي لمكافحة الإرهاب، الشارقة، مجلة الفكر الشرطي، المجلد الثامن العدد الثاني، يوليو-تموز ١٩٩٩.

٣- بدري العلام، جرائم الإرهاب، الشارقة، الفكر الشرطي، المجلد ١٣ العدد الثاني، يوليو-تموز ٢٠٠٤.

٤- العقيد الدكتور حمدي شعبان، دور وسائل الإعلام في دعم جهود الأمن لمواجهة الإرهاب، الشارقة، الفكر الشرطي، المجلد الثاني العدد الثاني، سبتمبر-أيلول ١٩٩٣.

٥- الدكتور عادل بن علي الشدي، مسئولية المجتمع عن صيانة الأمن الفكري للأفراد،من كتاب : سجل البحوث والأوراق العلمية المقدمة في ندوة " المجتمع والأمن: في دورتها السنوية الثالثة- المؤسسات المجتمعية والأمنية- المسئولية المشتركة" المنعقدة بمقر كلية الملك فهد الأمنية في الرياض ٢١-٢٤ صفر ١٤٢٥.

٧- الدكتور العميد عادل الفقي، دور أجهزة الأمن في مكافحة الإرهاب، الشارقة، الفكر الشرطي، مجلد ١ عدد ٣ ديسمبر- كانون أول ١٩٩٢.

٨- الدكتور علي محمد جعفر، الإرهــاب الــدولي: مظــاهر الخلــل والمواجهة، القاهرة، مجلة الدراسات الأمنية، العدد ٩، ٢٠٠٢.

٩- فيرندر أوبيري، الإرهاب والإعلام، ترجمة منى ياسين، القاهرة، مجلة الدراسات الإعلامية، عدد ٦٠ يناير-كانون الثاني ١٩٩٣.

١٠- محمد أنور البصول، الاتصال وأثره في عمليات الإرهاب، الرياض، جامعة نايف، ندوة" الإرهاب والعولمة "، جامعة نايف ٢٠٠٥.

١١- الدكتور محمد شفيق، الإرهاب وعلاقته بــالمتغيرات الاجتماعيــة والاقتصادية، القاهرة، مجلة بحوث الشرطة، العدد ١٤، يوليو-تموز ١٩٩٨.

خامساً – الوثائق

١- وثائق المؤتمر الدولي لمكافحة الإرهاب، مجلة الأمن والحياة، الرياض، جامعة نايف العربية، العدد ٢٧٢، فبراير-شباط ٢٠٠٥.

٢- وثائق المؤتمر العربي الخامس لرؤساء أجهزة الإعلام الأمني، تونس ٧-٩/٥/٢٠٠٣.

٣- وثائق المؤتمر العربي السادس لرؤساء أجهزة الإعلام الأمني، تــونس ١٨٠١٧/٣/٢٠٠٥.

٤- وثائق أعمال الاجتماع الرابع لمديري العلاقات العامــة بــوزارات الداخلية في الدول العربية، تونس ٢٦-٢٨/سبتمبر-أيلول ١٩٨٧.

٥- وثائق المؤتمر العربي الرابع للمسئولين عن مكافحة الإرهاب، تــونس ٩-١١/٧/٢٠٠١.

٦- وثائق المؤتمر العربي الخامس للمسئولين عن مكافحة الإرهاب، تونس ١٢-١٤/٦/٢٠٠٢.

الكتب الصادرة في سلسلة المكتبة الإعلامية

١- النظرية العامة في الصحافة. تأليف:د.أديب خضور. دمشق ١٩٩٠.

٢- الحديث الصحفي. تأليف:د. أديب خضور. دمشق.ط٣-٢٠٠٨

٣- الصحافة التلفزيونية.ا.بوريتسكي.ت:أديب خضور.دمشق١٩٩١.

٤- تاريخ الصحافة العالمية. تودوروف.ت: أديب خضور..١٩٩١.

٥- التلفزيون والأطفال.ترجمة:أديب خضور.دمشق .ط٢-٢٠٠٣.

٦- الخبر الصحفي. أديب خضور.. ط١-١٩٧٣- ط٢- ١٩٩٢.

٧- تحرير الأخبار.م.مينشر.ترجمة:أديب خضور.ط٢_٢٠٠٨.

٨- مدخل إلى الصحافة نظرية وممارسة. أديب خضور.. ط٣-٢٠٠٨.

٩- الإعلام الرياضي.نأليف: أديب خضور.دمشق. ١٩٩٤.

١٠- دراسات رياضية. ترجمة: أديب خضور. دمشق. ١٩٩٤.

١١- دور الإعلام التربوي في مكافحة المخدرات. أديب خضور١٩٩٧.

١٢- صورة المرأة في الإعلام العربي. أديب خضور. دمشق.١٩٩٧.

١٣- سوسيولوجيا الترفيه في التلفزيون. أديب خضور. دمشق. ١٩٩٨.

١٤- دراسات تلفزيونية. تأليف: أديب خضور. دمشق. ١٩٩٨.

١٥- التلفزيون والمجتمع. ج. كورنو.ترجمة: أديب خضور. ١٩٩٩.

١٦- بحوث إعلامية ميدانية. تأليف: أديب خضور. دمشق. ١٩٩٩.

١٧- مبادئ تحرير الأخبار.ك. ماكدوغال.ترجمة:أديب خضور. ٢٠٠٠.

١٨- الإعلام العربي على أبواب القرن ٢١. أديب خضور.ط٢-٢٠٠٨.

١٩- نظرية التلفزيون. مجموعة أبحاث. ترجمة: أديب خضور. ٢٠٠٠.

٢٠- صورة العرب في الإعلام الغربي. أديب خضور.دمشق.٢٠٠١.

٢١- الإعلام والأزمات. تأليف: أديب خضور.دمشق.٢٠٠١.

٢٢- الإعلام الأمني. تأليف: أديب خضور. دمشق. ٢٠٠١.

٢٣- الحديث التلفزيوني. تأليف: أديب خضور. دمشق.٢٠٠٢.

٢٤- نظريات الاتصال.أ.ماتيلار. ترجمة: أديب خضور. ط٢-٢٠٠٨.

٢٥- تلفزيون الحقيقة. ترجمة: أديب خضور.دمشق .٢٠٠٥.

٢٦- التلفزيون التعليمي. ترجمة أديب خضور. دمشق.٢٠٠٧

٢٧- الإعلام المتخصص. تأليف أديب خضور. دمشق.ط٣-٢٠٠٨

٢٨- أزمة إعلام أم أزمة أنظمة. أديب خضور. دمشق. ط٢-٢٠٠٨.

٢٩- تلفزيون الواقع.م. أندريجيفيك. ترجمة: أديب خضور. ٢٠٠٨.

٣٠- القواعد الفنية والعلمية لكتابة النصوص الدرامية- السينمائية والتلفزيونية والمسرحية: تأليف: ليندا سيجر. ترجمة: أديب خضور٢٠٠٨

٣١- إشكالية العلاقة بين الأجهزة الإعلامية والأمنية العربية . أديب خضور ٢٠٠٨

٣٢- الإرهاب والإعلام- التغطية الإعلامية للعمليات الإرهابية. أديب خضور. ٢٠٠٩

ف: 2323ت:7/2/2010

الكتب الصادرة في سلسلة الإعلام التطبيقي

١-الكتابة الإذاعية. تأليف: هاردينغ. أديب خضور. ٢٠٠٦.

٢-كيف تكتب تمثيلية إذاعية. هاردينغ. ت: أديب خضور٢٠٠٦

٣-كيف تكتب تمثيلية تلفزيونية. هاردينغ. ت :أديب خضور. ٢٠٠٦

٤-فن كتابة الخطب والكلمات. جوان ديتز.ت أديب خضور. ٢٠٠٧.

٥-البرامج التلفزيونية الموجهة إلى الأطفال.. أديب خضور. ٢٠٠٨.

٦-المقابلات والبرامج الحوارية الإذاعية والتلفزيونية.ت. أديب خضور

****

تطلب جميع هذه الكتب

من الناشر على عنوان: سورية.دمشق. مزة. ص.ب ٩٤٨١.

هاتف وفاكس ٦٦٢٤٥٤٢

وبريد إلكتروني khadib@scs-net.org

****

هذا الكتاب

العلمية الإرهابية، من منظور إعلامي، عملية اتصالية رمزية. الإرهابي مجرم يبحث عن الأضواء. والجانب العنفي ليس سوى منطلقاً لتداعيات إعلامية-اتصالية. في ضوء ذلك يمكن أن نفهم الإستراتيجية الإعلامية للإرهابيين.

كيف يستطيع الإعلام أن يقدم تغطية إعلامية متكاملة للعلميات الإرهابية دون أن يخدم الأهداف الإعلامية للإرهابيين، ودون أن يخضع للطبيعة الذاتية للعملية الإرهابية، باعتبارها دراما مثيرة وجذابة؟

وكيف يستطيع الإعلام أن يتناول الظاهرة الإرهابية بمنهجية تُغني المجرى التفاعلي للمستقبِل وتعمِّقه، بدلاً من أن تصب في عملية تسييس مكرَّسة لخدمة الأنظمة. ما الخبرة الإعلامية العالمية والعربية في هذا المجال؟ الكتاب محاولة لرؤية الظاهرة بعمق ومعالجها بمنهجية.

